

خُطَبُ الْجُمُعَةِ وَالْأَعْيَادِ

أُقِيَّتْ عَلَى مِنْبَرِ خَيْرِ الْعِبَادِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَعَدَّهَا وَأَلْقَاهَا
عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَاكِي

الْإمام والنخيطيب بالمسجد النبوي الشريف
ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المستأجد

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

النَّفْسِيَّة

فَرَعَ آيَاتِهَا وَأَحَادِيثَهَا
الْشَيْخُ عَبْدِ الْقَادِرِ حَبِيبِ اللهِ السَّنْدِي

نَزِيلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

دَارُ الْعِنَانِ



خطب الجمعة والاعياد

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

رقم الإيداع ٥٧١٤ / ٩٣
I. S. B. N
977 - 06 - 5254 - 41 - 8

دار المطبوعات والنشر والتوزيع
للطبع والنشر والتوزيع
٩ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين
ص.ب ٦١ هليوبوليس ت ٥٩١٥٠٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تعريفية موجزة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد شرع الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ - عن طريق الكتاب والسنة - أحكاماً وعبادات وسلوكاً وسياسة وغيرها من الأمور السامية العظيمة ، ثم شرح ربنا جلَّ وعلا كيفية إبلاغ وإسماع هذا التشريع العظيم إلى كافة الناس ، وإلى هذا المعنى الواضح المبارك يشير الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم في الصحيح : « كتاب الجمعة » ، وذلك من حديث عمار بن ياسر ، رضى الله عنهما ، بإسناده عن واصل بن حيان الأسدي الكوفي (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) قال : قال أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي رحمه الله تعالى : خطبنا عمار ، فأوجز وأبلغ ، فلما نزل ، قلنا : يا أبا اليقظان ؛ لقد أبلغتَ وأوجزتَ ، فلو كنت تنفستَ - أي أطلتَ قليلاً - فقال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئة - أي علامة - من فقهه ، فأطيلوا صلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً » (١)

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب « الجمعة » ، حديث رقم (خاص ٤٧) ،

... الحديث ، فهذا هو الحديث النبوي الشريف الذي قد حمل المعاني الكثيرة في طياته ، ومنها هذا المعنى الواضح البين الذي يلمع في هذه الخطب القيمة التي ألقاها سماحة الأخ الشيخ « عبد الله بن محمد بن زاحم » على منبر مسجد رسول الله ﷺ منذ عشرات السنين عند مقدمه الميمون إلى هذه البلدة الطاهرة المقدسة عام ١٣٩٠ من هجرة رسول الله ﷺ ، ولقد أجاد فيها وأفاد وأبلغ فيها وأوجز ، وقد شملت هذه الخطب العالية العظيمة ، الجوانب العديدة المهمة في حياة المسلم المادية والمعنوية بأسلوبه البلاغي الجذاب مع إلقائه إيها على أكبر وأعظم منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، ألا وهو منبر مسجد رسول الله ﷺ ، وقد وضعت هذه الخطب السامقة الرائعة ، نقاطاً على حروف الخلاف ، مع ما حملت في طياتها عدة عناصر قوية تتركز عليها حياة الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة ، في كل زمان ومكان بذاك الشمول والوفاء بعبارات فصيحة جزلة بليغة دعا فيها إلى الحق والإنصاف والعدل والصواب وجمع كلمة المسلمين ، ووجدتهم في أنحاء المعمورة ، ويأمر بسد الخلل والحد من الفساد والانحراف بجميع أنواعه وأشكاله ، ويقوى عزائم المسلمين نحو السير الحثيث إلى التقدم ، والازدهار والأمن والاستقرار والمحبة والوئام ، والحرية الحقيقية المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ وإجماع الأمة المسلمة المرحومة في القرون المتقدمة ، نعم : إنها خطب تتصل اتصالاً مباشراً بالضمائر الحية والقلوب الواعية ، والأرواح المنورة فتزيدها قوة وبهاءً ونبراساً أصيلة وقواعد ثابتة لا تتزعزع ولا تضطرب أمام التحديات ، وتدعو إلى الخير والنور والعلم بأساليب حكيمة ، كما سوف يشاهدها - إن شاء الله تعالى - من تعمق فيها أو قرأها أو نظر فيها ، وسوف ينفع الله تعالى بها الأمم والخلائق في أنحاء الدنيا لما فيها من معاني الحق والإنصاف والعدل والخير والعزة والعزيمة والإخلاص والزهد والورع ، والخوف والرجاء في النفس بجزالة الأسلوب ، وفصاحة الكلمة والكلام مع الاستدلال القوي

والاستنباط الأصيل من آيات القرآن الكريم إما نصاً أو إشارة أو اقتباساً ، وهكذا ثنّى بالسنة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام في جميع المشاكل والحلول التي وضع لها حلولاً أو منهجاً محكماً لا يتزعزع ، ولا يضطرب أمام تحديات العصر .

ومن هنا جاز لي أن أقول - وأنا لست ممن يفصل أو يشرح أو يقوم بإبداء ما ينبغي أن يظهر جلياً - بما في هذه الخطب المنبرية على طول الزمن وكر الدهر ، من منهج مبارك وبرنامج سامق ، يتصل بالإنسان وبحياته الفردية والجماعية في هذه الدنيا والآخرة وحياته البرزخية بعد الموت ، فإن سماحة الخطيب قد برع في بيانه فيها وإيضاحه وأظهر ودعا إلى الحقوق والواجبات والفرائض ، التي افترض الله تعالى على عباده على لسان رسوله محمد ﷺ ، وقد مكث سماحة الخطيب عشرات سنين على هذا المنبر المبارك ، وهو يؤدي واجبه الديني - ولا يزال - نحو إخوانه المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي وغيره من بني الإنسان بصفة عامة ، وكنت أسمع إلى هذه الخطب أثناء تواجدي بهذه البلدة الطيبة المباركة عندما كنت بجوار أم القرى (من عام ١٣٨٨ هـ إلى نهاية عام ١٣٩٩ هـ) ، وكنت أحرص أشد الحرص على سماعها والاستفادة منها لأمر عديدة :

١ - لكون هذه الخطب البارعة مركزة ومنظمة تعتمد على نصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله ، فيطمئن السامع والقارئ إلى صدق القول وصحة الأحكام .

٢ - إن هذه الخطب مع قصرها وجزالة لفظها ، وفصاحة معانيها منقولة مرتبطة برباط وثيق بمعاني كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ ، إما نصاً وروحاً ، وإما إشارة واستنباطاً أو اقتباساً ، كما سوف يظهر ذلك جلياً واضحاً من تخريج نصوصها في الهامش ، وهذه ميزة ممتازة جيدة فيما أرى .

٣ - إن طريقة الأداء والإيصال إلى أسمع الناس بتلك الكيفية التي سمعها العالم الإسلامي هنا وهناك عن طريق الإذاعة أو شاهدها من شاهدها هنا وهناك عن طريق البث المباشر التلفزيوني كان أروع صورة حية أثرت في النفوس وحركت الضمائر والقلوب ، إلى الحق والصواب والعدل والإنصاف في جميع حركات الإنسان مادياً ومعنوياً .

٤ - الشيء المهم العظيم الذي لاحظت أنا - وأنا لست ممن يلاحظ - أن النصوص التي أوردها سماحة الخطيب في خطبه استدلالاً بها أو استشهاداً لم تكن نصوصاً ضعيفة البتة ، وإنما كانت نصوصاً صحيحة كما يظهر لك واضحاً جلياً من التخريج ، وإذا كان هناك ضعف في بعض الأسانيد فقد أشار إليه سماحة الخطيب مع إيراد نص آخر صحيح بمعناه ، ومن هنا نرى أن كثيراً من الخطباء في العالم الإسلامي ، لا يهتمون بهذا الموضوع البتة إلا نادراً ، والنادر لا يحكم له إلا ما شاء الله تعالى .

٥ - ولقد اهتم سماحة الخطيب فيها اهتماماً بالغاً بأمر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، فوضَّحها وبينها بياناً شافياً كافياً بذاك الأسلوب الفصيح الذي لم يكن مملاً ولا مخلاً ، وإنما كان جذاباً بارعاً بالحكمة المثالية والموعظة الحسنة والمجادلة الطيبة مع سلامة الألفاظ من الشدة والغلظة ، وكأنه - حفظه الله ورعاه - وضع نصب عينيه إلى ما قاله جلّ وعلا مخاطباً نبيه محمداً ﷺ وذلك في سورة آل عمران : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١) .

هذا هو المنهج المبارك الذي أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالسير عليه في السراء

والضراء ، ومن هنا كان سماحة الخطيب مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهذا المعنى الواضح المبارك ، وهذا هو سر نجاح الخطيب والداعي والموجه والمربي في جميع تصرفاته ، وقد لاحظتُ هذا المعنى وهو عنصر أساسي أثناء عملي في تخريج نصوص هذه الخطب رغبة مني في الخير لأستفيد أولاً ثم الآخرون ممن كتب الله تعالى لهم الهداية والرشاد والسداد والتوفيق من هذه الآثار الحقة .
وقرأ في هذه الخطب .

٦ - ولقد جاءت هذه الخطب المنبرية في أوقات مناسبة بمقتضى الحال والطلب ، لها صلة قوية بالمشاكل الاجتماعية والأخلاق والضمائر ، فلا بد من دراستها ، ودراسة جديدة وأسباب وجودها ، ثم يتكلم الخطيب في هذه الأسباب ثم في المسببات ومن هنا كانت هذه الخطب موضع إعجاب وتقدير لدى كل من له صلة بالمعلم والعلماء والحكمة والحكماء ، وإن هناك ميزات كثيرة أخرى سوف يجدها القارئ أثناء دراسته ونظرته في هذه الخطب ولو في أوقات فراغه ، لكي يتسنى له المتعة الروحية بعد أن يستيقظ من نومه المبكر ، ويستشعر بالمعاني السامية المثالية التي وردت في هذه التوجيهات القيمة ، ولقد شرفني الرجل بهذا الشرف وطلب إليّ لرغبة أكيدة سابقة في نفسي نحو تحقق هذا الحلم ، مع أن كل كلمة صافية نقية تصدر اليوم للدفاع عن الحق ورفع الظلم وبث الخير والنور ورد الظلم والعدوان ودفع الفساد والبغي ، لفيها خير عظيم ونفع عميم لجميع الكائنات على وجه الأرض فضلاً عن الإنسانية ، فكيف وقد صدرت هذه الكلمات المباركات التي حملت الخير والرشاد من فيّ رجل حافظ لكتاب الله تعالى وعامل به إن شاء الله وهو واقف على أعظم وأكبر منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، يدعو إلى الخير والعلم والتواضع والمحبة والنور والهداية . تقبّل الله تعالى منه هذا الجهد الجيد المبارك وجعله خالصاً لوجهه الكريم ويتقبل منه مع رفع درجاته في الأولى والآخرة ، إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

وعملي المتواضع في تحقيق هذه المادة العلمية المنقولة كما يلي :

- ١ - قراءة مادة الخطبة الواحدة بالإمعان والتمحيص .
- ٢ - وضع الفواصل بين الكلمات والجمل حسب المنهج المعروف في
الكتابة الحديثة .
- ٣ - تخريج الآيات القرآنية التي أوردها سماحة الخطيب بوضع العزو في
هامش الخطبة بالوضوح ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية .
- ٤ - تخريج الأحاديث النبوية المرفوعة باختصار ، فإذا كانت هذه
الأحاديث مخرجة لدى الشيخين « البخارى » و « مسلم » أو في أحدهما
عزوتها في الهامش مع ذكر رقم الحديث والباب وعنوانه ، وإذا كانت في غير
هذين المصدرين مثل السنن الأربعة أو مسند الإمام أحمد أو المعاجم الثلاثة
للإمام أبي القاسم الطبراني أو الحاكم في المستدرک ، والبيهقي في السنن
الكبرى أو ابن حبان أو غيرهم ، عزوتُ الحديث إليهم مع ذكر اسم الصحابي
ودرجة الإسناد وذلك نقلاً عن أئمة الحديث ونقاده ، وإذا وجد - لا سمح الله
- حديث ضعيف الإسناد ، فأوردت له شاهداً صحيحاً أو حسناً حسب القدرة
والإمكان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العبد الفقير إلى مولاه

عبد القادر بن حبيب الله

أحد علماء المدينة المنورة

موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد الله بن
محمد بن زاحم « أمد الله في عمره المديد »

● اسمه .. ونسبه :

هو الشيخ عبد الله ، بن محمد ، بن عبد الوهاب ، بن عثمان ،
ابن محمد بن عبد الوهاب ، بن زاحم ، من آل فضل ، من المرازيق من
قبيلة البقوم ، من الأردن من قحطان .

● أما مولده ونشأته :

فإنه ولد - حفظه الله - في قرية القصب من قرى اليمامة بنجد في الوشم ،
في عام ١٣٥٠ هـ ، ونشأ فيها عند والديه ، على التقوى ، والصلاح ،
وكان والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » - رحمه الله - حافظاً للقرآن
الكريم ، وإماماً لمسجد في القصب .

فدرس على والده ، في دروس بعد العصر ، وبعد المغرب ، يقرأ القرآن
الكريم ، وقد بدأ بالحفظ ، من قصار المفصل ، إلى آخر سورة طه ، وكما
أنه قرأ ودرس ، على المقريء في القصب « الشيخ عبد العزيز بن محمد
المحارب » ، وعلى المقريء « الشيخ عبد العزيز بن علي بن عوجان » .

ولما توفي والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في عام ١٣٦٢ هـ في
القصب ، وقد بلغ سن الشيخ « عبد الله بن محمد » ، اثني عشر عاماً ،
انتقل إلى عمه الشيخ « عبد الله بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد
ابن زاحم » في الرياض ، وكان عمه رئيساً للمحكمة الكبرى الشرعية هناك ،
وفي عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشيخ « عبد الله بن عبد الوهاب » رحمه الله

تعالى إلى المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة ، فانتقل معه ، وقد أدوا فريضة الحج في العام نفسه ، ويقول الشيخ عبد الله صاحب - هذه الترجمة - : وتلك أول مرة في حياته يرى فيها مكة المكرمة ، والكعبة المشرفة والبقاع المطهرة ، قلت : لا شك أنها لحظة مباركة ، يتمناها كل مسلم ، وموقف عجيب ، وهو محب للنفس ، ووقت نفيس لا يمكن نسيانه ، بل هو ثابت في الذاكرة .

وبعد أداء فريضة الحج ، توجه مع عمه والأسرة إلى المدينة المنورة ، فوصلوا في ١/١/١٣٦٤ هـ ، ثم التحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية ، بالسنة الرابعة ، وقد بلغ سنة - آنذاك - ثلاث عشرة سنة ، وكان يدرس فيها علم الفرائض بالسنة الرابعة ، وهذا دليل قوي على مستواه التعليمي الجيد ، وهكذا أنهى دراسته الابتدائية بالمدينة المنورة ، ثم التحق بوظيفة في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة لظروف الحياة التي قد تتعرض للإنسان ، فعين مساعداً لكاتب ضبط ، وفي هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساءً على كل من مشايخ المدينة المنورة :

- ١ - عمه الشيخ « عبد الله بن زاحم » رحمه الله .
 - ٢ - الشيخ « محمد الخيال » رحمه الله .
 - ٣ - الشيخ « عبد العزيز بن صالح » ، بارك الله في حياته .
- وكان يأخذ على هؤلاء الأجلاء العقائد والفرائض ، واللغة العربية ، والفقهاء .
- ٤ - وكان يأخذ الحديث وعلومه على « الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي » ، رحمه الله (١) . ولما فتح المعهد العلمي في عام ١٣٧١ هـ في الرياض ، ترك الوظيفة ، فالتحق به للدراسة ، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ « محمد بن إبراهيم » ، والشيخ « عبد اللطيف بن إبراهيم » في

(١) وأخذ في التفسير وعلومه عن العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المسجد ، ومن مشائخه في الكلية والمعاهد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ،
والشيخ عبد الرزاق العفيفي والأستاذ « عبد اللطيف سرحان » ،
والشيخ « حمد الجاسر » ، والشيخ « عبد الرحمن بن عودان » ، والشيخ
« عبد العزيز بن رشيد » وغيرهم - جزاهم الله خيراً (١) ، وكان يعود إلى
المدينة المنورة في خلال العطلات الصيفية لملازمة علمائها المذكورين والأخذ
عنهم ، وكان من أساتذته في التجويد الشيخ قاري عبد الرؤوف ، والشيخ
خليل عبد الرحمن .

٥ - في هذه الأثناء كان يقرأ على الشيخ « محمد بن الأمين الشنقيطي »
رحمه الله للأخذ عنه في التفسير وعلومه والمنطق والأصول .

وبعد تخرجه من المعهد العلمي بالرياض التحق بكلية الشريعة بالرياض ،
وفي عام ١٣٧٨ هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية .

وفي ١١/٤/١٣٧٩ هـ عيّن مساعداً لرئيس محكمة حائل ، وبعد إحالة
رئيس المحكمة للتقاعد عيّن « الشيخ عبد الله » رئيساً لها بتاريخ
٤/٤/١٣٨٠ هـ .

ثم عيّن رئيس محكمة (ب) في ١/٧/١٣٨٥ هـ ، ثم رئيس محكمة (أ)
في ١/٧/١٣٨٦ هـ .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة وكُلّف بعمل مساعد لرئيس
محاكم منطقة المدينة المنورة .

وفي آخر عام ١٣٩١ هـ عيّن إماماً وخطيباً للمسجد النبوي الشريف .

(١) وغفر نيتهم .

وفي ١٢/١٢/١٣٩٧ هـ عيّن على وظيفة قاضي تمييز ، ولا يزال على هذه الوظيفة ويعمل مساعداً لرئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإماماً وخطيباً للمسجد النبوي ، ولم يرغب الخروج من المدينة المنورة طوال هذه المدة ، وأحب البقاء في المدينة النبوية الشريفة والموت فيها .

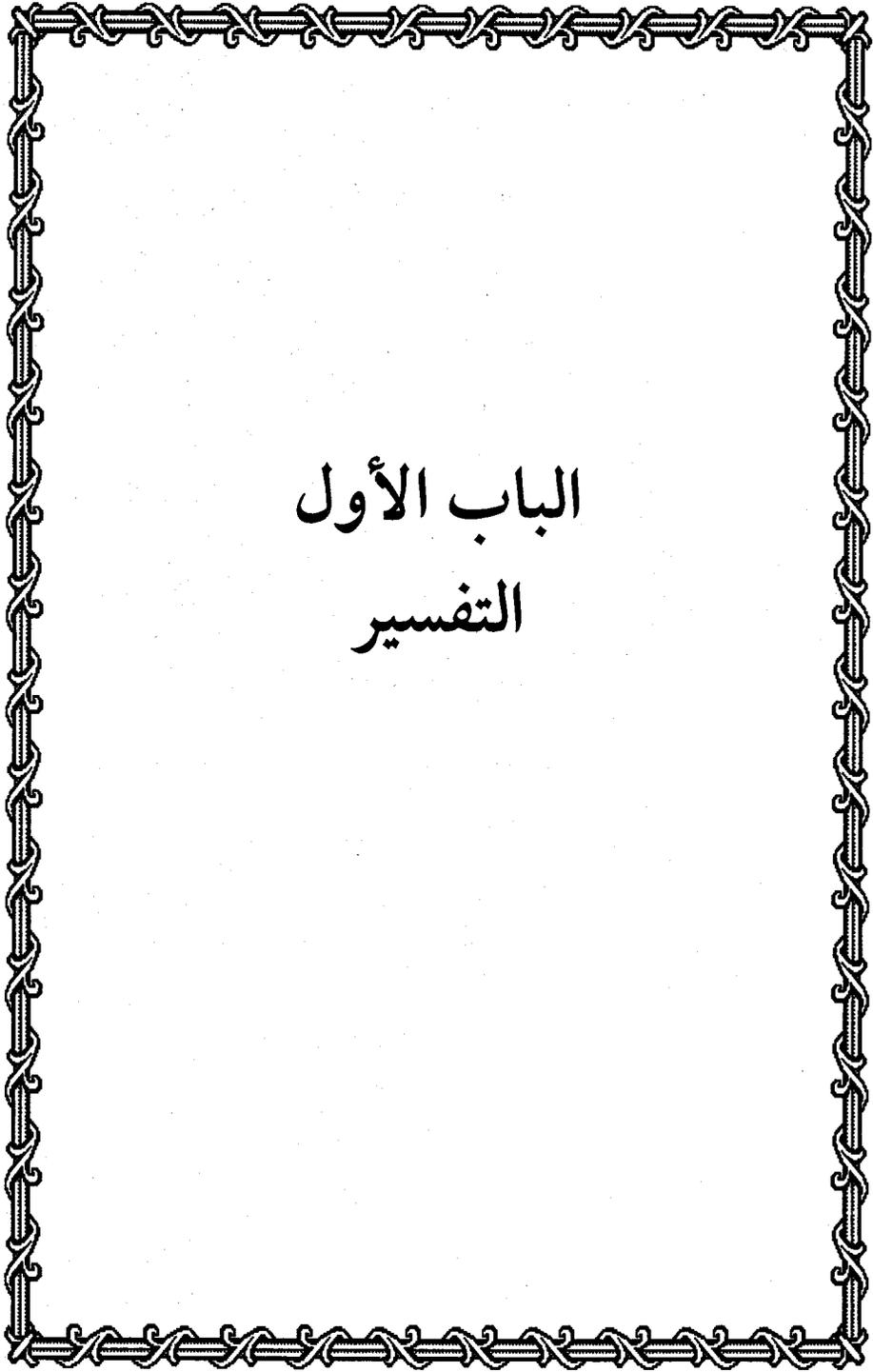
أمدّ الله تعالى في عمره بالعمل الصالح وأجزل له مثوبته (١)

عبد القادر حبيب الله

أحد علماء المدينة المنورة

* * *

(١) أكثر هذه المعلومات تلقيت من بعض الإخوة القريبين من الشيخ عبد الله .

A decorative border with a repeating geometric pattern of interlocking lines, forming a rectangular frame around the text.

الباب الأول
التفسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجلد الثاني من خطب الجمع والأعياد

الحمد لله رب العالمين . هداانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى أصحابه ومن والاه .

أما بعد ..

فمن توفيق الله وإعانتة أقدم لك - أخي القاريء - المجلد الثاني من خطب الجمع والأعياد ، التي ألقيت على منبر خير العباد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، والمجلد يتكون من قسمين :

الأول : تفسير آيات من القرآن الكريم على أسلوب الخطابة .

والقسم الثاني : بعض الفضائل .

أسأل الله أن ينفع بها كل من اطلع عليها وسمعها ، وأن يجعلها عملاً خالصاً لوجهه ، وعلماً أجد ثوابه يوم الحاجة إليه .

وصلى الله على نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه وسلم .

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - من فوائد سورة الفاتحة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ (٢) ﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه .

أما بعد ..

فاتقوا الله تعالى ، تأملوا كتاب الله ، واقرؤوه قراءة تدبر وتفكر وتأمل في هذه السورة التي نقرؤها في كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات الفرائض ، عدا الرواتب والنوافل ، إنها فاتحة الكتاب ، هي أخير سورة في القرآن العظيم ، لا يقرأ المسلم حرفاً منها إلا أوتيته (٣) . إنها تشتمل على القواعد الأساسية لمعاني القرآن ، تشتمل على معرفة العبادة وأركانها ، وهي المحبة والخوف والرجاء . تشتمل على كليات العقيدة الإسلامية ، وفيها وصف الله تعالى بصفات الكمال ، والجلال . ولذلك سميت بأمر الكتاب (٤) ،

(١) ألقيت في ١٣٩٩/٢/٧ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عزاه ابن كثير في تفسيره :

٢٢/١ إلى مسلم والنسائي ، ولفظه هذا عند النسائي ...

(٤) البخاري برقم (٤٧٠٣) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ، الفتح :

وبأم القرآن (١) ، وبالكافية (٢) ، والكنز (٣) ، والسبع المثاني والقرآن العظيم (٤) . أسماء تدل على الشمول والكمال .

وسورة الفاتحة تنقسم من حيث المعنى الإجمالي قسمين : قسم لله ، وقسم للعبد . كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله : حَمَدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله : أثنى عليّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله : مجَدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (٥) .

وأما المعاني الجزئية للكلمات فتشتمل على المعاني الكلية للقرآن ؛ وبين القواعد والأسس للمعاني التفصيلية ، وهلم بنا نتعرف على بعض معانيها :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٦)
الابتداء بالبسملة بصرف النظر عن الخلاف فيها هل آية من الفاتحة أم آية من

(١) البخاري برقم (٤٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الفتح : ٣٨١ / ٨
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره : ١٧ / ١ ، سماها يحيى بن أبي كثير : لأنها تكفي عما عداها .

(٣) عزاها ابن كثير في التفسير : ١٧ / ١ ، وعزاها إلى الزمخشري في كشافه .
(٤) عزاها ابن كثير في تفسيره : ١٧٥ / ١ إلى البخاري في الصحيح ، وعزاها السيوطي في الدر المنثور : ١٢ / ١ إلى البخاري والدارمي في سننه ، وأبو داود والترمذي وابن المنذر ، وغيرهم من حديث أبي هريرة .
(٥) مسلم في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (خاص ٣٨) ، وعام (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) سورة الفاتحة : ١

كل سورة (١) ، أو آية من القرآن ، أو هي فاصلة بين السور . فالبدء بها هو الذي يقتضيه المقام ، وهو الذي يتناسب مع الأدب الذي أوحى الله لنبيه محمد ﷺ في أول ما أنزل عليه : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ (٢) ، وهو إحياء رباني يتفق مع الحقيقة ، فإن الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن (٣) ، فباسمه يكون الابتداء في كل شيء والانتهاء ، وباسمه تكون كل حركة وسكون ، ثم بعد البدء باسم الله الرحمن الرحيم يناسب الدخول في المقصود لتحصل الإعانة والبركة .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ ﴾ (٤) : تشتمل هذه الآية على أربع كلمات ، وكل كلمة منها لها معان ومدلولات ، وتحتها فوائد وأسرار لا يمكن استقصاؤها ولا الإحاطة بها من البشر ، وفي هذا المقام لا يمكن ذكر ما قاله العلماء ، وإنما أشير إشارة موجزة تحصل بها الفائدة . وهذه الآية هي القاعدة الكلية لمعاني سورة الفاتحة ، وسورة الفاتحة هي الأسس الإجمالية لمعاني القرآن الكريم .

﴿ الحمد لله ﴾ : هو الثناء على الله تعالى بجميع المحامد ، على نعمه ، وآلائه ، ثناء على الله بإيجاده الخلق ورعايته ، ثناء عليه بأسمائه وصفاته ، ثناء برسالته وشرعه وتوفيقه وهدايته .

ولفظ الجلالة عَلم على الرب تبارك وتعالى ، ويقال : إنه الاسم الأعظم ، لأنه يوصف بجميع الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

(١) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ١٨/١ - ١٩ إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره ، ثم قال : رواه البيهقي عن علي وعن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم ، بإسناد صحيح عنهم .

(٢) سورة العلق : ١

(٣) إشارة إلى الآية الثالثة من سورة الحديد .

(٤) سورة الفاتحة : ٢

الْقِيَوْمُ ﴿ (١) ، واسم الجلالة هو الذي يضاف إليه التصرف والمُلك والرعاية ،
كما في سورة الفاتحة ، وكقوله : ﴿ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) ، ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ
الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣) .

« والرب » : هو المالك المتصرف بالإصلاح والتربية والإنعام والمسيطرُ على
مربوبيه والقاهر لهم .

﴿ العالمين ﴾ : كل من سوى الله فهو عالم ، والله سبحانه خالق
العالمين ، وهو مدبر هذا الكون ، وهو المسيطر عليه والحافظ لنظامه وكيانه ،
وهو المنظم لشتونه بجميع أجناسه وأنواعه ، يأنسه وجنه ، وأرضه وسمائه ،
وحيواناته وجماداته ، وأشجاره وزروعه ، وبرّه وبحره ، وما بين الأرض
والسما : ﴿ إِنْ اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ
أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (٤) .

﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (٥) : بعد ذكر وجوب الحمد لله ، والتعريف بأنه هو
الرب المسيطر ، يستشعر العبد بالخوف والرهبة ، ويحس بالتقصير في الحمد ،
ويرهب من سطوة الرب المهيمن . فأخبر سبحانه عن نفسه بأنه الرحمن
الرحيم ، لتطمئن نفس العبد ولتعلق بالرجاء والأمل ، ولبيان أن الصلة بين
الرب تعالى وبين خلقه ليست من طريق الرهبة فقط ، بل منها ومن طريق
الرجاء ، فالطريق إلى الله له جانبُ خوف ، وجانبُ رجاء ، وبينهما قارعة
الطريق السهلة الهيئة المستقيمة ، وهى العبودية الخالصة لله تعالى على وفق
شرع الله ، وهى التي توصل إلى الله .

﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٦) : ارتباطها بما قبلها لما أخبر تعالى أنه المستحق
للحمد وأنه هو الخالق الرازق المتصرف الرحمن الرحيم ، أخبر جَلَّ شأنه بأنه

(٢) سورة الرعد : ١٦

(٤) سورة فاطر : ٤١

(٦) سورة الفاتحة : ٤

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة غافر : ١٦

(٥) سورة الفاتحة : ٣

مع هذه الصفات له المُلْك المطلق يوم القيامة ، يوم الجزاء والحساب ، ليس هناك ملوك ولا رؤساء ولا قادة ولا زعماء : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (١) ، وفي ذلك إخبار وتوكيد بأن بعد الموت حياة أخرى وجزاء وحساب ، ويبان أن الربوبية والمُلْك لله في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة ، فلا يتعلقون بما في هذه الدنيا وحدها من خيرات وآمال ، ولا يجزعون مما فيها من شرور وآلام . بل يجب الاستعلاء من ضرورات الدنيا إلى التطلع إلى ما هو أعلى وأسمى عند الله تعالى ، وذلك يحمل المؤمن على العمل مع الاطمئنان على الثواب ، فإن وجدَه في هذه الدنيا وإلا وجدَه في الآخرة ، وثواب الآخرة خير وأبقى . وفيه أيضاً لفتة إلى الترهيب بعد الترغيب ، وتنبهه إلى أنه ينبغي في هذه الدنيا تغلب جانب الخوف على جانب الرجاء ، ليحصل العمل والاجتهاد في الطاعة .

و« المالك » هو الذي له كمال التصرف المطلق وتمام الاستيلاء ، وهو سبحانه له الملك التام في الدنيا وفي البرزخ وفي يوم القيامة وفي الآخرة ، فليس هناك ملك غير الله .

﴿ يوم الدين ﴾ : هو يوم تُقضى فيه الديون وتُسَلَّم لأهلها وتؤخذ فيه الحقوق وتُعطى لمستحقيها ، وهو يوم القيامة .

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ سِرِّي وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) : التفات في الخطاب من الغيبة إلى خطاب الحاضر ، فكأن العبد بعد معرفته ما تقدم من الآيات ومعانيها توجه إلى الله وتفرغ له عن كل ما سواه . ووصل إليه ، وقف بين يديه كأنه يراه ، يناجيه ويدعوه : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

وهذه الآية عهد بين العبد وبين ربه (٣) ، يلتزم العبد بألا يعبد إلا الله ،

(١) سورة غافر : ١٦

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه - مسلم في الصحيح ، الصلاة ، حديث رقم (خاص ٣٨) ، وعام (٣٩٥) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢٤١/٢ ، ٣٢٠ ، ٤٦٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وألا يستعين إلا بالله . وهذا هو السر الذي من أجله أرسلت الرسل ، ومن أجله أسست قواعد الإسلام والإيمان . فالدين كله يرجع إلى هذين الأصلين العظيمين : عبادة الله تعالى والتوكيل عليه .

﴿ أَمِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ كَرِهُوا الزَّيْرَ أُنْمَتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمُضْرِبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الشَّاكِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (١) : بعد تأسيس القواعد الإسلامية في النفوس بما تقدم من الآيات ، وبيان ثمرتها وهي العبودية الخالصة لله . توجه العبد إلى الله تعالى بالدعاء وطلب الهداية لصراط الله المستقيم والاستقامة عليه . ﴿ الصراط ﴾ : هو الطريق الموصل إلى الهدف . ﴿ المستقيم ﴾ : هو المعتدل المستوى الذي ليس فيه اعوجاج وليس فيه مطبات ، فيكون السائر على الصراط المستقيم مرتاحاً مهتدياً إلى مراده . ﴿ الصراط المستقيم ﴾ : الذي نسأل الله الهداية له ، هو طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ على وفق شرع الله . وهذا الصراط هو الذي يسلكه عباد الله المخلصون ، ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢)

وهو غير طريق المغضوب عليهم ، وغير طريق الضالين . والمغضوب عليهم قوم عندهم علم ، فلم يعملوا به فعصوا الله على بصيرة ، وهم اليهود ومن عمل عملهم ، والضالون قوم ليس عندهم علم فتأهوا عن الهدف وأخطأوا الطريق ، وهم النصارى ومن نحا نحوهم ممن قال على الله بغير علم ، وعبد الله على جهل ، فأعظم أمر يحتاجه الإنسان في حياته وبعد موته وفي آخرته ، هو الهداية إلى صراط الله المستقيم ، وهو أجل ما يطلب المؤمن من ربه ، وأول ما ينبغي أن يستعين العبد بربه عليه ، فأخلصوا الدعاء بطلب الهداية ، فإن فيها سعادة الدنيا وفوز الآخرة .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، وجنبنا طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين ، وألهمنا القول السديد . والعمل الرشيد ، وانفعنا بالقرآن المجيد . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لسان المؤمن دائماً رطباً من ذكر الله

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .. ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (١) .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيقول الرسول ﷺ : « كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أجزم » (٢) ،
أى أقطع ناقصُ البركة . وقد جاء في القرآن الكريم : أن الله تبارك وتعالى
أرشد أول رسله نوحاً عليه السلام لتقديم اسم الله عند العمل ، فقال : ﴿ أَرْكَبُوا
فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرِبْنَهَا وَمُرْسِنَهَا ﴾ (٣) ، وأرشد خاتم رسله وأنبيائه محمداً ﷺ
إلى ذلك فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٤) .

فينبغي للمسلم أن يذكر اسم الله تعالى في جميع أوقاته وعلى كل أحواله ،

(١) سورة الأعراف : ٤٣

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٢٦/١ إلى ابن عساكر عن الحافظ عبد القادر
الرهاوي في الأربعين بسند حسن عن أبي هريرة ، ثم ذكره مرفوعاً بهذا اللفظ .

(٣) سورة هود : ٤١

(٤) سورة العلق : ١

عند قيامه وقعوده ، ونومه ويقظته ، وأكله وشربه ، ودخوله وخروجه ، وعند فراشه مع أهله ، فإن ولد بينهما ولد لم يضره الشيطان (١) .

وينبغي للمسلم أن يذكر اسم الله تعالى عند وضوئه وطهوره (٢) ، وعند كتابته وقراءته ، وأخذه وعطائه . فباسم الله تعالى تحصل البركة ، وبه يحصل التوفيق والنجاح ، وبه تكون الرعاية والحراسة ، وبه يحصل الهدوء والاطمئنان .

وحمدُ الله تعالى ينبغي أن يكون ملازماً للعبد ، عند تجدد النعم وبعد التمتع بها ، ونِعَمَ الله تعالى على العبد متواليّةً ومتتابعةً ، فكل حياة الإنسان وحركاته وسكونه ، وكل نَفَسٍ من أنفاسه كلها نِعَمَ الله تعالى على العبد : ﴿وإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، حافظوا على نِعَمِ الله بشكرها : لئن شكرتم ﴿لَإِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَإِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) ﴿ (٤) .
وصلوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَلُّوا عَلَيْهِ عَامِنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) .

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما برقم (٢٧١) بدء الخلق : ٣٣٥/٦ ، الفتح ، مسلم في الصحيح ، الطلاق : حديث رقم (خاص ٦) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح ، كتاب « الحيض » ، حديث رقم (خاص ١١٧) ، و (عام ٣٧٣) ، وأخرجه البخاري معلقاً : ٤٠٨/١ كتاب « الحيض » .

(٣) سورة النحل : ١٨

(٤) سورة إبراهيم : ٧

(٥) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْمَقَامِ
المحمود والحوض المورود (١) .

اللَّهُمَّ اَرْضِ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيَّ ، وَعَنِ
أَصْحَابِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ وَزَوْجَاتِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ
الدين .

اللَّهُمَّ اَرْضِ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذِلِّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ
الدين . وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاحْمِ حَوْزَةَ الْإِسْلَامِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وَاحْفَظْ إِمَامِنَا ، وَاصْلِحْ وِلَاةَ أُمُورِنَا ، وَاكْفِنَا كُلَّ
أَمْرٍ يَهْمُنَا ، وَاحْفَظْنَا مِنَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَالْخِلَافَاتِ وَالْإِضْطِرَابَاتِ وَالْفِتَنِ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شَأْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ، وَانصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ
وَعَدُوِّهِمْ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ ،
وَاشْفِ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ .

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوا عَلَى نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ ، ﴿ وَلِذِكْرِ اللَّهِ
أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء ، آية ٧٩ ، وإلى حديث جابر بن
عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما برقم (٦١٤) ، الأذان ، باب (٨) : الدعاء
عند النداء ، الفتح : ٩٤/٢

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - من سورة البقرة أول السورة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، جعل لكل شيء علاماتٍ وموازين .
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .
 قوله حق ، ووعده صدق ، وأمره عدل ، ونهيه رحمة ، وجنده هم
 الغالبون ، وحزبه هم المفلحون .
 وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ،
 ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .
 اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن
 دعا بدعوته واتبع سبيله .

أما بعد ..

فأوصيكم أيها الناس وإياي بتقوى الله : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (٢) ، ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
 وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا ﴾ (٣)

ثم اعلموا أن بنى آدم ينقسمون في تقبل رسالة نبينا محمد ﷺ ثلاثة
 أصناف ، لا يخرج واحد من العالم عنها ، إنه تقسيم من عليم خبير .

(١) أُلقيت في ٢٤/٥/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة النساء : ١٣١

(٣) سورة النساء : ١٣٣

فالصنف الأول تلقوا شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالتصديق والقبول ، والسمع والطاعة ، والعمل . قلوبهم مؤهلة للانتفاع بالهدى ، وأسماعهم واعية لسماع البشير النذير ، وأبصارهم صافية لرؤية النور ، فاهتدوا بهدي القرآن العظيم ، وأبصروا النور الذي نزل مع النبي الكريم ، فاتصلت قلوبهم بخالقها رغبة ورهبة ، وذلت أبدانهم وخشعت قلوبهم وأرواحهم لربها خوفاً وطمعاً .

أثنى الله عليهم في كتابه ، وجعلهم شهداء على عباده : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ١ ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ ٢ ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْتَمِدُونَ ﴿ ٣ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَيَآخِرَةٌ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٤ ﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ ٥ ﴾

﴿ (١) ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٢) .

هؤلاء هم المتقون ، هم المؤمنون حقاً جمعوا بين الاعتقاد الصافي والعمل الخالص .

يؤمنون بالغيب ، بكل ما أخبر الله به ، وبكل ما أخبر به رسوله ﷺ ، وإن غاب عن الأبصار ، وإن علا فوق الإدراك الإنساني ، وإن عظم على الطاقة البشرية . . يؤمنون بخبر من قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وبما حولنا ، وإن غاب عن حواسنا ، يؤمنون باليوم الآخرة وبما فيه من الوعد والوعيد ، والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار .

(١) سورة البقرة : ١ - ٥

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ (١) ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢)

إن الإيمان بالغيب دليل العقل ، وكمال التصور ، فهو فارق بين الإنسان والحيوان ، فإذا لم يؤمن الإنسان بخالقه ، ولا بملائكته وكتبه ورسله ولا باليوم الآخرة ؛ فما هي ميزته إذاً عن بقية الحيوان ؟! الكل عظم ولحم ودم ، ويأكل ويشرب ، ويروح ويغدو ، وله رغبات وشهوات ، وانفعالات ، يحرص على النفع ويهرب من الضر بحسب إدراكه . هذه صفات مشتركة بين الإنسان والحيوان ، ويتميز الإنسان بالعقل الذي يحصل به التصور ويفكر به في المستقبل ، ويميز به بين الحق والباطل وبين العدل والظلم .

فما هي قيمة العقل ؟ وما هي ميزة الإنسان إذا كان الإنسان يعيش حياة الحيوان ، لا يتبصر في نفسه ولا يفكر من أين جاء ، ولا لأي شيء خلق ؟ وإلى أين يذهب ؟ ما هي قيمة الإنسان في الوجود إذا كان لا يؤمن بخالق الكون ؟

ليست القوة والغلبة والظلم والقهر مميزة للإنسان ، فالسبع المفترس يفعل ذلك ؛ ولم يخرج عن كونه حيواناً ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (٣) ، وإنما يتميز الإنسان عن الحيوان بالإيمان بالغيب .

أما الصنف الثاني : فرفضوا الرسالة المحمدية جهاراً ، ونصبوا لها ولأهلها العداوة والبغضاء علناً ، لأن قلوبهم مُغلقة بالران ، فلا تعرف الخير فتقبله ولا تعرف الشر فتكرهه ؛ ولا تميز بين المعروف والمنكر ، ولأن أسماعهم فيها

(١) سورة الزمر : ١٨

(٢) النساء : ٦٩

(٣) سورة الأعراف : ١٧٩

وقرّ ، فلا يسمعون داعى الله ، ولأن أبصارهم عمياء فلا ترى النور ، ولا تنظر إلى صراط الله المستقيم ، فهم فى طغيانهم يعمهون ، وفي ظلماتهم يتيهون : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ ﴾ حَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ ﴿ (١)

والصنف الثالث : لهم ظاهر وباطن . ظاهر مزيف كاذب وهو الإيمان ، وباطن حقيقي واقعي وهو الكفر ، ذلك بأن لهم أطماعاً وأهدافاً عند المؤمنين ، إما أموالٌ يخشون كسادها ، أو رئاسةٌ يخشون زوالها ، أو سياسة وخيانة يتربصون بها ، أو خشية من سطوة يلقونها .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ ﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَأَمَّنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ ﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿ (٢) . هؤلاء هم المنافقون ، فضحهم القرآن وبين أوصافهم ، وهي صفاتٌ ثابتةٌ ملازمةٌ لكل منافق في كل زمان ومكان .

اقرأوا أوصافهم في أول سورة البقرة ، وفي آخر الجزء الخامس في سورة النساء ، وفي سورة التوبة وسورة الأحزاب وسورة المنافقون

ومن أبرز صفاتهم الظاهرة ما ورد في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى

(١) سورة البقرة : ٦ - ٧

(٢) سورة البقرة : ٨ - ١٠

يدعها : إذا أؤمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر « (١) ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (٢) .

المنافق يكون صدره دائماً ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، فيتوجه للظن في الإسلام والنيل من علماء الإسلام ودعاة الإصلاح ، ويسعى

للتفريق بين المسلمين والإفساد بينهم ، وإيذاء المؤمنين : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ أَشْحَىٰ عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۗ مَلْعُونِينَ ۗ أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخَذُوا وَقْتًا لَوْ تَفْتِيلًا ۗ ﴾ (٣) ،

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۗ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ فَغَلَّهَ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكُونَ ۗ ﴾ (٤) ،

﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ۗ ﴾ (٥) ،

فاتقوا الله أيها المؤمنون واحرصوا على أن تكونوا من المهتدين واسألوا ربكم الثبات والاستقامة على صراطه المستقيم .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين ، وعبادك الصالحين ، واهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وبارك لنا في القرآن العظيم .. الخ

* *

(١) البخاري : من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : ٨٤/١ الإیمان من علامات النفاق ، مسلم : برقم (٥٨) في الإیمان .

(٢) سورة النساء : ١٤٥

(٣) سورة الأحزاب : ١٩

(٤) سورة الأحزاب : ٦١

(٥) سورة المنافقون : ٤

(٦) سورة التوبة : ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على ما هدانا ، ونشكره على ما أعطانا .
 وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له هو ناصرنا ومولانا .
 وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمةً للعالمين ،
 وحجةً على الكافرين .
 اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم
 بإحسان إلى يوم الدين .
 أما بعد ..

فكما أن القرآن الكريم بيّن أصناف الناس في هذه الدنيا ، في سورة البقرة .
 محذراً من الصنفين الهالكين ، ومبيّناً موقفهما من هذا الدين ومن المؤمنين .
 كذلك قسّم الخالق تعالى بنى آدم في يوم القيامة بعد البعث والنشور ثلاثة
 أزواج ، كما في سورة الواقعة : أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ،
 والسابقون المقربون (١) ، فالقسم الأول في هذه الدنيا ، صاروا في الآخرة
 زوجان ، أصحاب اليمين ، والمقربون .. بحسب مراتب النعيم والقرب من
 الله .

والقسمان الهالكان في هذه الدنيا صاروا يوم القيامة زوجاً واحداً وصنفاً

(١) إشارة إلى الآيات (٨ - ١١) من سورة الواقعة .

واحداً هم أصحاب الشمال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١) ، ثم بين سبحانه مصائر الأزواج الثلاثة وجزاءهم من نعيم وعذاب جزاءً مفصلاً ، إذا قرأه المتدبر فكأنه ينظر بعينه إلى واقع الحال . اقرأوا سورة الواقعة وتأملوها وتصوروا معانيها ، فستجدون أن الحس والشعور ينتقل بالمتأمل من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة النساء : ١٤٠

(٢) سورة الواقعة : ٩٥ - ٩٦

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ - استقبال القبلة (١)

من سورة البقرة تفسير ﴿ قد نرى قلب وجهك في السماء ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ

فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..

﴿ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ﴿ وَدِينِ

الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ (٤)

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وكفى بالله

وكيلاً .

أما بعد ..

فكان اليهود يتصيّدون كل حجة ، وكل شبهة ، وكل سيلة لينفذوا منها إلى

(١) أُلقيت في ٢٨ / ١٠ / ١٤٠١ هـ .

(٢) سورة سبأ : ١

(٣) سورة البقرة : ١٤٢

(٤) سورة الفتح : ٢٨

الطعن في رسالة محمد ﷺ إلى بلبلة الأفكار وإشاعة الاضطرابات في العقول والأفكار ، ولتشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم .

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١)

ومن جملة اعتراضات اليهود وتشكيكهم أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في المسجد الحرام ، وذلك أنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أُمرَ باستقبال بيت المقدس واستقبلها بضعة عشر شهراً ، ثم أُمرَ باستقبال الكعبة المشرفة في المسجد الحرام (٢) ، كما قال سبحانه :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (٣)

ولله في ذلك حكم هو أعلم بها ، والخالق تعالى يختبر عباده ليعلم من يتبع الرسول ، ابتلاء واختبار ، والإسلام يريد أن يكون المسلم متعلقاً بالله ، وأن يعلم أن مصدر قوته وكرامته تقوى الله وأن تكون عباداته مبنية على طاعة الله والانقياد له لا على العادة وتقاليد البيئة ، فجعلت القبلة إلى بيت المقدس ، وكان بيت المقدس قبلة اليهود ، فقالوا للمسلمين : إن تحولكم إلى قبلتنا دليل أنها هي الحق ، وأن ديننا هو الحق ، فأنتم تبع لنا . فشق ذلك على المسلمين فصار النبي ﷺ يشكو الحال إلى الله وينظر في السماء تأدباً مع الله ، ويقلب

(١) سورة البقرة : ١٢٠

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، بإسناد صحيح عنه ، وكما عزاه إليه الإمام ابن كثير في التفسير : ٣٣٩/١ ، والأحاديث كثيرة في هذا المعنى

(٣) سورة البقرة : ١٤٤

وجهه في السماء ينتظر الفرج من الله ، وبعد ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (١) ، وبعد أن انقاد المسلمون إلى أمر الله وأمر رسوله ﷺ في تحويل القبلة وعرف من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه (٢) ، وعرفوا اليهود وعداوتهم للإسلام والمسلمين ، حوّلت القبلة إلى المسجد الحرام ، فأبطل الله مقالة اليهود .

لكن ماذا كان موقفهم ؟ إنه الموقف الشائن العدائي لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمسلمين ، فألقوا شبهة أخرى ، فقالوا : إن كان استقبالكم لبيت المقدس سابقاً حق فتحولكم إلى المسجد الحرام باطل ، وإن كان تحولكم إلى البيت الحرام حق فاستقبالكم لبيت المقدس باطل ، فصلاتكم إليه باطلة . فرد الله على اليهود بقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ (٤) .

فبين سبحانه أن الكل حق مبنى على أمر الله ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فالخلق خلقه والأمر أمره ، وبين أن صلاة المسلمين إلى بيت المقدس لا تضيع ، وبين أن البيت العتيق أحق أن يُستقبل ويُقصد في العبادات لأنه أول بيت وُضِعَ للناس بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجعله قبلة ، ولأن فيه

(١) أورده الإمام ابن كثير في التفسير : ٣٣٩/١ عن البراء بن عازب رضي الله عنه دون العزو إلى أحد المخرجين ، وهو حديث صحيح أخرجه البخارى برقم (٧٢٥٢) ، الفتح : ٢٣٢/١٣

(٢) إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة : ١٤٢

(٤) سورة البقرة : ١٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير من سورة آل عمران ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي أَلَفَ بين قلوب المؤمنين وجعلهم إخوة متحابين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الملك الحق المبين .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، وقائد الغر
المحجلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فإن الحج ركن من أركان الإسلام ، فَرَضُ عَيْنٍ على كل مسلم مكلف حر
يستطيع إليه سبيلاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٢) ، وقوله صلى الله عليه
وسلم : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله
الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً » (٣) . وإنما يجب الحج في العمر مرة واحدة
تخفيفاً لهذه الأمة ورحمة بها ، لما روي أبو هريرة رضي الله عنه قال : خطب

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) سورة آل عمران : ٩٧

(٣) صحيح البخارى كتاب « الإيمان » باب : دعائكم إيمانكم : ١ / ، ومسلم في
كتاب « الإيمان » باب : بيان أركان الإسلام : ٢٢ / ١٦ ، والنسائي في الإيمان ، باب : على
كم بني الإسلام : ١٠٧ / ٨ ، وأبو عبيد في « الإيمان » : ٥٩ / ٤ وغيرهم .

رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس ؛ إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ، فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « لو قلتُ نعم لوجبتُ ولما استطعتم » (١) .

فالحمد لله على لطفه وتيسيره ، والاستطاعة شرط في وجوب الحج ، وهي ما يُمكن من الوصول إلى البيت الحرام ، فيدخل فيها الزاد والراحلة وأمن الطريق والقدرة على الركوب ، ووجود المحرم للمرأة .

فمن استطاع الحج وهو من أهله وجب عليه وصار ديناً لله في عنقه ، ودين الله أحق بالوفاء ، فليبادر بأدائه ، فإنه لا يدري ماذا تعرض له في حياته ، فالإنسان في هذه الدنيا غرض لسهامها : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، ويجب أن يختار النفقة الطيبة ، وهي التي من كسب حلال ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (٣) .

وأما من لم يستطع فلا يجب عليه الحج ، ولا يلزمه أن يستدين ليحج ، ولا يجوز له أن يسأل الناس ليحج : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٤) فاتقوا الله أيها المسلمون ، أدؤوا فرائض دينكم ، واحكموا بأحكامه ،

(١) موطأ الإمام مالك : ١٥/١ ، ٢٩٣/٣

(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ . طريق يزيد بن هارون والنسائي : ١١٠/٥ ، ١١١ في المناسك ، باب : وجوب الحج عن المغيرة بن سلمة ، ومسلم في الحج ، باب : فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧) ، والبيهقي : ٣٢٦/٤

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، البخاري برقم (١٤٠١) ،

الفتح : ٢٧٨/٣

(٤) سورة البقرة : ٢٨٦

واهتدوا بهداه ، واقراءوا كلامه ، وعظّموا شعائره ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ

فَأِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿ (١) ..

وصلُّوا على البشير النذير (٢) .

* * *

(١) سورة الحج : ٣٢

(٢) إشارة إلى الأحزاب ، آية رقم ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤ - تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة (١)

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين .. ﴿ نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَشْرَارِهِمْ بِسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٤) .

أما بعد ..

فإن أماننا كتاباً مفتوحاً يقرؤه كل أحد .. يقرؤه المتعلم والأُمِّي ، ويقرؤه العربي وغير العربي ، صفحاته تُقَلَّبُ في كل لحظة ، وفي كل ساعة ، وفي كل يوم وليلة . إنه مفتوح دائماً أمام أعين الناس ، ولكنهم عن تأمله غافلون ،

(١) أُلقيت في ٢٤/٥/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفرقان : ٦١

(٣) سورة الفرقان : ٦٢

(٤) سورة الذاريات : ١٧ - ١٨

يُعبر عن القدرة الإلهية ، هو هذا الوجود الذي نراه بأعيننا ولكن قلوبنا عن أسراراه وغاياته وفوائده ومدلولاته غافلة ، إننا نرى في كل حركة من هذا الوجود وفي كل سكون صفحة جديدة ، فيها عبرٌ ومواعظٌ ، فيها آياتٌ بيّنات دالة على كمال قدرة الله الذي خلق هذا الكون وسيره على نظامه .

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَاهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٢) . هذا هو الكتاب المفتوح لبني آدم ، مفتوح لأهل الإدراك الصحيح ، الذين يفتحون بصائرهم لمطالعة آيات الله الكونية ، فهم الذين يدركون حقيقة هذا الوجود وأهدافه وغاياته : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣) .

هذه السماء التي نراها سقفاً محفوظاً في ارتفاعها واتساعها وكواكبها وأفلاكها . وهذه الأرض في كثافتها وما عليها وما في باطنها ، وما يخرج منها آيات لقوم يعقلون (٤) ، وفي كل شمس مشرقة ، وفي كل ليلة مظلمة ، وفي كل مولود يولد ، وفي كل نفس تموت ، وفي تجديد الاختراع وتطور الصناعات وتنوعها آيات ، في كل فلك تجري على سطح الماء وتشق جبال الأمواج ، في كل طير مسخر في جو السماء ، وفي كل طائرة تسبح في الفضاء

(١) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠

(٢) سورة البقرة : ١٦٤

(٣) سورة الزمر : ١٨

(٤) إشارة إلى الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

بين الأرض وبين السماء ، وفي تصريف الرياح بين الجهات ، وتقلبها من الحرارة إلى البرودة إلى الاعتدال ، في تراكم السحاب وفي نزول الماء على الأرض ، وفي كل حية تنبت بعد أن كانت ميتة يابسة آيات .

في هذه المخلوقات المتنوعة في البر والبحر عوالم متألّفة ومتنافرة ، في كل ما يقع عليه بصر إنسان ، وفي كل ما يقرع سمعه ، وفي كل صغيرة وكبيرة ، وفي كل رطب ويابس آيات بينات دالة على وحدانية الله تعالى وكمال حكمته وسعة رحمته ، وأن المعاد إليه ضرورة من ضروريات هذا الوجود : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَاعِمْ لَوْ وَبَجَزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (١) .

كثير من الناس غافل عن أسرار هذا الكون ، وإن كانوا يعرفون بعض الأمور التي تنفع قوماً وتضر آخرين في هذه الدنيا ؛ لأن الألفة والمعاصرة لهذه الآيات جعلت القلوب في غفلة ، فهو شيء مألوف عادي عندهم ، فانصرفوا إلى ما ينفع في هذه الحياة الغانية عما ينفع في الحياة الدائمة : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غفلون ﴾ (٢) .

فلو أن الناس تلقوا مشهداً جديداً لم يألفوه ، مثل مشهد مما ألقوه ، لارتعشت له الأبدان ، ولرجفت له القلوب ، ولشخصت له الأبصار ، ولارتبكت له الأحاسيس والمشاعر . فلو طلعت الشمس في مغربها وهو متوقع في كل يوم ، فماذا تكون حال الناس ، لأنه تغير للنظام الذي ألقوه في سيرها ، وإيدان بتغيير نظام هذا الكون كله وفناء الدنيا : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ۚ ﴾ (٣) ، ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ ﴾ (٤) ، ﴿ إِذَا الشَّمْسُ

(١) سورة النجم : ٣١

(٢) سورة الروم : ٧

(٣) سورة الزلزلة : ١ - ٣

(٤) سورة المعارج : ٨ - ٩

كُورَتْ ١ وَإِذَا التُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ ﴿١﴾ إِذَا السَّمَاءُ
 أَنْفَطَرَتْ ٤ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ فِجْرَتْ ٦ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ٧ ﴿٢﴾
 ، ماذا تكون حالك أيها الإنسان ، حينئذ تعرف أن خالق هذا
 الكون هو الله الواحد الأحد ، حينئذ تعرف أن مُدَبِّر هذا الوجود هو الله
 الواحد القهار ، حينئذ تعرف حقائق هذا الكون وحكمته وغايته .

لو أن العلوم الحديثة التي تتصل بهذا الكون وتبحث في خصائصه وتكشف
 عن بعض أسراره مما ينفع أو يضر ، لو اتصلت هذه العلوم بالتفكر والتدبر
 لاتصلت بخالق الخلق ولأدرت عظمتة ووحدانيته وكمال قدرته ، ولو حصل
 ذلك لاستقامت الحياة ولم يظلم أحد أحداً ، ولم يبيغ أحد على أحد ، ولم
 يعتد أحد على أحد ، ولكن الاتجاه المادي يقطع الصلة بين الإنسان وخالقه ،
 ويقطع ما بين العلوم الكونية والحقيقية الأزلية . والله حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى
 يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٣﴾

فاتقوا الله أيها المسلمون . . تفكروا في آيات الله ومخلوقاته ، وانظروا إلى
 ما بين أيديكم وما خلفكم من دلائل قدرة الله ووحدانيته ، فإن تفكر ساعة
 خير من قيام ليلة (٤) ، والتفكر في نعم الله أعظم العبادة ، وخيرها للإنسان
 ما جُمع فيها بين التفكير والذكر والإنابة .

(١) سورة التكوير : ١ - ٣

(٢) سورة الانفطار : ١ - ٤

(٣) سورة يونس : ٩٩

(٤) إشارة إلى قول الحسن البصري رحمه الله تعالى ، بهذا اللفظ من كلامه ، وذكره
 الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ١٧٦/٢ ، ولكن السيوطي قد عزا
 في الدر المنثور هذا الأثر : ٤٠٩/٢ إلى ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه وقال :
 أخرجه أبو الشيخ في العظمة ، ثم قال : وأخرج ابن سعد عن أبي الدرداء مثله ، ثم
 قال : وأخرج الدلمي عن أنس مرفوعاً . والله أعلم بصحة الإسناد مرفوعاً . . .

اللَّهُم افتح بصائرنا لمعرفة آياتك ، وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك ،
واجعل قلوبنا خاشعة لعظمتك ، وألسنتنا عامرة بذكرك ، وجوارحنا مُنقادة
لطاعتك وعبادتك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وذُرِّيَّاتنا وجميع المسلمين إنك
أنت الغفور الرحيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القوة النفسية توجه العقل

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بكرة وأصيلاً .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

أما بعد ..

فإن القوة العقلية في الإنسان تتوجه حيث تصرفها القوة النفسية والرغبة الذاتية ، فإن كانت قوة الإيمان متحكمة في النفس صرفت العقل إلى الخير والسعادة ، إلى القاعدة التي انطلق منها إلى خالقه ، إلى خالق هذا الوجود ، فكانت له الاستقامة والتوجيه الصحيح السليم .

وإن كانت الشهوات والغرور متحكمة في النفس وجَّهت العقل إلى أطماعها ورغباتها ، فهو ينحط بانحطاطها ، ويتدهور بتدهورها .

انظر إلى المذيع إذا وجَّه إلى أي محطة توجه إليها . يستمد منها ويأخذ ما يقال فيها ، وكذلك العقل البشري تُوجَّهه القوة النفسية ، فإن كانت قوة خير وهدى توجهت إلى مصادر الخير والهدى ، وإن كانت قوة شر وظلم وكفر توجه إلى مصادر الشر والظلم . وإرادة الله تعالى وقدرته فوق كل

قدرة : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى

الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ . ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي
الآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها الناس . اتقوا الله أيها المسلمون . تعرفوا إلى الله في
الرخاء يعرفكم في الشدة .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير ، فقال
تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود
والحوض المردود .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، وارض عنها معهم .

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين .

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان .

اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا .

اللَّهُمَّ فرِّج عن المهمومين ، واقض الدين عن المدينين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة يونس : ١٠٠

(٢) سورة يونس : ١٠١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

(٤) سورة النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥ - تفسير الآية (١٨٣) من سورة البقرة (١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥٦ ﴾ (٢) ، نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بالصبر ووعده الصابرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ الله تبارك وتعالى لما خلق الإنسان ، وسخرَّ له ما في الأرض

جميعاً (٤) ، وفضَّله على كثير من خلق تفضيلاً (٥) ، خلقه لتحمل أمانة

ثقيلة ، وأداء رسالة كريمة .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

يُطْعَمُونِ ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨ ﴾ (٦) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ

(١) ألقيت في

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٢٥٧ من سورة البقرة ، و٦٨ من سورة وآل عمران .

(٤) إشارة إلى الآية ١٣ من سورة الجاثية .

(٥) إشارة إلى الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

(٦) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴿١﴾ ،

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾ .

ولما كان الإنسان يتوارد عليه عدد من العوامل : نفسٌ أمارة بالسوء (٣) ، وشهوات البطن والفرج ، وإبليس أشد الخلق عداوة للإنسان ، فقد أقسم إبليس أيماناً مغلظة أن يضل بني آدم عن طريق الرشد إلى طريق الغي ، وأن يصرفهم عن طريق النعيم إلى طريق الجحيم ، وأن يُغويهم عن طريق الهدى والنور إلى طريق الظلمات والغرور (٤) .

فالإنسان إذاً في أشد الحاجة إلى خالقه ليحفظه مما يحيط به ، أو ليعينه على ما خُلِقَ من أجله .

والله تبارك وتعالى ما كان ليخلق الإنسان ويكلفه ويهمله بل أحاطه بكل الرعاية والضمانات : ﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿٥﴾ .

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) سورة الأعراف : ١٧٣ - ١٧٤

(٣) إشارة إلى الآية ٥٣ من سورة يوسف .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٩ من سورة الحجر ، و٨٢ من سورة ص .

(٥) سورة البقرة : ٣٨ - ٣٩

(٦) سورة طه : ١٢٣ - ١٢٤

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١)

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢)

ومع هذه العناية الربانية بالإنسان ، فقد كان التشريع يُلاحظ خصائص الإنسان وضعفه وما يحيط به ، فمع السماحة واليسر في التكليف نجد في مقدمة النص أو في أثنائه أو في خاتمته ما يُرغّب النفس في التلقي والانقياد ، وما يحثها على التحمل والعمل والاحتساب .

وبين أيدينا الآن ثلاث آيات من سورة البقرة توضح مشروعية صيام شهر رمضان . ومنها تتجلى مراعاة النصوص الشرعية لخصائص الإنسان وطبيعته ، ومنها تتضح رحمة الخالق تبارك وتعالى بعباده المؤمنين ورأفته بهم وكرمه عليهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥) (٣)

كل جملة من هذه الآيات فيها تحريكٌ لنشاط المسلم على حسن الانقياد والامتثال ، فلعلنا نتأملها مع مراعاة المقام . ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ : نداء

(٢) سورة البقرة : ١٨٦

(١) سورة النحل : ٣٦

(٣) سورة البقرة : ١٨٣ - ١٨٥

بتلك الصفة التي امتاز المؤمنون بها وفيه تذكير لهم بحقيقتهم الأصلية التي فُطروا عليها . وفي إطلاق الصيام دون عدد وزمن ، تشويقٌ للنفس وحثٌ لها على الأمل في أن يكون المفروض لا مشقة فيه . وفي بيان أن الصيام عبادةٌ مفروضة على مَنْ قبلنا ولم يكن خاصاً بنا ، في ذلك تأس وحث على المنافسة في العمل .

والتقوى بُغية كل مسلم وأمنية كل مؤمن ، وما دام أن الصيام سبب للتقوى فسوف يتلقاه المؤمن بالسمع والطاعة . وفي الرخصة للمريض والمسافر بالفِطر والقضاء سماحة ويسر ، وترغيب الصحيح والمقيم على حسن الأداء .

وتخير الذي يطبق الصيام (في بادئ الأمر) بين الإطعام والفِطر ، وبين الصيام ، ترويض للنفس البشرية على هذه العبادة التي تُقاوم شهوات البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فروعياً فيها التدرج والتلطف . وفي الحث على زيادة الإطعام لأكثر من مسكين ترغيبٌ للنفس في زيادة الخير ووعدٌ عليه بالخير .

وفي حث المطبق على الصيام بعد التخيير بيان لأفضل الحالين وأحبهما إلى الله وأعظمها أجراً عنده ، ولأن الصيام هو أقوى العوامل لإعداد النفس وتمرينها على الصبر والتحمل ، وهو ميدان تقرير الإرادة العازمة الجازمة ، فهو اتصال بالخالق تعالى اتصال طاعة وانقياد ، وهو سرٌّ بين العبد وربّه ، وهو المحك لصدق الإيمان والاستعلاء على رغبات الجسد وشهوات النفس .

والآية الثالثة تحدد ما أطلق في الأولى والثانية ، وتحدد كميةً وزمناً الأيام المعدودات للصيام ، وهو شهر رمضان ، وألزمت الذي يطبق الصيام بصيامه ولا خيار له ، وبقيت الرخصة للمريض والمسافر يُفطران ويقضيان . أما المريض الزمن والشيوخ الكبير لا يطبق الصيام فيفطر ويُطعم عن كل يوم مسكيناً (١)

(١) إشارة إلى الآية ١٨٣ من سورة البقرة ، وقد وردت في هذا الأحاديث الكثيرة في الصحاح والسند والمسانيد والمعاجم .

وإذا تأملنا اختيار هذا الشهر لهذه الفريضة ، فقد أشارت الآية إلى شيء من خصائص هذا الشهر : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾^(١) فهذا دليل على أن هذا الشهر مفضل ومقدس ، فالقرآن الذي أنزل فيه هو نظام المسلم في كل مرافق حياته ، وهو نظام الدولة المسلمة في كل ميادين أعمالها وسياساتها . فقد أخرج الله به أمة من الظلمات إلى النور ، ورفعها به من الذلة إلى العزة والسيادة ، ونظّم حياتها وحفظ أمنها واستقرارها . والأمة المسلمة ليست بشيء يذكر بدون هذا القرآن . لا عزة لهم في الأرض ولا ذكر لهم في السماء إلا باتباع القرآن .

وأيضاً فإن في شهر رمضان ليلة القدر التي أنزلت فيها سورة كاملة^(٢) تبين فضلها وعظيم قدرها ، وحجم كسب المسلم فيها .

فجدير بالمسلم إذاً أن يتلقى فريضة الصيام بالسمع والطاعة ، وأن يصوم هذا الشهر بإيمان واحتساب ونية صادقة ، طاعةً لله ورغبةً فيما عند الله وتعبداً لله ، فهو الركن الرابع^(٣) من أركان الإسلام . من صامه وأقام بقية الأركان ، فقد أقام دينه ، ومن لم يصمه مع القدرة وبدون عذر ، فقد هدم دينه .

فانتقوا الله أيها المسلمون . ما هو عذرك أيها المسلم وأنت صحيح قوي مقيم تتبّع شهواتك في نهار رمضان ولا تصوم ؟

ما هو عذرك أيها المسلم وقد آتاك الله المال والصحة والأمن ، تلعب بشعائر الله ؟ كيف تدّعي الإسلام ولا تلتزم بنظام الإسلام ؟ ألا تستحي من

(١) سورة البقرة : ١٨٥

(٢) هي سورة القدر : ١ - ٥ ، وأشار إليها في أول سورة الدخان .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند البخاري : ٩/١ باب :

دعاءكم إيمانكم ، وفيه بيان أركان الإسلام ، وفي : ٣٢/٦

الله ؟ توبوا إلى الله وأنيبوا إليه : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّ
 اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ (١)

اللهم إننا نستغفرك وتتوب إليك ، فاغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ، إنك أنت
 الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَمَّةُ تَفْسِيرِ آيَةِ الصِّيَامِ النِّيَّةُ شَرْطٌ فِي الصِّيَامِ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
اتبع سبيلهم بإحسان .

أما بعد ..

فلعل هذا اليوم هو آخر جمعة في شعبان ، فأذكركم بما رواه ابن خزيمة في
صحيحه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ
في آخر يوم من شعبان قال : « أيها الناس ؛ قد أظلكم شهر عظيم مبارك ،
شهر فيه ليلةٌ خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضةً وقيام ليله توعاً ،
من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى
فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه (٢) ، وهو شهر الصبر ،

(١) سورة غافر : ١

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٧) ، وهو
من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤٤٦/١ -
٤٤٧ إلى عدة ، وقال ابن خزيمة : إن صح الخبر فيه ، وفيه علي بن زيد بن جدعان
وهو من رجال مسلم .

والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه « (١) . مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعَتَقَ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ » (٢) .

« وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار » (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، استقبلوا شهركم بإيمان واحتساب ، وعزيمة صادقة على صيام نهاره وقيام ما تيسر من ليله .

واعلموا أن الصيام كسائر العبادات تُشترط لها النيّة إجماعاً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » (٤) ، والنيّة عزم القلب على فعل العباداة ومحلّها القلب في كل العبادات ، ولم يرد التلّفظ بالنية إلا عند الإحرام للحج أو العمرة ، وعند ذبح الهدّي أو الأضحية (٥) .

(١) إشارة إلى حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤٤٦/١ - ٤٤٧ إلى العقيلي أبي جعفر وضعّفه ، وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والخطيب والأصبهاني في الترغيب ، ثم ذكره بلفظه بسياق طويل وفيه هذا اللفظ .

(٢) هذا هو نفس الحديث الذي مضى الآن من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عزاه له السيوطي في الدر المنثور : ٤٤٧/١ إلى عدة مصادر وفي إسناده ضعف .

(٣) هو نفس هذا الحديث بسياق طويل ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٧) من حديث سلمان الفارسي .

(٤) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرجه جميع أصحاب الحديث ، منهم البخاري : ٢/١ ، وعقد عليه الباب قائلاً : الباب الأول كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، قلت : إن هذا الباب يشعر في نظر البخاري أن هذا أول وحي غير متلو إلى رسول الله ﷺ .

(٥) إشارة إلى حديث الترمذي معلقاً ، الباب العاشر من الأضاحي ، وفيه تصريح هذا عن لم يضح من أمتي . أخرجه أبو داود مسنداً برقم (٢٨١٠) ، والترمذي برقم (٢٥٢١) ، ومن حديث جابر رضي الله عنه .

ووقت النية في الصيام من الليل . لما أخرج أبو داود والترمذي بسند متصل عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وعن أبيها عمر بن الخطاب ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتْ النِّيَّةَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ لَهُ » (١) . وفي حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتْ الصِّيَامَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ » (رواه الدارمي) (٢) .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه

العزير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

* * *

(١) إشارة إلى حديث حفصة رضي الله عنها مرفوعاً ، أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان وابن خزيمة والدارمي برقم (١٧٠٥) ، الباب العاشر ، وقال : باب مَنْ لَمْ يَجْمَعْ الصُّومَ مِنَ اللَّيْلِ ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٢٠٢/٤ ، وعقد عليه الباب قائلاً : باب الدخول في الصوم بالنية ، وذكر له الطرق العديدة من جملة كبيرة من أصحاب النبي ﷺ ، منهم حفصة زوج النبي ﷺ ، وعائشة رضي الله عنها ، ثم قال نقلاً عن الدارقطني في آخر الباب : (٢٠٣/٤) : رجال إسناده كلهم ثقات .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦ - تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة (١)

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْمَسْئُورَاتِ الْفَالِغِينَ ١٢٨ ﴾ (٢) ، جعل الأموال للناس قياماً محببةً

للفنوس وجمالاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قَسَمَ المعاش في هذه الحياة ، ورفع بعض الناس فوق بعض درجات (٣) .

وتقوى الله أفضل ما يطلب وخير ما يُقْتَنَى ، والقناعة كنز لا يفند .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨ ﴾ (٤) .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فبين أيدينا آيةٌ من سورة البقرة موجزةً اللفظ واسعةً المعنى شاملةً المدلول ،

(١) أُلقيت في ٢٦ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام آية رقم ١٦٥

(٤) سورة التوبة : ١٢٨

تقرر قاعدة من قواعد التعامل بالأموال ، وترسم النظام الذي يجب أن يكون عليه الترافع إلى القضاء ، هي قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وفي مصحف أبي بن كعب (٢) : « ولا تدلوا بها إلى الحكام » ، بتكرير : « لا » الناهية .

إنه من مصلحة استثمار الأموال وكثرة الكسب ، أن يكون التعامل بين الناس بالصدق والسماحة وحُسن الأخذ والعطاء ، وعلى وفق النظام الذي شرعه رب الناس ، لتحصل البركة والإقبال ، ولتحصل الثقة ولتكثر الحركة .

والخطاب في الآية لأمة محمد ﷺ ، كما يدل عليه سياق الآيات التي قبلها . والحكم عام لجميع الناس ، وإنما وُجّه الخطاب إلى هذه الأمة لأنها هي المسئولة أمام الله عن تبليغ رسالة نبينا محمد ﷺ وتنفيذها ، ولأنها هي الأمة المهيأة من قِبَل الله لقيادة البشر لنشر العدل ورفع الظلم ووضع الأمن ، ولقد كانت كذلك حينما كانت متمسكة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، معتصمة بحبل الله ، صادقة وعدها مع الله ، فلما تخلّت عن القواعد التي هيأتها للقيادة ، أخذت منها وسلبت حقوقها وصارت في مؤخرة الركب ، تابعة لا متبوعة ، مستضعفة محتقرة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فנסأل الله أن يردها إلى ربها وإلى كتابها وإلى عزها ومجدها ، وأن يُعيد لها وظيفتها في هذه الحياة ، إنه على كل شيء قدير .

تأملوا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (٣) لما كان

(١) سورة البقرة : ١٨٨

(٢) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره في هذا الموضع من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة : ١٨٨

أغلب مقاصد الإنسان في تحصيل المال والحرص عليه هو توفير اللذات والمشتريات ، وأهمُّها وفي مقدمتها شهوة البطن وهي تحصيل الأكل ، نصَّت الآية الكريمة على النهي عن الأكل ، والمراد النهي عن جميع التصرفات الباطلة كسباً وصرفاً وانتفاعاً ، سواء بالأكل أو بغيره كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ ﴾ (١) .

ونسبة الأموال للمخاطبين يدخل تحته نهى الإنسان عن التصرف الباطل في مال نفسه ، فيحرم عليه أن يصرفه فيما حرم الله مثل المسكرات والمخدرات والزنا واللواط ، وآنية الذهب والفضة والإسراف والتبذير وغير ذلك مما نهت عنه شريعة الإسلام (٢) .

كما يدخل تحت معنى الآية : النهي عن تعامل الناس بعضهم مع بعض بالباطل ، فنسبة الأموال إذاً للمخاطبين فيه تحريك للمشاعر الحية ، وتأنيب لمن يأخذ أموال الناس بغير حق . وذلك أن الأمة الواحدة بمنزلة الشخص الواحد ، فمال أخيك كأنه مالك ، يجب أن تحترمه وأن تحرص على صيانته كما تحرص على مالك ، فمن أخذ مال غيره بطريق غير مشروع فقد أكله بالباطل مثل القمار (٣) والسرقة والاختلاس وأنواع الغُصوب .

(١) سورة النساء : ١٠

(٢) جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد وردت في هذا المعنى الواضح ، ومنها ما ورد في النهي عن استعمال الأواني الذهبية والفضية ما أخرجه البخاري في الصحيح كتاب « الأطعمة » باب : ٢٩ ، وحديث رقم (٥٤٢٦) ، وهو من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، وهو يحدث عن حذيفة رضي الله عنه بسياق طويل وفيه هذا المعنى .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، البخاري برقم (٦١٠٧) الأدب ، ومسلم في الصحيح : الإيمان برقم (خاص ٥) ، و (عام ١٦٤٧) ، وفيه : « من قال لأحد : تعال أقامرك فليصدق » ، ومن هنا كان القمار محرماً . .

وكلُّ مالٍ اكتسب بعُقُودٍ محرَّمةٍ مثل الربا بجميع أنواعه وطرقه وأساليبه ،
ومهر البغي (١) ، وحُلُوان الكاهن (٢) ، وعَسَب الفحل (٣) ، وأثمان
المحرَّمات بجميع أنواعها وأجناسها ... كل ذلك أكل للمال بالباطل .

إنَّ من أقبح الباطل أن يدَّعي إنسان على آخر بما لا يستحقه أو يجحدَه
ما يستحقه . ويترافعان إلى القاضي ، ولعل بعضهم أن يكون ألحن بالحُجَّة من
الآخر (٤) ، أو يحضر بيَّنة زور أو يحلف كذباً ، فيأخذ من مال أخيه بدون
حق ، فما يأخذه الكاذب عار ونار .

وكثيراً ما تحصل الخلافات والخصومات بين الملاك والمقاولين على بناء
العمائر ، فبعضهم يكون ماکراً يُخطط للخبث عند التعاقد ، فيترك في العقد
فجوات يعرف كيف يدخل ويخرج منها ، فإذا بالمقاول يترك بعض الأعمال
بأنها لا تلزمه ويطلب عليها أجراً آخر ، أو يحسب لنفسه من المسطحات ما لا
يستحق ، أو يزيد في المقاسات ، وغير ذلك من المغالطات ، وإذا بالمالك هو
الآخر يزعم بأن في البناء نواقص أو أخطاء أو سوء مواد أو سوء مصنعية ،
وغير ذلك من التعليلات ، فيماطل بحق المقاول ويطالب بحسم ما يدَّعيه فما
يأخذه أحدهما بلا حق باطل حرام .

وصنف آخر يأخذ أموال الناس ويتصرف فيها تصرفات سيئة ، فإذا حلَّ

(١) إشارة إلى حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، البخاري في البيوع ،
الفتح : ٣٥٣/٤ ، ومسلم برقم (١٥٦٧) ، باب : ما جاء في ثمن الكلب .

(٢) هو نفس هذا الحديث أخرجه الشيخان ومالك في موطنه : ٦٥٦/١

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، مسلم في الصحيح في المساقاة
برقم (خاص ٣٥) ، و (عام ١٥٦٥) ، والبخاري : الإجارة : ٣٧٩/٤

(٤) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها ، البخاري برقم (٢٦٨٠) الشهادات ،
ومسلم : الأفضية ، حديث رقم (خاص ٤) .

الأجل ادعى الإعسار لِتُسَدَّدَ عنه لجنةُ الوفاءِ عن المعسرين ، وبعضهم يحتال على أخذ المال بلا حق ويحرم المستحق ، فيتفق مع بعض أصدقائه أو أقربائه على إقامة دعاوٍ صورية ضده ، فيعترف بها ، ثم يدعى الإعسار ليتحصل على أموال من اللجنة أكثر مما عليه ، وهذا مع أنه أكلٌ لأموال الناس بالباطل ، فإنه يضرُّ بالمدينين الآخرين فيضيق عليهم الأموال المعدة للوفاء عنهم .

ويجب أن يعلم كلُّ مدعٍ ومدعى عليه أن حكم القاضي لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً ، فما يأخذه المحكوم له من مال الآخر (١) وهو لا يستحقه في حقيقة الأمر ، فإنه حرام عليه لا يحل له ، إنما هو عار ودمار وخزي ونار .

والقاضي مأجور إذا اجتهد على اجتهاده ، ومأجور إذا أصاب على صوابه (٢) . استمعوا قول الصفوة المطهر - صلى الله عليه وسلم - عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحنُ بحجته من بعض ، فمن قضيتُ له بحق أخيه شيئاً - بقوله - فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » . (متفق عليه واللفظ من صحيح البخاري) (٣) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتطع حق امرئ مسلم

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها ، البخاري : (٢٦٨٠) الشهادات ، ومسلم : الأفضية برقم (خاص ٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، البخاري برقم (٧٣٥٢) الاعتصام ، باب : ٢١ ، ومسلم : الأفضية ، حديث رقم (خاص ١٥) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) هو حديث أم سلمة رضي الله عنها ، رواه البخاري : ٢٣٥ / ٣ ، باب : النية بعد اليمين من كتاب « الشهادات » ، فتح الباري : ٢٨٨ / ٥ (٢٦٨٠) الشهادات ، ومسلم : الأفضية برقم (٤) .

بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة ، فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيباً من أراك » (رواه مسلم) (١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ادَّعى ما ليس له ، فليس منا وليتّبوا مقعده من النار » . (رواه مسلم) (٢) .

فحكم القاضي يتعلق بالظاهر بحسب الدلائل والحجج والبيّنات ، فيقطع النزاع ويرفع الخلاف ولا يغيّر شيئاً من حكم الباطن ولا شيئاً مما عليه واقع الحال .

فالحلال ما أحلّ الله ورسوله ، والحرام ما حرّم الله ورسوله ، والقاضي لا يُحلّل ولا يحرّم ، وسواء أكان ذلك في الأموال أو في الدماء أو في الأعراس والفروج (٣) .

واعلموا أيها المتخاصمون أنّ من قُضي له بما لا يستحق على خصمه ، فإنّ هذه الخصومة لم تنته حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فيقضي بينهما بالحق والعدل ، فيأخذ من الظالم ويعطي المظلوم أجود مما أخذ منه في الدنيا .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . راقبوا ربكم ، ﴿ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ (٤)

(١) مسلم في الصحيح في « الإيمان » ، حديث رقم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) مسلم في الصحيح كتاب « الإيمان » حديث رقم (خاص ١١٢) ، و (عام ٦١) وهو من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) إشارة إلى ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه . انظر : الهداية : ١٤٢/١ ، ٧٨/٣ ، وشرح السنّة للإمام البغوي : ١١١/١٠ - ١١٢ ، وحديث أم سلمة رضي الله عنها يرد على هذا المذهب .

(٤) سورة لقمان : ٣٣

اتقوا يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .
يجب على المسلم أن يحترزَ من حقوق الناس ، وأن يميز بين الحق والباطل
وبين الحلال والحرام ، وبين العدل والظلم . يحرم على المسلم أن يدلي إلى
القضاء بدعوى كاذبة ، ويحرم على المسلم أن يدلي بإجابة كاذبة ليأخذ مال
أخيه ، يحرم على المسلم أن يماطل بالحق الذي عليه فمطل الغنى ظلم ،
يحرم عليه أن يحاول إطالة المحاكمة وتأخير التنفيذ للإضرار بصاحبه والتشفي

منه .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٣٠﴾
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
سَيْرًا ﴿٣١﴾ (٢) .

وإنما شرعت الخصومات للأخذ من الظالم للمظلوم .

قال الخليفة الراشد رضي الله عنه : « القوي منكم عندي ضعيف حتى آخذ
منه الحق ، والضعيفُ عندي قوي حتى آخذ له الحق » (٣) . رحم الله امرأً
سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى (٤)
يعطي الحق الذي عليه كما يحب أن يُعطى الحق الذي له ، « لا يؤمن أحدكم
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٥) .

(١) سورة الشعراء : ٨٩

(٢) سورة النساء : ٢٩ - ٣٠

(٣) إشارة إلى خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أو خطبة عمر بن عبد العزيز
رحمه الله تعالى .

(٤) في البيوع ، باب : السهولة والسماحة في الشراء والبيع : ٢٦٠ / ٤ الفتح ،

والترمذي في جامعه برقم (١٣٢٠) البيوع من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري .

(٥) البخاري : الإيمان : ٥٣ / ١ ، ٥٤ الفتح ، وهو من حديث أنس بن مالك

رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٤٥) .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رَشْدَنَا ، وَقِنَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .
اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .
اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تتمة تفسير الآية ١٨٨ من سورة البقرة
يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحُكْدُ لِلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله في السر والعلن ، وأوصي الإخوة الذين
يقومون على حوائج المسلمين بما وصَّى به النبي ﷺ عمَّاله .

فقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى ومعاذ بن جبل حينما بعثهما إلى
اليمن : « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » (متفق
عليه) (٢) .

وأحذَّروهم مما حذَّر منه صلى الله عليه وسلم ، فعن عبد الله بن عمر

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) البخارى في كتاب « المغازي » من جامعه : ٥٠ / ٨ ، باب : بعث أبي موسى
ومعاذ إلى اليمن ، ومسلم في الجهاد برقم (١٧٣٣) من هذا الوجه واللفظ بسياق
طويل .

رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » (متفق عليه) (١) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فرفق به » (رواه مسلم) (٢) .

وعنها أيضاً - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من السابقون إلى ظل الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « الذين إذا أُعطاوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوا بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم » (٣) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ به بنفسه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .



(١) البخاري : في الجامع في الخيل ، باب : إذا غضب جارية فزعم أنها ماتت ، ومسلم في الصحيح في الجهاد برقم (١٧٣٦) ، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) مسلم في الصحيح : الإمارة ، حديث رقم (خاص ١٩) ، و (عام ١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه البخاري أيضاً من هذا الوجه واللفظ ، وأحمد في المسند : ٦٢/٦ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٦٧/٦ ، ٦٩ من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده حسن لغيره لأجل وجود ابن لهيعة في الإسناد .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ - تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة (١)

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . دعا عباده لحج بيته الأمين ، ووعدهم بحسن الضيافة ، وطيب المقام ، وجزيل العطاء والثواب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير من وقف في تلك المشاعر ، وطاف بالبيت العتيق .

اللهم صلِّ وسلِّم على سيد الأوَّلين والآخريين ، وقائد الغر المحجلين ، نبينا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فمن آيات التشريع والأحكام آية محكمة من سورة البقرة تحمل طائفة من أحكام الحج . هذه الآية العظيمة مبدوءة بالإخلاص لله ، ومختومة بالإخلاص ثم بالوعيد والتهديد لمن خالف أوامر الله ، وهى قوله تبارك

وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رءُوسَكُمْ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ

(١) أُلقيت في ١٦/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة ، و٢٦ من سورة الحج .

مَنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٦﴾ (١)

الإحرام ركن من أركان الحج والعمرة ، وهو نية الدخول في النُّسك سواء تجرَّد من الثياب المألوفة ، أم لا ، فمتي نوي الإنسان الدخول في نُسك الحج أو العمرة صار مُحْرِمًا ، فيجب عليه اجتناب محظورات الإحرام ، ويجب عليه إتمام نُسكه الذي دخل فيه سواء أكان نفلًا أو فرضًا ، لقوله تعالى : ﴿ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٢) ، فالإتمام هو الإتيان بجميع أعمال الحج أو العمرة من أولها إلى آخرها في أماكنها ومشاعرها على وفق ما جاءت به الشريعة المحمدية المطهَّرة ، مع اجتناب محظوراتها على أن تكون النية خالصةً لله من أي شائبة أو مقصد آخر ، دنيوي سواء أكان مالياً أو اجتماعياً أو سياسياً : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (٣) ، فإن خالط القصد شيء من ذلك لم يكن خالصاً لله .

وإتمام الحج والعمرة لله هو القاعدة الكلية للنُّسك ، ولكن المُحْرِم قد يعرِّض له في طريقه ما يعوقه عن إتمام نُسكه إما عدوٌّ قاهر ، أو مرض مانع ، أو فواتٌ لسبب من الأسباب ، والإسلام هو دينُ اليسر والسماحة دينُ الرحمة ورفع الحرج .

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

(٣) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرجه جميع أصحاب الكتب الستة والمسانيد ، وهو أول حديث أخرجه البخاري : ٢/١ في الجامع الصحيح ، وهو أول وحى غير متلو إلى رسول الله ﷺ ، وقد عقد عليه البخاري الباب قائلًا : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ..

لذلك استثنى من القاعدة العامة هذه الأحوال ، فبيّنت الآية الكريمة حكم المُحَصَّر بقوله : ﴿ فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَأَمْتَيْسِرُوا مِنَ الْهَدْيِ ﴾ (١) ، لما اعتمر النبي ﷺ ومَن معه من الصحابة سنة ست من الهجرة المباركة اعترض لهم المشركون في الحديبية ، ومنعواهم من الوصول إلى البيت العتيق ، فبيّن الله حكم الإحصار (٢) ، وهو الهدى ثم التحلل ، فمن مُنِع من الوصول إلى المسجد الحرام وهو مُحْرَم في نُسْكَ ذَبِيح ما تيسر له من بهيمة الأنعام مثل الأضحية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣) ، وحيثُ قد حلَّ من إحرامه وبلغ أجره بنيته ، ويقضي حجة من قابل ، وإن كانت عمرة قضاها متى زال الإحصار لأن العمرة لا تتقيد بزمن فهي جائزة في كل الأيام .

وقوله : ﴿ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ (٤) معطوفة على قوله : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ ﴾ (٥) ، قاله الحافظ ابن كثير ، فهي لبيان شيء من الأعمال التي يتم بها الحج ، وهو ترتيب الحلق بعد نحر الهدى لمن ساقه معه ، ومحلُّه حيثُ الحرم المكي يوم النحر وأيام التشريق ، أما المُحَصَّر فينحر هديه حيثُ أُحْصِر .

وأما المرض المؤذي يصيب المُحْرَم فيحتاج معه إلى فعل شيء من محظورات الإحرام كاللبس أو تغطية الرأس أو حلق الشعر ، فيفعل ما يحتاج إليه ، ويفدي بواحدة من ثلاثة أشياء كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (٦) يفدي بأياها أيسر له ،

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى قصة الحديبية ، أخرجه البخاري في الصحيح : فتح الباري : ٤٥٥/٧ برقم (٤١٨٥) بمعناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

(٥) سورة البقرة : ١٩٦

(٦) سورة البقرة : ١٩٦

فالصيام ثلاثة أيام ، والصدقة إطعام ستة مساكين لكل واحد نصف صاع ، والنسك ما استطاع من بهيمة الأنعام من أصنافها الثلاثة . وهذه الآية نزلت في كعب بن عجرة رضي الله عنه لما تأذى من هوام رأسه (١) .

وأما الفوات فدليله خارج عن الآية ، وإنما ذكرته لإتمام الفائدة ، فالذي يفوته الحج لكونه لم يشهد الوقوف بعرفة حتى طلع الفجر يوم النحر وهو اليوم العاشر من شهر ذي الحجة ، سواء أكان تخلّفه لعطال سيارة أو لمتاهة طريق أو لجهل بالمكان ، بأن وقف في غير عرفة ، فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفته (٢) ، ويتحلل إذا بعمره ، فيطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ولا شيء عليه ، ويقضي نسكه في العام القابل لقوله صلى الله عليه وسلم : « من فاته عرفات فقد فاته الحج ، وليتحلل بعمره ، وعليه الحج قابل » (٣) .

وأما الذي يُفسد حجّه بجماع سواء أكان ذكراً أو أنثى ، فإن عليه بدنة ويمضي في فاسده ويقضيه في العام المقبل وجوباً (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّنْ تَمَنَعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ (٥) . التمتع في

(١) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ، البخاري في الصحيح برقم (١٨١٥) : الفتح : ١٦/٤

(٢) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٣٣٥/٤ ، وأبو داود : برقم (١٩٤٩) ، والترمذي : برقم (٨٨٩) ، وإسناده صحيح ، وابن حبان في الصحيح : برقم (١٠٠٩) الموارد ، والبغوي في شرح السنة : ٢٩٠/٧ برقم (٢٠٠١) .

(٣) إشارة إلى حديث أخرجه مالك في موطنه : ٣٨٣/١ ، ورجال إسناده ثقات ، وأنه من فتوى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفتى به لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٤) وأخرج معناه البيهقي في سننه الكبرى : ١٦٧/٥ ، وهو من فتوى ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده صحيح إليه وهو بحكم المرفوع والله أعلم .

(٥) سورة البقرة : ١٩٦

اللغة : التلذذ ، وفي الشرع : إحرام « الأفقي » بالعمرة في أشهر الحج ، ثم يحج في تلك السنة فجمع بينهما في سفر واحد ، فعليه إذا فدية التمتع ، وهي على الترتيب كما هو صريح النص ، أما « غير الأفقي » وهم أهل الحرم - فلا فدية عليهم .

والقارن بين الحج والعمرة في إحرام واحد عليه فدية كالتمتع ، وأما المفرد بالحج فلا فدية عليه لأنه لم يجمع نُسُكين في سفر واحد . والأنسك الثلاثة كلها جائزة باتفاق الأئمة ، وإنما اختلفوا في أيها أفضل ، فقالوا : أفضلها التمتع ، ثم القران ، ثم الأفراد ، لكن يُستحب لمن كان قارناً أو مفرداً ولم يسق معه هدىً أن يتحلل إلى عمرة ، فيطوف بالبيت ويسعى ويقصر ، ثم يُحرم بالحج لأمره صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتق الله أيها الحاج ، أخلص العمل لله ، وعلّق قلبك بالله ، ولا تطلب قضاء حوائجك إلا من الله ، فهو قاضي الحاجات وهو مجيب الدعوات ، وهو القادر على كل شيء ، ومن سواه محتاج إليه .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَايَةَ وَالثَّبَاتَ ، وَنَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ وَالرَّعَايَةَ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ فَاغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة في الحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . اللهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يحيي ويميت وهو على كل
شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، صلى الله
وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .
أما بعد . .

فلما بينت الآية السابقة عدداً من أحكام الحج تلتها آية تبين السلوك الذي
يجب على الحاج أن يتخلق به ، وتأمره بالابتعاد عن نزعات النفس ، وشطحات
التصور ، وذميم الأخلاق : ﴿ فَلَارْفَتْ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ ﴾ (١) .

فالرفث : هو الجماع ودواعيه ، والفسوق : هو الخروج عن الطاعة ،
والجدال : هو الخلاف والشقاق . وذلك أن الإنسان فيه قُوى أربع : قوة
عقلية وهي التي تحث على الخير والاستقامة والسلوك الحسن ، وقوة شهوانية
تحمله على المعصية ، وقوة غضبية تُخرجه عن الطور المألوف ، وقوة وهمية
تحمله على التعصب للرأي والانتصار له . فإذا غلبت القوة العقلية على القُوى
الأخرى ، حصلت الاستقامة والصلاح وحسن السلوك ، وإن غلبت إحداهن

ظهرت آثارها على الجوارح ، فالوحي السماوي يخاطب العقول ، يخاطب أولي الألباب ، يخاطب أولي النهي ، يحرك العقول المتقية إذا خمدت ، وينشطها إذا ضعفت ، ويشجعها إذا جنت .

والتقوى : هى الطاقة التي تعطي العقول والأرواح قوة وحيوية ، كما يعطي الغذاء الأجسام قوة ونشاطاً .

﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَارَ فَرْثٍ وَلَا فُسُوقٍ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمُهُ اللَّهُ وَتَكْزُودُونَ أَفَأَنْتُمْ خَيْرُ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَتَقُونَ بِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (١)

فأوصيكم وإياي بتقوي الله ..

أيها المسلم ؛ اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك (٢) .

وأكثرُوا من ذكر الله وتعظيمه وتسبيحه وتقديسه ، والصلاة على النبي ﷺ فإن الدعاء لا يُرفع إلا بالصلاة عليه (٣) ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤)

* * *

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الشيخان في صحيحيهما ، البخاري : الفتح : ١١٤/١ برقم (٥٠) بسياق طويل ...

(٣) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا المعنى ، الترمذي في جامعه : ٣٥٦/٢ برقم (٤٨٦) ، ولفظه : « إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ » ، وقد ذكره ابن كثير في التفسير مع الشواهد الأخرى : ٥٠٧/٥ - ٥٠٨

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨ - تفسير الآية (٢٢٢) من سورة البقرة (١)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَدْنَى ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) . يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر (٤) ، وأحلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث (٥) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بين طريق الخير ورغب فيه ، وحثَّ من طرق الضلالة والردى (٦) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَعَمَلَ بِسُنَّتِهِ .

أما بعد ..

فإنَّ الإنسانَ لم يُخلَق عبثاً ولن يُترك سدىً (٧) ، وليست حياته فوضى

(١) أُلقيت في ٢١/٣/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٥) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف في وصف الرسول ﷺ .

(٦) هذا المعنى مأخوذ من سيرة الرسول الكريم ﷺ وسنته المطهرة الصحيحة والقرآن

أكبر شاهد على ذلك .

(٧) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة القيامة .

ولا وفق هواه ، إنما هي حياة منظمة عامرة بالتكليف ، فليس لدى المسلم الملتزم فراغ يحتاج إلى إشغال ، والقرآن الكريم هو كلام العليم الخبير ينظم حياة المسلم ويعالج مشكلاتها والطواريء عليها ، يعيش مع المسلم في خصائص ذاته لا يهمل منها شيئاً ، وينظم لقاءه بزوجه في فراشه ، فهياً بنا نتأمل قول الخالق تبارك وتعالى في هاتين الآيتين من سورة البقرة : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) ، ﴿ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

كان اليهود يبالغون في التبعاد عن المرأة حال حيضها ، فلا يجالسونها ولا يساكنونها ، ولا يواكلونها ، ولا يشاربونها (٣) ، وكان بعض العرب أخذ عادة اليهود . أما النصارى فكانوا لا يبالون بالحيض فكانوا يجامعون نساءهم في المحيض . نجس فى نجس ، نجس عمل ونجس اعتقاد .

فلما جاء الإسلام بالطهارة والتزاهة ، وبالرحمة والشفقة وإكرام المرأة ، تحرَّج المسلمون من عادة اليهود ومن فعل النصارى ، فسأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض ، فسمع الله سؤالهم وعلم صالح نيتهم فأجابهم من فوق سبع سموات : ﴿ ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ الآية ، فقال

(١) سورة البقرة : ٢٢٢ ، وبنحو معناها ورد الحديث الصحيح أورده الإمام ابن كثير في تفسيره موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ، انظر التفسير : ٤٥٨/١

(٢) سورة البقرة : ٢٢٣

(٣) مسلم في الصحيح : الحيض برقم (خاص ١٦) ، و (عام ٣٠٢) ، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » (١) ، فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه (١) .

فكلمة « المحيض » تكون مصدرية ، وتكون ظرفية ، فهي في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ مصدرية ، أي عن الدم السائل من الرحم ، قل : هو أذى . والعاقل يجتنب الأذى ويحذر منه ، فهو أذى في كل صفاته ، يُضِرُّ بالرجل وبالمراة وبالمنطقة .

وأما في قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ فهي ظرفية ، أي فاعتزلوا النساء في مكان الحيض حال سيلان الدم ، أما المباشرة دون المحل فهي مباحة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » (٣) ، أي الجماع ، والمباشرة فيما دون المحل وسيلة لقضاء الوطر وتطيب لخاطر المرأة وإظهار للود ، وبيان أن مكائتها الزوجية عند بعلمها لم تتغير لوجود العادة الشهرية .

والحيض دم جبلة يُرخيه الرحم إذا بلغت المرأة ، ثم يعتادها في أوقات معلومة ، خلقه الله لحكمة تغذية الولد ، فالجنين يتغذى بدم أمه ، ولذلك

(١) أخرجه مسلم في الحيض ، باب : جواز غسل المرأة الحائض رأس زوجها ، البخاري (٣٠٢) ، وأبو داود في الطهارة ، باب : مؤاكلة الحائض ومجالستها ، البخاري (٢٥٨) ، وفي النكاح (٢١٦٥) ، والترمذي في التفسير (٢٩٧٧) ، أحمد : ١٣١/٣ ، وابن ماجه ، باب : ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها (٦٤٤) .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : الحيض رقم (خاص ١٦) ، و(عام ٣٠٢) ، الباب الثاني ، وقد عقد عليه النووي الباب ، باب : الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد .

(٣) جزء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، الحيض برقم (خاص ١٦) ، و(عام ٣٠٢) بسياق طويل .

لا تحيض الحامل ؛ وإن وُجد دم فهو فساد لا تترك الصلاة والصوم من أجله (١) ، فإذا وضعت الحامل الوكيد حول الله ذلك الدم إلى الثديين فصار لبناً يتغذى به الطفل ، ولذلك قلَّ أن تحيض المرضع ، فإذا لم يكن حمل ولا إرضاع صار ذلك الدم فضالةً يُخرجها الرحم بصفة منتظمة .

وأقل مدة الحيض بالاستقراء يومٌ وليلة ، وأكثره خمسة عشر يوماً ، وغالبه ست أو سبع ، فما نقص عن يوم وليلة فليس بحيض ، وما زاد عن خمسة عشر يوماً فكذلك ، إنما هما دمٌ فساد تصوم المرأة وتصلي (٢) ، وقد تزيد أيامها عن ست أو سبع ، وقد تنقص ، وقد تنتقل من وقت إلى آخر ، وقد تنقطع ، ولكل حالة أحكامها .

ومتى انقطع دمها وجب عليها الغسل بالماء ، فتنقُضُ شعرها وتضربه بالمشط وتُنقِيه ، فإن لم تجد ماء تيممت حتى تجد الماء لقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣)

وقد علّق الشرع على الحيض أحكاماً ، منها تحريمُ وطء الحائض في المحل ، لقوله تعالى : ﴿ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ (٤) .

ومنها أنه يُسقط وجوب الصلاة عنها مدة عادتها فلا تُصلِّي ولا تقضي

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها في باب الاستحاضة ، الفتح : ٣٤٨/١ ، ونحوه مسلم في الصحيح برقم (٣٣٣) : الحيض باب المستحاضة وغسلها .

(٢) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها ، الترمذي برقم (٢٧٤) ، باب : في المرأة تستحاض ، والنسائي في الصغرى : ١٨٢/١ ، باب : المرأة يكون لها أيام معلومة تحيضها كل شهر .

(٣) سورة المائدة : ٦

(٤) سورة البقرة : ٢٢٢

الصلاة (١) ، ومنها أنه يمنع الصيام ، فلا تصوم وقت العادة وتقضي مدة ما أفطرت من أيام آخر (٢) .

ويمنع قراءة القرآن ومسُّ المصحف ، واللبث في المسجد (٣) ، فلا تطوف بالكعبة المشرفة حتى تطهر وتطهر .

ومنها تحريم الطلاق وقت العادة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ (٤) ، ولما طلق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرأته وهي حائض ، أمره النبي ﷺ بمراجعتها وإمساکها حتى تطهر (٥) ، ثم إن عزم الطلاق طلقها في طهر لم يجامعها فيه ، وهل يُعتد بالطلاق وقت الحيض ؟ فيه خلاف بين العلماء .

وجعلت عدتها في الطلاق ثلاثة قروء ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٦) ، أما الآية والصغيرة فثلاثة أشهر ، وأما المتوفى عنها زوجها فأربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة، وعدة الحامل وضع حملها .
وإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (٧)

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، الترمذي برقم (٨٨٧) في الصوم ما جاء في قضاء الحائض الصيام دون الصلاة ، وقال : حديث حسن ، ونحوه مسلم برقم (٣٣٥) من حديث معاذة العدوية عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) إشارة إلى عدة أحاديث منها حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح برقم (٣٣٥) في هذا المعنى .

(٣) هذا قول عامة أهل العلم نقله البغوي في شرح السنة : ١٣٤/٢ - ١٣٥

(٤) سورة الطلاق : ١

(٥) أخرجه البخاري في كتاب « الطلاق » ، باب : قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

النبي إذا طلقتم النساء ﴾ ، ومسلم في كتاب « الطلاق » ، باب : تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ، البخاري : ٥٢/٧ ، ومالك في الموطأ : ٥٣/٢ (٥٧٢) باب : ما جاء في الأقرء ومدة الطلاق وطلاق الحائض .

(٦) سورة البقرة : ٢٢٨

(٧) سورة البقرة : ٢٢٢

قوله تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ﴾ (١) عرض سؤال يطرح نفسه : ما هو الذي أمر الله وما هو الحرت ؟

الجواب : أمر الله تعالى بالطيب ونهى عن الخبث ، والحرت : هو مكان الولد الذي يغرس فيه الرجل نطفته بيتغي ما كتب الله ، والمباشرة مباحة فهي من الطيب ، فما عدا الطيب وما عدا مكان الولد فهو خبث مُحَرَّمٌ ، فيحرم على الرجل أن يواقع زوجته في الدُبُر سواء أكانت في العادة أو طاهراً .

لقد وردت أحاديث كثيرة مروية من طرق متعددة ، ذكرها ابن كثير رحمه الله في التفسير تنهى الرجال عن إتيان النساء في أحشاشهن (٢) ، منها ما رواه الحسن بن عرفطة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيو من الله ، فإن الله لا يستحي من الحق ، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » (٣) ، وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي بأسانيدهم إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ملعون من أتى امرأته في دُبُرِها » (٤) . وفي رواية : « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » (٥) ،

(١) سورة البقرة : ٢٢٣

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره : ٤٥٨/١ - ٤٧١ ، فقد استوعب الموضوع تماماً .

(٣) أورد الحديث الإمام ابن الأثير في « النهاية » : ٣٩٠/١ ، ولم يعزه إلى أحد المخرجين ، ونحوه أورد الإمام ابن كثير في تفسيره : ٤٦٨/١ - ٤٦٩ ، نقلاً عن الإمام الأثرم بإسناده من سننه مرفوعاً [محاش النساء حرام] .

(٤) أبو داود في جامع النكاح (٢١٤٨) ، وابن ماجه (١٩٢٣) من حديث أبي هريرة أيضاً ، وأحمد : ٤٤٤/٢ ، ٤٧٩ ، راجع عون المعبود : ١٩٨/٦ ، فيه زيادة فائدة ، وصححه البصيري في الزوائد .

(٥) الترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة البقرة (٢٩٨٠) ، والطبري (٤٣٤٧) والواحدي في أسباب النزول ص ٤٨ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

وسأل رجلٌ علياً رضي الله عنه عن إتيان المرأة في دبرها ، فقال رضي الله عنه :
سُفِلَتْ سَفْلَ اللَّهِ بِكَ ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، وسأل رجل ابن عمر ، فقال :
وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ ، وأطلق بعض السلف الكفر على هذا
العمل الخبيث . إذاً ما معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْتَى شِئْتُمْ ﴾ ؟

قال القرطبي رحمه الله : الحرث مكان الولد ، فالآية نص في إباحة الحال
إذا كان الوطاء في موضع الحرث ، أي كيف شئتم مقبلات مدبرات ، وذكر
الحرث يدل على أن الإتيان في غير الحرث محرّم .

وروي الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : جاء عمر إلى
رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ هلكتُ . قال : « وما أهلكك » ؟
قال : حوّلت رَحْلِي اللَّيْلَةَ ، فنزلت : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ
أَنْتَى شِئْتُمْ ﴾ ^(٢) « اقبل وأدبر واتقي الدبر والحِيضَةَ » .

والرجل لا يحل له من زوجته إلا ما أحلّ الله ، وعند أصحاب أبي حنيفة
أن حكمَ مَنْ أتى امرأته في دبرها حكم اللوطي ، ولأن القدر والأذى في
موضع النجوى أكثر من دم الحيض فكان أشنع .

وروى عن طاوس أنه قال : كان بدءُ عمل قوم لوط إتيانَ النساء في
أدبارهن ، فاعتادوا اللواط ووقعوا في الذكران ، فكانت عقوبتهم كما قال
تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ
سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ^(٣) ،

(١) سورة الأعراف : ٨٠

(٢) سورة البقرة : ٢٢٣

(٣) سورة هود : ٨٢ - ٨٣ ، وراجع تفسير ابن كثير : ٥٦٨/٧ - ٥٧٠

فليست هذه العقوبة لقوم لوط وحدهم ، وإنما يعاقب بها كل ظالم يتعدى حدود الله ويستبيح ما حرم الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ما بال أقوام تتشكى أزواجهم بأنهم يطلبون ما حرم الله ، أليسوا مسلمين ؟ أليسوا طاهرين ؟ أليس فيما أحلّ الله يكفيهم ؟

اتقوا الله أيها الناس ، واخشوا سطوته ومقته وعقوبته ، أما يخشى أولئك أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ؟

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت (١) ، واغننا بالحلّال عن الحرام (٢) وبالطيب عن الخبيث ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .



(١) إشارة إلى حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما بهذا اللفظ . أحمد في المسند : ٢٠٠ / ١ وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى حديث علي رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ١٥٣ / ١ ، وإسناده صحيح مرفوعاً ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير آية الإنفاق في البقرة ٢٦١

القرض الحسن

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (١) ، يعطي كثيراً فضلاً منه وإحساناً ، ثم يطلب قرضاً مردوداً أضعافاً (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعطي الجزيل ويقبل القليل .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أجود من الريح المرسله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن من فضل الله وعظيم إحسانه ، رزقه العبد رزقاً حلالاً ، ثم يطلب منه قرضاً حسناً مثاباً أضعافاً مضاعفة ، إنه الجود والكرم ، قال تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا

كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤) ﴿٢٤٥﴾

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه ، البخاري : برقم (٦) بد، الوحي ،

الفتح : ٣٠ / ١ الفتح في وصف الرسول ﷺ .

(٤) سورة البقرة : ٢٤٥

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت الآية في أبي الدحداح . قال :
يا رسول الله ؛ إن لي حديقتين ، فإن تصدقتُ بإحدهما فهل لي مثلهما في
الجنة ؟ قال : « نعم » ، قال : وأم الدحداح معي ؟ قال : « نعم » ، قال :
والصيبة معي ؟ قال : « نعم » ، فتصدق بأفضل حديقتيه وكانت تسمى
الحنيينة . قال : فرجع أبو الدحداح إلى أهله وكانوا في الحديقة التي تصدق
بها فقام على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته ، فقالت أم الدحداح : بارك الله
لك فيما اشتريت ، فخرجوا منها وسلموها ، فكان النبي ﷺ يقول : « كم
من نخلة رداح تدلي عروقها في الجنة لأبي الدحداح » (١) .

والآية الكريمة لم تُبين مقدار الجزاء إلا مجملاً ، أضعافاً كثيرة ، لكن في
آية أخرى مثل الصدقة بالحبّة تُزرع في أرض خصبة ، فقال تبارك وتعالى :
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، هذه
الآية تبين شرف النفقة في سبيل الله ، وفيها حث على الصدقة وترغيب في
الجود والكرم والبذل والعطاء ، فإن الصدقة مُضاعفة عند الله للمتصدق . .
« وما نقصت صدقة من مال شيئاً » ، روى ابن ماجه بسنده عن علي بن أبي
طالب ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عمر ، وأبي أمامة الباهلي ، وعبد الله بن
عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعمران بن حصين ، كلهم يحدث عن رسول
الله ﷺ أنه قال : « مَنْ أُرْسِلَ بِنَفَقَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَقَامَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَهُ بِكُلِّ

(١) وهو بهذا المعنى في صحيح ابن حبان : ١١٣/١٦ ، البخاري (١٧٥٨) ،
ولفظه : « كم من عذق لأبي الدحداح معلق في الجنة » ، قال محققه : وإسناده حسن
على شرط مسلم ، وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٥٣١/١ ، نقلاً عن تفسير
ابن أبي حاتم ، حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن
عبد الله ابن الحارث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً . اهـ .

قلت : هذا شاهد قوي لحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي عزاه إليه المحقق .
والله أعلم .

درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل
 درهم سبعمائة ألف درهم » : ﴿ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) ، ﴿ يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا
 شَفَعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ
 وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣)

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤)

* * *

(١) سورة البقرة : ٢٦١

(٢) سورة البقرة : ٢٥٤

(٣) سورة المنافقون : ١٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩ - تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة (١)

آية الكرسي

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَسْبُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِكَ أَتَقِيبِرِ ﴿٢﴾ ﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المين .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين .
اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين .

أما بعد ..

فإن في كتاب الله عزَّ وجلَّ آيةً جليلاً عظيمة عميقة الدلالة واضحة المعاني
محكمة التنزيل ، تشتمل على عشر جمل وعلى عدد من صفات الله ، من
تحصن بها حفظه الله ، ومن استشفى بها شفاه الله ، قوة لمن عمل بها ،
وهدى لمن فقه معناها . هي أعظم آية في كتاب الله .

إنها آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٥٥) ﴿ (٣) ﴾

(١) ألقيت في ١١/٣/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ١ - ٢

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥

هذه عشر جمل : فلتدبر معناها لعل الله أن ينفعنا بها .

الجملة الأولى : ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله (١) :
هذا إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق .

أخي المسلم : هذه هي كلمة الإخلاص ، وهي أساس المنهج الإسلامي ،
وهي قاعدة الإيمان ، من أجلها بُعثت الرسل ، وعليها وقعت الخصومة بين
الرسل وأممهم . فيجب على المؤمن أن يتجه إلى الله وحده بالعبودية الخالصة
والاستسلام الكامل والانقياد المطلق لدين الله وشريعة رسوله ﷺ ، فلا يعبد
إلا الله ، ولا يدين إلا بدين الله ، ولا يحكم إلا بما أنزل الله ، ولا يسير
إلا على صراط الله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَنفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

الجملة الثانية من آية الكرسي : ﴿ الحي القيوم ﴾ : قال ابن كثير : الحي
في نفسه الذي لا يموت أبداً القيم على غيره ، فجميع الموجودات مغتفرة
إليه ، وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره .

إن حياته تعالى حياة أزلية أبدية لا مبدأ لها ولا تنتهي إلى غاية ، حياة تليق
بعظمته وجلاله وقيوميته ، فهو المتكفل بأرزاق خلقه ورعايتهم وتدبير
شئونهم ، فيجب على المسلم أن يكل أموره إلى الله ، وأن يطلب قضاء
حاجاته من الله ، ولا يطلب من أحد شيئاً لا يقدر عليه إلا الله .

الجملة الثالثة : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ : أي لا يعثره نقص ولا غفلة
ولا ذهول عن خلقه ، بل هو القائم على كل نفس بما كسبت . عن
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ أربع
كلمات قال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يَحْفَظُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ،

(١) تفسير ابن كثير : ٣٠٨/١

(٢) سورة الأنعام : ١٥٣

يُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعملُ الليل قبل عمل النهار ، حجابهُ النور لو كشفه لأحرقَت سبحات وجهه ما ينتهي إليه بصره من خلقه » (١) .

الجملة الرابعة ، قوله تعالى : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ : فكل ما في الوجود ، الأرضُ والسماءُ وما فيهما وما بينهما ، ملكٌ لله وتحت قهره وتديبره ، في قبضته وتحت إرادته ، يحيي ويميت ، يخلق ويرزق ، ويُعز ويذل ، ويرفع ويخفض ، يرحم ويعذب ، يعطي ويمنع . ملكيةٌ مطلقة شاملة بلا قيد ولا شرط ، بلا شريك ولا معين ، وما يحصل في أيدي الناس من الأموال فإنها ودائع وعارية من المالك الحقيقي جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه ، لتحقيق الحكمة البالغة ولينظر ماذا يعملون .

إن من قواعد الإسلام أن يؤمن العبد بأنه ملكٌ لله ، وما في يده ملك لله ، فلا يجوز لأحد أن يتصرف في نفسه ولا في شئونها ولا في ماله إلا بما شرع الله وعلى وفق نظام الإسلام ، وأي تصرف يخالف نظام الله فهو تصرف باطل غير نافذ شرعاً ، إن ملكيتك أيها الإنسان ملكية محدودة ، مؤجلة إلى أجل معدود ، ثم يرجع المال إلى المالك الحقيقي يُصرِّفه كيف يشاء ، ويُقسِّمه على الورثة بتقسيم الله ، فإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة وأنه وما في يده ملكٌ لله ارتاحت نفسه وقنع بما حصل له من رزق الله ، فتنكسر حدَّة الشر من نفسه ، وحدَّة الشُّح والطمع ، ويستبدلها سماحة وجوداً واطمئناناً ، فلا يفرح بما أوتي ، ولا يأسى على ما فات .

(١) إسناده صحيح على شرط البخاري ، وهو في كتاب « التوحيد » لابن خزيمة ص ١٩ ، وأخرجه ابن منده في « الإيمان » ص ٧٧٨ من طريق عثمان بن أبي شيبة ، وأخرجه الطيالسي ص ٤٩١ ، وأحمد : ٣٩٥/٤ ، ٤٠١ ، ومسلم في « الإيمان » باب في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » ، وابن ماجه ص ١٩٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٨٠ ، والبعثوني في شرح السنة من طرق عن عمرو بن مرة .

الجملة الخامسة من آية الكرسي : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ : من عظمته وجلاله وكبريائه سبحانه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه كما في حديث الشفاعة عن النبي ﷺ قال : « آتي تحت العرش فأخّرُ ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واشفع تُشفع » (١) .

ومن هنا يظهر خطأ جميع التصورات المنحرفة التي تزعم أن الله تعالى من البشر خلفاء يستمدون سلطانهم من قربهم لله فيطلبون منهم الشفاعة عند الله ، وهذا خطأ ، وإنما تُطلب الشفاعة من الله ، فيقال : اللهم شفع في نبيك ﷺ ، اللهم إني أسألك شفاعة نبيك محمداً ﷺ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى ﴾ (٢) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَدْنَاهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٣) .

الجملة السادسة : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ : تحديد لموقف المخلوق من الخالق ، فهو سبحانه عليم بما يفعله الإنسان في حاضره ، وبما عمله في ماضيه ، وبما سيعمله في مستقبله ، يعلم ما في نفسه وخطرات فؤاده وحركات جوارحه ، فيجب على الإنسان أن يكون دائماً على صلة بالله ، وعلى تقوى وخشية من الله ، وعلى رغبته فيما عند الله .

(١) مسلم : ١ / ١٨٠ ، كتاب « الإيمان » ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة والبخاري (١٩٣) ، (٣٣٢) وهو حديث طويل ، وأخرجه ابن منده في كتاب « الإيمان » ص ٨٦٤ ، وابن أبي عاصم في السنّة ص ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، وأخرجه الإمام البخاري في الرقاق : فتح الباري : ٥ / ٦٥٦ ، باب : صفة الجنة والنار عن مسدد عن أبي عوانة به ، والإمام أحمد في المسند : ٣ / ١١٦ ، وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٤٧ ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ص ٨٣٠

(٢) سورة الأنبياء : ٢٨

(٣) سورة طه : ١٠٩

الجملة السابعة : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ : كل ما يحصل للإنسان من علم أياً كان نوعه فإنما هو بتعليم الله له : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، فكل ما نشاهده من اكتشافات وصناعات ومعرفة لبعض خصائص هذا الكون إنما هو بتعليم الله ، وما خفي على الإنسان أكثر وأكثر ، فالإنسان لا يعلم كثيراً من خصائص نفسه ، ومهما بلغ من العلم والمعرفة والاكتشافات فإنه لا يعلم سرَّ حياته ولا سر موته ، ولا حقيقة روحه ولا أجله ، وما يدري ماذا يكسب غداً ، وما يدري بأي أرض يموت ، ولا يدري هل سينجب أولاداً أم يكون عقيماً ، ولا يدري أذكوراً أم أناثاً ، أم يزوجُ ذكوراً وإناثاً ؟ فلا يعلم شيئاً من ذلك إلا بعد وقوعه . فاتقوا الله عباد الله .

الجملة الثامنة : ﴿ وسع كرسیه السموات والأرض ﴾ : قال الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله : العرش والكرسي حق .

وقال ابن جرير رحمه الله : قال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرائي فلاة من الأرض » (٣) .

وروى ابن أبي شيبة رحمه الله في كتاب « صفة العرش » ، والحاكم في

(١) سورة النحل : ٧٨

(٢) سورة الصافات : ٩٦

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ، فتح المجيد ص ٥١٢ (٥٧٩٤) من طريق يونس وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي كان صالحاً في دينه مغفلاً في روايته فتركوه ، وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ من طريق الحسن بن عرفة العبدي عن يحيى بن سعيد السعدي ويحيى لا يتابع على حديثه كما قال العقيلي في « الضعفاء » .

مستدرکه - وقال : إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (١) قال : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله (٢) .

الجملة التاسعة : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ : أي لا يكرثه ولا يثقله حفظ السموات والأرض ومن فيهما وما بينهما ، بل ذلك سهل عليه ، والأشياء كلها في قبضته ، وهو الحافظ لكل المخلوقات ومستغن عن جميع خلقه ، العرش والكرسي وما تحتها ، ولولا حفظه لتحطمت السموات ولتمزقت الأرض ، ولولا حفظه للبشر لاجتالتهم الشياطين ولهلكوا في الغابرين .

الجملة العاشرة والأخيرة : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ : فيها إثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ (٣) ، بل رفعه الله إليه . ومن تأمل القرآن والأحاديث وكلام السلف الصالح وجد فيه إثبات العلو والفوقية لله تعالى ، فهو سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه ، والكل في قبضته . ومذهب السلف الصالح الإيمان بما جاء من عند الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ ، ووصف الله سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ، إثباتاً بلا تشبه ولا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٤) .

(١) ابن أبي شيبة في كتاب « العرش » : ١١٤/١ ، ورواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير من طريق آخر .

(٢) هو في صفة العرش لابن أبي شيبة ورقمه (١١٤) ، والحاكم في المستدرک : ٢٨٢/٢ من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد ، وأخرجه الطبري (٥٧٩٢) ، والطبراني (١٢٤٠٤) ، والدارقطني في أحاديث النزول ص ٤٩ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٣٢٣/٦ ، وقال رجاله : رجال الصحيح .

(٣) سورة النحل : ٥٠

(٤) سورة الشورى ، آية : ١١

الإسلام وَسَطٌ بين طرفي نقيض ، وأهل السنَّة وَسَطٌ بين طرفي نقيض ،
فَمَنْ شَبَّهَ شَيْئاً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ فَقَدْ أَخْطَأَ وَتَاهُ الطَّرِيقُ ،
وَمَنْ حَرَّفَ كَلَامَ اللَّهِ وَكَلَامَ رَسُولِهِ وَعَطَّلَ أَسْمَاءَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ فَقَدْ أَخْطَأَ وَتَاهُ
الطَّرِيقُ ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرْفَيْنِ ، إِثْبَاتٌ بِلاَ تَشْبِيهِ ،
وَتَنْزِيهِ بِلاَ تَعْطِيلٍ .

سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْاِسْتِوَاءِ فَقَالَ : « الْاِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ ،
وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ » .

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١)

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى الْأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ .

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ وَارزُقْنَا اجْتِنَابَهُ .

اللَّهُمَّ اهْدِ ضَالِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَرشِدِ التَّائِبِينَ .

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختيار المدرس الصالح

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. لا نحصي ثناءً على الله .
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
 وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .
 اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
 تبعهم بإحسان .
 أما بعد ..

فإنَّ هذه البلاد المحروسة - المملكة العربية السعودية - تسير في عقيدتها
 وتصوراتها ومنهجها ونظامها على وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى
 مذهب السلف الصالح على ما كان عليه عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة
 والتابعين لهم بإحسان ، فالمملكة متمسكة بعقيدتها وتوحيدها وفضائل دينها ،
 فيجب على كل معلم يخشى الله ويتقيه ألا يدخل على طلابنا وأبنائنا وبناتنا
 شيئاً من الدسائس على عقيدتنا ومنهجنا الإسلامي الشرعي ، كما يجب على
 المسؤولين في المدارس والكليات أن يختاروا المدرس الصالح ، ويحرم إسناد
 الأمر لغير أهله ، ومن واجب الطالب المسلم أن يحافظ على عقيدة أهل السنة
 والجماعة ، فإنها توافق الفطرة السليمة وتنكر ما يخالفها ، وأن يرفض كل
 دسيسة تحصل من أى إنسان .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، راقبوا الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠ - تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَعَلَّ يَجْعَلَ لَهُ عِوَجًا ۝١ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله

وأصحابه وأتباعهم بإحسان ، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون : أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٢ ﴾ (٢)

أيها المسلمون : إننا نقرأ كتاب الله الكريم ونسمعه وتمر علينا آية عظيمة كثيرة

الخير والبركة ، قد اشتملت على أحكام وتوجيهات وإرشادات لتوثيق الحقوق

وإثباتها ، محافظة عليها ومحافظة على صدق المعاملة وصلاحها ، ولدفع

الشقاق والخلاف عن المسلمين . إبقاءً للأخوة الإسلامية والمحبة والمودة بينهم .

(١) سورة الكهف : ١

(٢) سورة الحديد : ٢٨

إنها آية الدين في آخر سورة البقرة (١) ، هي أطول آية في كتاب الله ، ذُكرت بعد الآية التي حذر الله فيها من الربا وعواقبه ونتائجه في الآخرة والأولى ، فجاءت آية الدين لتوجيه العباد إلى المعاملات الصحيحة التي لا ضرر فيها ولا فساد بل كلها خير وسداد .

والمعاملات المباحة تغني عن المعاملات المحرمة ، فرسخت هذه الآية نظاماً سمحاً سهلاً لتسجيل الحقوق وإثباتها ، وجعلت لها قاعدتين أساسيتين : هما الكتابة ، والإشهاد على الدين .

إنها آية كريمة كلما تدبرها المسلم ظهر له بعض أسرارها وأحكامها ، فقد اشتملت على أحكام كثيرة وفوائد جمة وتوجيهات وإرشادات قيّمة .

فهلّم نتأمل هذه الآية وتدبرها ونتفهم ما ظهر لنا من معانيها وأحكامها ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ : تنبيه للمؤمنين إلى أهمية ما سيأتى ، وتذكير لهم بالصفة التي من الله عليهم بها وهي الإيمان ، ومن صفة المؤمن امتثال الأمر واجتناب النهي ، فيأخذ ما أحل الله من البيع ويجتنب ما حرم الله من الربا . ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ : نموذجاً للمبيعات المباحة إلى أجل وهي بيع السلم كما فصله صلى الله عليه وسلم في قوله : « من أسلف فليُسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » (٢) . ﴿ فاكتبوه ﴾ : أمر بالكتابة بين البائع والمشتري بما اتفقا عليه . **وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** (٣) : فلا يكتب البائع ولا المشتري ، بل كاتب غيرهما تظهر عليه العدالة دفعاً للتهمة وأضمن للمصلحة ، ويجب على الكاتب أن يعدل في كتابته فلا يزيد على ما يملك عليه ولا ينقص .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ - ٢٨٣

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، البخاري : الفتح : ٣٥٥/٤ ونحوه مسلم : المساقاة برقم (١٦٠٤) ، باب : السلم .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢

﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ﴾ (١) : تذكير لمن علّمه الله الكتابة ، بنعمة الله عليه إذ علّمه ما لم يكن يعلم ، فعليه زكاة ما آتاه ، فإذا طُلبت منه الكتابة ولم يكن عليه ضرر ولم يكن فيها جور ولا إثم أجاب ، وفي ذلك حث للمسلمين على التعاون لتحصيل المصالح ودفع المفاسد ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ (٢) : الحق في الإملاء للمدين لأنه هو المقر بما في ذمته ليكون أبلغ في إثبات الإقرار وأقرب للعتاء ، وقد أمره الله تعالى بالتقوى ، وحذّره من البخس في الإملاء أو التحريف أو التمويه . ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ ﴾ (٣) : إذا كان الذي عليه الحق لا يجوز تصرفه في المال كالسفيه المحجور عليه ، أو الصغير الذي لا يُعتبر تصرفه ، أو لا يتمكن من إيضاح الواقع المتفق عليه لِعَيٍّ أو لجهل فيقوم وليه - أى الوصي أو نحوه - مقامه في الإملاء (٤) ، ويدل هذا على أن السفيه والصغير يقام عليهما ولي يحفظ مالهما . ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ (٥) : أمر بالإشهاد على الدين مع الكتابة ليكون أبلغ في التوثيق وأمكن في الإثبات ، وفيه بيان نصاب الشهادة في إثبات الحقوق ، وبيان للصفات التي يجب أن تتوفر في الشاهد . ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا

(١) الجزء الأول من آية البقرة : ٢٨٢

(٢) في آية الدين ، سورة البقرة : ٢٨٢

(٣) في آية الدين ، سورة البقرة : ٢٨٢

(٤) راجع تفسير ابن كثير في هذا المعنى : ٥٩٥/١ ، وقد أورد عدة أحاديث صحيحة

فيه .

(٥) سورة البقرة : ٢٨٢

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مَعَنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ (١) : تثبت الحقوق المالية بشهادة رجل ويمين أو رجل وامرأتين ، جعلت شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل (٢) لأن المرأة في الجملة مشغولة بأعمال بيتها وأطفالها عن الأعمال التجارية فلا تكون على بالها فتنساها غالباً بخلاف الرجل ، ولذلك قال سبحانه : أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى (٣) ، ويؤخذ من هذا أن الشاهد إذا نسى الشهادة ثم تذكرها إما بمشاهدة خط يده ، أو بتذكيره فتذكر جاز له أداؤها وجاز قبولها إذا توفرت فيه صفات العدالة .

﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ (٤) : أمر للمسلمين بالتعاون على مصالحهم وحفظ حقوقهم ، فمن دُعِيَ لتحمل الشهادة ولا ضرر عليه فليجب وهو فرض كفاية ، أما أداء الشهادة فهو فرض عين ، لأن امتناع الشاهد من أداء ما لديه من الشهادة يضيع حق أخيه المسلم ويسبب الشحناء . ﴿ وَلَا تَسْتَمُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ (٥) : تأكيد لكتابة الدين سواء أكان قليلاً أو كثيراً (٦) لأن بعض النفوس قد تسأم من كتابته إذا كان الدين قليلاً فنهى عن هذه السامة والملل . ومن مقاصد الكتابة دفع الريب والشك بين

(١) الجزء الأوسط من آية البقرة ٢٨٢ ، ونحوه حديث مسلم بمعناه ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : الفتح : ٤٣٤/١٠ .

(٣) راجع تفسير هذا الجزء من آية الدين في شرح السنة للبغوي : ٣٨/١ نقلاً عن الخطابي .

(٤) راجع تفسير هذا الجزء من آية البقرة : ٢٨٢ في تفسير ابن كثير : ٥٩٦/١ - ٥٩٧

(٥) إشارة إلى حديث زيد بن خالد الجهني ، ابن كثير : ٥٩٦/١

(٦) قد تؤخذ من الآية الكريمة كتابة السنة وتدوينها في عهده صلى الله عليه وسلم من

المسلمين تفادياً للخلاف والشقاق . ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلْتَرْتَابُوا ﴾ (١) : بيان للحكمة التي من أجلها أمر الله بكتابة الدَّيْنِ في الإِشْهَادِ عَلَيْهِ وَالْعَدْلُ فِي الْكِتَابَةِ وَالْإِمْلَاءِ وَالشَّهَادَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا** : إذا استلم البائع الثمن والمشتري المبيع فلا حرج في ترك الكتابة لأن كل واحد من المتبايعين لا يطالب الآخر بشيء ، لكن أمر سبحانه بالإشهاد في قوله : **وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ** (٢) لأن الإِشْهَادَ فِيهِ إِظْهَارُ الْبَيْعِ وَالْإِعْلَامُ بِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ فِي الْبَيْعِ بِرَهْنٍ أَوْ غَيْرِهِ يَحِيطُ بِهِ عِلْمًا ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ السَّلْعَةَ الْمُبَاعَةَ انْتَقَلَتْ مِنَ الْبَائِعِ إِلَى مَلِكِ الْمَشْتَرَى . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : **وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ** (٣) : لما بيَّن سبحانه فيما تقدَّم ما على الكاتب والشاهد بيِّن هنا ما لهما من حق ، فإذا كان للكاتب أو للذي طُلب للشهادة شاغل عن الحضور وقت الطلب ، فلا يُلْزَمَانِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمَا ، وَإِنَّمَا يُطَلَبَانِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، وَأَيْضًا إِذَا جَاءَ الشَّاهِدُ لِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمَشْهُودِ عَلَيْهِ أَنْ يُضَارَّ بِهِ . وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (٤) : أمر للجميع بالتقوى ، وبيان أنها طريق للخير والمعرفة والعدالة ، لأن الله هو الذي يعلم حقائق الأمور ونتائجها وخفياتها ، ما كان منها وما لم يكن كيف يكون . وقوله : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِمْ مَقْبُوضَةً** (٥) : إذا لم يتمكن المتبايعان

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٥٩٧/١ فقد أجاد وأفاد كما نقل عنه الخطيب حفظه الله .

(٢) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى في هذا الموضوع : ٥٩٧/١

(٣) هذا الأمر للندب لا للوجوب كما حكاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٥٩٧/١

(٤) أورد الإمام ابن كثير بعض الآثار في هذا المعنى : ٥٩٨/١

(٥) سورة البقرة : ٢٨٣

من كتابة دِينهما لعدم كاتب أو لعدم قرطاس أو قلم أو مداد ، أرشد سبحانه إلى ما يقوم مقامها في توثيق الحق وهو رهن يسلمه المدين لصاحب الحق .
﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ ﴾ (١) : إنما أمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد والرهن في الأحوال التي تستدعي ذلك ، أما إذا أمن كل واحد من المتبايعين الآخر وعرف فيه الصدق والوفاء والعدالة ، فلا جُنَاح في ترك ما ذكر .
 ومَنْ أهمل من المتبايعين تحمل مسئولية إهماله . **﴿ وَلَسْتِ بِأَمِينٍ ﴾** (٢) : أمر للمؤتمِن بتقوى الله وأداء الأمانة إلى أهلها . وقوله : **﴿ وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكُنْهَا فَإِنَّهُ لِيَمُوتُ قَلْبُهُ ﴾** (٣) : نهي عن كتمان الشهادة وتحذير من إثمها ، فكما أن شهادة الزور كبيرة من الكبائر لأنها تأخذ المال بدون حق ، فكذلك كتم الشهادة التي يتوقف عليها أداء الحق لمستحقه كبيرة من الكبائر ، لأن في كتمها إضاعة لحق المسلم بدون سبب . **﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾** (٤) : تحذير من الله عن مخالفة أمره ونهيه ، سواء في السر أو العلانية ، لأنه مُطَّلَع على جميع أعمال العباد وسرائرهم .

فاتقوا الله عباد الله ، وسيروا على منهاج كتاب الله ، واثمروا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه .

(١) أورد ابن كثير في تفسيره : ٥٥٩/١ نقلاً عن ابن أبي حاتم من تفسيره قولاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ينص على أن هذه الآية نسخت ما قبلها لأن فيها حكماً يخالف السابقة ولا يمكن الجمع بينهما ، وأنها نزلت متأخرة عن الأولى . والله أعلم .

(٢) الجزء الأوسط من آية الدَّيْن من سورة البقرة : ٢٨٣

(٣) الجزء الأخير من آية البقرة : ٢٨٣ ، راجع تفسيرها في تفسير ابن كثير :

٥٥٩/١

(٤) الجزء الأخير من آية البقرة : ٢٨٣ ، راجع تفسيرها في تفسير ابن كثير ، إذ أورد فيه حديثاً أخرجه الإمام أحمد في المسند وذلك من حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة مرفوعاً في هذا المعنى . والله أعلم .

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إصلاح المعاملات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمدوه وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً وعبداه ورسوله .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون : اتقوا الله تعالى ، وأصلحوا معاملاتكم ، واستغنوا بما أحلَّ الله منها عما حرَّم منها ، فإن ما أحلَّ الله فيه الخير والبركة والسلامة والنجاة ، وما حرَّمه الله فيه الشر والفشل والهلاك والدمار ومآله إلى قلة ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وتأملوا ما أمامكم من الموت وسكراته ، والقبر ووحشته ، والبعث وهوله ، والحساب وشدته ، والصراط وزلته ، ثم الجنة أو النار .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٤٣٢/١ ، وهو خطبة الحاجة وإسنادها صحيح .

العزير . فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَأَنْعَمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ، وَارْضَ
اللَّهُمَّ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَئِمَّةِ الْخَفَاءِ : أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعِثْمَانَ ،
وَعَلِيٍّ . وَعَنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ،
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْمَنَّانُ .

اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذَلِّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ
الدين ، وَاحْمِ حُوزَةَ الْإِسْلَامِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ انصُرْ جِيوشَ الْمُسْلِمِينَ وَأَيَّدِهِمْ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ
وَانصُرْهُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

اللَّهُمَّ اخْذِلْ الْيَهُودَ وَأَعْوَانَهُمْ ، وَفَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَشَتِّتْ شَمْلَهُمْ ، وَأَطْفِئْ
نَارَهُمْ وَأَنْزِلْ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ
الظالمين .

اللَّهُمَّ أَدِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ ، وَانصُرْ وَاحْفَظْ إِمَامَنَا ، وَوَقِّفْهُ لِمَا تَحِبُّ
وترضى .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ وَايَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي خِيَارِهِمْ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ .

اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ ، وَاشْفِ مَرْضَى
المسلمين .

عِبَادَ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

(١) ﴿ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
 ، فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم

(٢) ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤٥)

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١ - تفسير الآية (٧) من سورة النساء (١)

آية المواريث

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام ، وهدانا لمعرفة الحلال والحرام ، ووفقنا للحكم بما أنزل على سيد الأنام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . خلقنا فسوانا (٢) ، وبالنعيم ربانا ، فله الحمد والشكر على ما أعطانا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، النبي المصطفى ، أرسله بالحق ودين الهدى (٣) ، وبنور البصائر والنهى .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فما أجمل نظام القرآن للإنسان منهجاً ، وما أجدر المسلم أن يتمسك بنظام إسلامه ، ذلك الدين القيم الذي طمس معالم الجاهلية وأبطل نظامها وسقته أحلامها .

(١) ألقى في ١٣/٤/١٤٠٥ هـ .

(١) إشارة إلى الآية ٢ من سورة الأعلى .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٨ من سورة الفتح .

إنه المنهج الرباني كَوْنُ أُمَّةٍ مسلمة في أعلى المستويات في عقيدتها وفي أخلاقها ، وفي إختائها وتعاطفها ، وفي تضامنها وتكاتفها ، وفي تكافؤها وتكافؤها . تلقت أوامر الله بالسمع والطاعة ، وتلقت أحكامه بالرضي والتسليم .

فكانت كما قال الله عنها خير الأمم (١) ، وشهداءً على الناس (٢) ، أحسنت الخلافة في أرض الله ، وبسطت العدل في خلق الله .

أيها المسلمون : إذا تأملنا نظام التوارث في الإسلام ، وعرفنا ما كانوا عليه في الجاهلية ، عرفنا كيف رفع الإسلام مستوى الإنسان وحفظ له حقوقه ، حفظ حق الصغير والأثني والغائب ، كما حفظ حق الرجل والحاضر ، وحفظ حق الآباء كما حفظ حق الأولاد .

كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا الإناث ، وإنما يأخذ الرجال المال كله (٣) ، ويزعمون بأن الصغير والأثني لا يركبون فرساً ولا يردون عادياً ، وأن الرجال هم الذين يدفعون العار ويحمون الذمار . والله تعالى لم يغفل عن خلقه ، وهو أعلم بمصالحهم ، فلما توفى أوس بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ترك ثلاث بنات وزوجه ، فقام رجلان من بني عمه يقال لهما « قتادة » و« عرفطة » فأخذوا ماله ولم يبقيا شيئاً لبناته وامرأته ، فجاءت المرأة إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك وذكرت الفقر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية :

(١) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث سعد بن الربيع رضي الله عنه بهذا المعنى : أحمد في المسند والترمذي في جامعه برقم (٢٠٩٢) كتاب « الفرائض » من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، الترمذي : هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله ابن محمد بن عقيل رحمه الله ، والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤٣٨/٢ إلى أبي الشيخ الأصبهاني .

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (١)

ولما قُتِل سعد بن الربيع رضي الله عنه ترك ابنتين وزوجة ، فأخذ أخوة جميع المال ولم يعط البنتين ولا الزوجة شيئاً ، فجاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ؛ هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قُتِل أبوهما معك في أحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالا ولا يُنكحان إلا ولهما مال ، فقال : « يقضي الله في ذلك » (٢) ، فنزلت آية الميراث قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٣) ، وفي الآية التي تليها ذُكرت أنصباء الأزواج والزوجات والأخوة لام مع شروطها ، فأرسل النبي ﷺ إلى عم ابني سعد بن الربيع فقال : « أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن ، وما بقى فهو لك » (٤) .

(١) سورة النساء ، آية : ٧

(٢) هذا هو الحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٠٩٢) : الميراث ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٢١٢/١ ، وعزاه إلى الإمام أحمد والترمذي في جامعه وأبو داود وابن ماجه في سننهما وإسناده حسن .

(٣) سورة النساء : ١١

(٤) الترمذي في جامعه برقم (٢٠٩٢) : الفرائض ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وإسناده حسن .

والآية الثالثة المكملة لقواعد التوارث هي آخر سورة النساء ، بيّنت أنصباة الإخوة لأشقاء والأخوة لأب إذا لم يكن للميت أب ولا ولد (١) . والآيات والله الحمد محكمات واضحات المعنى لمن قرأهن ، وهناك مجمل فصلته السنة المطهرة ومسائل ثبتت باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى رحمهم الله وتفصيلها وبيانها في كتب الفقه .

والمراد إيضاح شيء مما يدفع وسوسة الشيطان وتليبس أعوانه من أعداء الإسلام ومغالطاتهم في نظام التوارث الإسلامي .

إن الإسلام نظامٌ كامل متناسق ، أسس قواعد التوارث على أسس ثابتة من التكافل وصلة القرابة بين أفراد الأسرة ، وبني هذه القواعد على تقوى الله تعالى ومراعاة العواطف الفطرية الثابتة في نفس الإنسان .

فشعور الفرد بأن كسبه وجهده سيعود أثره على ذريته وأطفاله والعاجزين من عقبه ، أو إلى قرابته الذين تربطه بهم رابطة القرابة والرحم ، ويتعاونون معه عند الحاجة . هذا يطمئن نفسه ويحثه على الكسب ، كما أن العلاقة بين المورث والمورث - وخاصة الأصل مع الفرع - ليست مقصورةً على توارث المال ، بل يرث الأولاد من الآباء والأمهات الأخلاق والسلوك والشبه ، فتوريثهم المال وإن كانوا صغاراً أو نساءً هو العدل والحكمة .

والإسلام ينظر إلى الإنسان بصفته الإنسانية ، وينظر إلى روابط القرابة والرحم بالصلة الوثيقة ، أما غير الإسلام فينظر إلى الصفات العملية والقدرة

(١) إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة النساء ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، ومنها حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أخرجه الشيخان في صحيحهما : البخاري برقم (٦٧٤٣) : الفرائض ، باب رقم (١٤) في هذا المعنى ومسلم في الصحيح : الفرائض ، باب رقم (٢) ، وحديث رقم (خاص ٥) و (عام ١٦١٦) من هذا الوجه واللفظ .

على الكسب والإنتاج ، ومن هنا حصلت الفوارق بين الإسلام والجاهلية في التكافؤ ، في القصاص ، وفي الديات ، والحدود ، والميراث (١) .

والتعبير بوصية الآباء بالأولاد للتنبيه إلى أن المال مال الله ، والخلق خلق الله ، وأن الحكم حكم الله ، وأن رب العالمين أرحمُ بخلقه من أنفسهم فهو الذي يوصي وهو الذي يفرض ، كما أنه هو الذي يخلق ويرزق ، وهو أعلم بحاجة خلقه وما يسد حاجتهم ، وهو الحكيم الخبير . وقد تُعلم بعض الحكماء في الفرق بين نصيب الذكر والأنثى فأعطى الذكر مثل حظ الأنثيين (٢) لأن الرجل يحتاج إلى المؤنة والإنفاق على زوجته وعياله ، ومعانات العمل والقيومية وتحمل المشاق ، فصارت حصته ضعف الأنثى . أما الأنثى فنفتها وكلفتها على وليها أو زوجها ، ونفقة أولادها على أبيهم ، فجعل لها نصف نصيب الذكر .

وكذلك في فرض السدس لكل واحد من الأبوين (٣) مع الولد تشريع من لدن حكيم عليم ، فالأولاد في مستهل حياتهم ومستقبل دنياهم يحتاجون إلى المال لتأسيس الحياة ، أما الأبوان فقد مضى شطر من حياتهما وأُتيحت لهما فرص الكسب ، فالأولاد أحوج إلى المال والميراث .

إذا علمنا هذا فالواجب على كل مسلم أن يعطي الوارث حصته من الإرث ، ولا تجوز المماثلة ولا المغالطة ولا التحكم ولا الاستبداد . وما يفعله بعض الإخوة من الاستيلاء على التركة والنظر في مصالحه الخاصة دون مراعاة مصالح أخواته وإخوانه الصغار ، فلا يبيع ولا يشتري ولا يقسم ، ويطلب

(١) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، البخاري في الجهاد ، باب : إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم : الفتح : ١٢٢/٦ بسياق طويل وفيه : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » .

(٢) إشارة إلى الآية ١١ من سورة النساء .

(٣) إشارة إلى الآية ١١ من سورة النساء .

بقاء العقار حتى يحصل على الثمن الذي يريده لأنه مستغن بوارداته ،
وأخواته في حاجة إلى نفقة وصدقة وسعة ولكنه لا يبالي ، فذلك ظلم وأنانية
مذمومة واستبداد محموت ، وقد يمنع زواج أخته خشية أن يُطالب زوجها بحقها
وخشية أن يشترك معه زوجها وأولادها ، فهذا من أعمال الجاهلية التي أبطلها
الإسلام ، وأما ما يفعله البعض الآخر من تزييف المستندات وإخفاء بعضها
وتلفيق الأكاذيب واستعمال السلطة ليذهب بنصيب إخوته ، فهذه جريمة
اجتماعية وتعد على الحقوق ، وتلاعب بالقيم ، وقطيعة للرحم ، وعقوق
بالآباء الذين ورثوا المال .

وبعض الناس قد يخفي كثيراً من الميراث الخفي عن إخوته وينسى أن الله
يَعْلَمُه وأن الله سيحاسبه على غدره وخيائته .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (١) .

اللَّهُم بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسباب الميراث

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، أكمل ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام ديناً (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيَّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ .

أما بعد . .

فإن أسباب الميراث ثلاثة لا رابع لها وهي : النكاح ، والولاء ، والنسب .

وموانع الإرث ثلاثة أيضاً هي : الرق ، والقتل ، واختلاف الدين (٣) .

فالمملوك لا يرث أقرباءه ولا يرثونه ، وإنما ماله لسيده ، والذي يقتل مورثه

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٣) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، البخاري : الفتح : الجهاد :

١٢٢/٦ ، ومسلم نحوه الفرائض ، حديث رقم (خاص ٢) ، و(عام ١٦١٥) من هذا الوجه واللفظ .

يُحْرَمُ الميراث محافظة على الأرواح خشية أن يستعجل الوارث موت مورثه ،
واختلاف الدين يمنع التوارث فلا توارث بين أهل مِلَّتَيْنِ (١) . ترغيباً في
الإسلام ورفعاً لمستواه .

ومن رعاية الإسلام للأموال ومحافظة على حقوق الإنسان مَنَعَ من
تسليم الأموال للصغار والسفهاء وأمر بإقامة قِيمٍ يحفظ المال حتى البلوغ
والرشد (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، أدُّوا الحقوق إلى أهلها ، وتراحموا وتعاطفوا ،
واعرفوا الحق من أنفسكم ، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ (٣) .

وصلوا على البشير النذير . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .



(١) أبو داود : برقم (٤٥٣٠) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في الفتح : ٢٣١/١٢

(٢) إشارة إلى الآية ٥ من سورة النساء .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٢

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢ - تفسير الآية (١١ - ١٢) من سورة النساء (١)

في الفرائض

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ (٢) .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى .

أما بعد ..

فإن من العلوم الإسلامية علماً اجتماعياً اقتصادياً تولي الخالق تبارك وتعالى في القرآن بيانه وتفصيله .

وورد الترغيب في تعلمه وتعليمه وهو من أجلِّ العلوم قدراً وأرفعها شأناً وأعظمها أجراً ، فيه خدمة للدين ، وإحسان للمسلمين ، قليل من يرغب فيه ،

(١) أُلقيت في ١١/١٢/١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة النجم : ٣ - ٤

وكثير من يحتاج إليه ، إنه أحد العلوم الثلاثة التي قال فيها نبينا ﷺ : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل : آية محكمة ؛ أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » (١) .

إنه علم الفرائض ، وتقسيم الموارث .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تعلموا الفرائض ، وعلموها للناس فإنني امرؤ مقبوض ، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الرجلان في الفريضة فلا تجدان من يفصل بينهما » (رواه أحمد والترمذي) (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تعلموا الفرائض وعلموها ، فإنها نصف العلم وهو يُنسى وهو أول ما يُنزع من أمتي » (رواه ابن ماجه) (٣) .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا الفرائض فإنها من دينكم ، وإذا تحدثتم فتحذثوا بالفرائض » .

وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « مثل الذي يقرأ القرآن ولا يحسن الفرائض ، كمثل برنسٍ لا رأس له » (٤) .

(١) أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، كتاب « الفرائض » ، باب : ما جاء في تعليم الفرائض ، والترمذي (٢٨٦٨) ، قال المنذري : وأخرجه ابن ماجه (٥٤) .

(٢) الترمذي : كتاب الفرائض (٤٠٢) ، وابن ماجه فرائض (١) ، وأبو داود في سننه (٢٤) ، فرائض (١) .

(٣) الترمذي : كتاب الفرائض ، باب : ما جاء في تعليم الفرائض (٢٠٩١) .

(٤) أورده الحاكم : ٣٣٣/٤ من طريق النضر بن شميل ، والدارقطني (٤٥٩) ، وأخرجه ابن ماجه (٢٧١٩) ، انظر التلخيص : ٧٩/٣

وقال ابن الحجاج المخزومي : « الاعتناء بعلم الفرائض والاشتغال به مصلحة في الدنيا والدين » .

وحكي أن الوليد بن مسلم رحمه الله رأى في منامه أنه دخل بُستاناً فأكل من جميع ثماره إلا العنب الأبيض ، فقصَّ رؤياه على شيخه الأوزاعي رحمه الله تعالى ، فقال : تُصيب من العلوم كلها إلا الفرائض ، فإنها جوهر العلم كما أن العنب الأبيض جوهر العنب .

إن علم الفرائض من فروض الكفاية فلا بد للأمة ممن يقسم فرائضهم ، ويوزع تركاتهم على الورثة بالفريضة الشرعية ، ومصدر علم الفرائض الكتاب والسنة ، أما الكتاب فثلاث آيات في سورة النساء . الأولى : تبين أنصباء الآباء والأمهات والأولاد ، والثانية : في حصص الأزواج والإخوة لأُم ، والثالثة : وهي في آخر السورة تبين توارث الإخوة لأبوين أو لأب ، فنظام الموارث مستمد من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة فيها. وأما الأحاديث فهي تفسر تلك الآيات وتبينها منها ما رواه البخاري : ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر^(١) . وحديث بريرة عن عائشة : الولاء لمن أعتق^(٢) ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة »^(٣) .

وإذا تأملنا الآيتين السابقتين لآيات الميراث : ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٥) ، فالأولى تحرك شعور الرحمة في الآباء وتذكركم

(٢) البخاري : ١٩١/٨

(١) البخاري : ١٨٩/٨ ، ١٩٠

(٣) البخاري : ١٨٥/٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧

(٤) سورة النساء : ٩

(٥) سورة النساء : ١٠

شعورهم تجاه أبنائهم ، وتحثهم على رعاية الصغار الذين فقدوا هذا الحنان لموت آبائهم فليعطفوا عليهم شكراً لنعمة الله ، فلو مات الآباء صار أبنائهم مثل هؤلاء الأيتام ، فلتعملوا الخير للأيتام كما يحب أن يعمل بأيتامه . والآية الثانية تهز كيان النفس وتحذر تحذيراً شديداً في غمط حقوق الأيتام ، فما هو شعور من يحس النار تلتهب في بطنه ، وأنه سيلقى في نار مستعرة ولا نجاه إلا بالإحسان في أموال الأيتام .

وإذا تأملنا أيضاً افتتاحية آيات الموارث : **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ** (١) ، إنها تبين للبشر وتفهمهم بأن الله تعالى أرحم بالأبناء من آبائهم ، وأبر بالآباء من أبنائهم ، وأعدل من الأقرباء بأقربائهم ، وأن الخالق تعالى أولى بالناس من أنفسهم ومن آبائهم ومن أبنائهم ، فهو الذي ينظم حياتهم ويضع لها الأنظمة العادلة التي تحفظ حقوقهم ومصالحهم ، وتدفع المفسد عنهم : **﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾** (٢) ، فنظام البشر في كل مرافق حياتهم ومتطلباتها مرده إلى خالقهم ، فهو الذي يحكم بين الوالدين وأولادهم وبين الأقرباء وأقربائهم ، وهو الذي يوصي ويفرض ، وهو الذي يحلل ويحرم في كل شيء ، فكما أنه هو الذي يرزق فهو الذي يقسم الميراث بين الناس فمن عنده سبحانه تردُّ التنظيمات والشرائع ، وعن الله يتلقى الناس الأوامر والنواهي بالقبول والرضا والتسليم في أخص شئون حياتهم ، وهو توزيع أموالهم بين آبائهم وذرياتهم وأزواجهم . وهذا هو الدين . فنظام الخالق تبارك وتعالى أبر للناس وأنفع لهم وأصلح لهم . فله الحمد والمنة على نعمة الإسلام وعدالته ، وله الحمد على فضله وإحسانه على البشر .

(١) سورة النساء : ١١

(٢) سورة الأعراف : ٥٤

ولكى نعرف نعمة الإسلام في الموارث أذكر لكم نماذج من نظام الموارث في الجاهلية قبل الإسلام :

قال الفخر الرازي رحمه الله ما ملخصه : اعلم أن أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين بالنسب وبالمعاهدة .

أما النَّسَب فكانوا يورثون الرجال الذين يقاتلون على الخيل ويأخذون الغنيمة ، ويحرمون النساء والصغار من الميراث .

وأما العهد فمن وجهين : الحَلْف ، والتبني . أما الحَلْف : فيقول الرجل لصاحبه : « دمي دمك ، وهدمي هدمك ، وترثني وأرثك ، وتطلب بي وأطلب بك » ، فإذا مات أحدهما كان للحي ما اشترط من مال الثاني ، وحرمت زوجته وأبناؤه وأبواه الميراث .

وأما التبني : فإن الرجل منهم كان يتبني ابن غيره فينسب إليه دون أبيه في النسب ويرثه المتبني .

وأما الجاهلية المعاصرة ، فهناك من يُورث من لا يرث ، ويحرم من يرث ، وهناك من يُورث النساء من المنقول ويحرمهن من العقارات ، وهناك من يماطل بحق الإناث من الميراث حتى تترك حقها قهراً . وأغرب من هذا الذين يحرمون أقرباءهم من الميراث ويوصون به للكلاب بدعوى الحرية ، وأن له أن يضع ماله كيف يشاء . ألم يعلم هذا وأمثاله أنه وماله ملك لله وأنه سيعود إلى الله .

فاتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله واشكروه أيها المسلمون ، فإن نعمة الإسلام لا يعدلها نعمة ، تعلموا الفرائض فإنه ميسر لمن طلبه ، ولا يُستغنى

عنه ، فما من أحد إلا وسيكون وارثاً ، أو موروثاً ، تدارسوا هذا العلم
الفاضل لثلا ينقرض ، فإننا لا نجد في البلد الواحد إلا اثنين أو ثلاثة يعرفون
نظام الموارث وحسابها ومناسخاتها وتقسيم التركات تقسيماً مترابطاً دقيقاً :

﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا

خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (١)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الآية ١٧٦ من سورة النساء

ترابط المسلمين بالعدل وإعطاء الحقوق

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . اللَّهُمَّ لَا نَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا

أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ،
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد . . .

فإن من فضائل الإسلام ترابط الأسرة وتعاطفها وتراحمها في الحياة وبعد الممات ، فلم تقف عناية الإسلام عند الآباء والأولاد والأزواج ، بل امتد إلى بقية القرابة ولو كانت بعيدة ، ولو كانت قرابة إحسان كولاء المعتق ، بل المسلمون كالأسرة الواحدة ، فالإمام ولي من لا ولي له يعقله ويرثه إن لم يكن له قرابة ، وهذا هو المعمول به في المملكة العربية السعودية وعليه القضاء .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة غافر : ٦٥

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

أما الكلاله : فهو الميت ليس له والد ولا ولد ، وإنما يرثه إخوته ، سواء
كانوا من الأم أو من الأب أو من الأب والأم ، فأما الإخوة لأم فبين الخالق
تعالى نصيبهم بقوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أَخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ
فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينَ عَيْرٍ مُّضَارَّةٍ ﴾ (١) .

فالإخوة لأم يستوي ذكركم وأنثاهم في الميراث ، ولا تزيد حصصهم عن
الثلث .

أما الإخوة لأب وأم أو لأب ، فقد بين تعالى تقسيم الميراث بينهم بقوله :
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ امْرُؤٌ وَأَهْلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ
فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ
مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ
أَنْ تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) . تأملوا قوله تعالى :

﴿ يبين الله لكم أن تصلوا ﴾ ، فمن خالف نظام الإسلام في التوارث فهو

ضال تائه عن طريق الإسلام .
فاتقوا الله أيها المسلمون ، أعطوا أخواتكم نصيبهن من الميراث ، فإن حبسه
سحت وحرام ، أعطوا أخواتكم نصيبهن فإن منعه عار ونار ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سَعِيرًا ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة النساء : ١٢

(٢) سورة النساء : ١٧٦

(٣) سورة النساء : ١٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣ - تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء (١)

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ،
 ورب الخلق أجمعين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وقائد الغر
 المحجلين .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
 أجمعين .

أما بعد ..

فإن التشريعات الإسلامية والتوجيهات في منهج الله إنما تنبثق من أصل
 واحد ؛ وترتكز على ركيزة واحدة ، تنبثق من العقيدة . وترتكز على التوحيد
 المطلق لله ، وهذه سمة منهج الإسلام ، لذلك نرى التشريعات يتصل بعضها

(١) ألقى في ٧/١١/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكهف : ١

ببعض ، ويتناسق بعضها مع بعض ، ويؤيد بعضها بعضاً ، فمن العقيدة تنبع التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والإنسانية ، تلك التصورات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسة ، والأخلاقية ، في كل الأوقات والمجالات ، فالإيمان يجعل تلك العلاقات قُربة إلى الله تؤديها النفس برغبة وطموح واحتساب ، وهذه السمة الخاصة بمنهج الإسلام واضحة في كل سورة بل في كل آية من القرآن الكريم ، وفي كل ركن من أركان الإسلام ، وفي كل فرع من فروعه ، فهلم بنا نستمع إلى آية من سورة النساء تشتمل على عشرة أحكام ، ونأمل كيف ربط القرآن تلك الحقوق بالأصل الأساسي الذي يدور عليه التشريع ، وهو العقيدة والتوحيد ، قال تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا

اللَّهِ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ (١)
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا

قال القرطبي (٢) : أجمع العلماء على أن هذه الآية محكمة ليس منها شيء منسوخ ، فهذه الآية الكريمة اشتملت على عشرة حقوق . سأجمل القول فيها . إن شاء الله :

فأول الحقوق وأكدها وجوباً حق الله تعالى ، وهو توحيده . في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته ، وإخلاص العبادة لله بالتزام شرائع دينه اعتقاداً وقولاً وعملاً بالجوارح ، فالله سبحانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الأزمنة والحالات فهو المستحق أن يُوحَّد ولا يُشْرَك به أحد .

كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : « أتدري ما حق الله على العباد » ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ، ثم

قال : « أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ .. أن لا يعذبهم » (١) ،
فما خلق الله الخلق إلا لعبادته وتوحيده :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٢) .

الحق الثاني : الإحسان إلى الوالدين ، فأحق الناس بالإحسان بعد الخالق
المتأن ؛ وبالشكر والتزام البرّ والطاعة من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته ،
وقرن شكره بشكره وهما الوالدان .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول
الله ﷺ : « رضا الربّ في رضا الوالدين ، وسخط الرب في سخط
الوالدين » (٣) . وكفى دلالة على تعظيم حق الوالدين ووجوب برهما
والإحسان إليهما أن الله تعالى قرن حقهما بحقه في أكثر من آية في كتابه ،
فواجب على الأولاد خدمة أبويهما ، وخفض الصوت عندهما ، ولين الجانب
لهما والتلطّف بهما وقضاء حوائجهما بدون سامة ولا تأفف .

الحق الثالث : الإحسان إلى سائر القرابات ذكوراً وإناثاً ، فقراء أو أغنياء ،
صغاراً أو كباراً ، والإحسان بذل الندى وكيف الأذى ، والتواصل والتعاطف
والتعاون والمشاركة في المشاعر والأحاسيس .

الحق الرابع : الإحسان إلى اليتامى . اليتيم من فقد أباه ، وكان دون
البلوغ ، فلا يتم بعد البلوغ ، والإحسان إلى اليتيم الرأفة به وكفالتة وحفظ

(١) رواه البخاري : ١٤٠ / ٩ ، وفتح الباري : ٣٤٧ / ١٣ رقم (٧٣٧٣) .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع برقم (١٨٩٩) في البر والصلة من حديث خالد بن
حارث ، حدثنا شعبة عن يعلي بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما ، مرفوعاً وإسناده صحيح ، وأخرجه ابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم
(٢٠٢٦) ، والحاكم في المستدرک : ١٥١ / ٤ - ١٥٢

ماله ، وتربيته وتعليمه ، ومسح رأسه ؛ روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة » ، وأشار بالشاهد والوسطى (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٣)

الحق الخامس : الإحسان إلى المساكين : بالصدقة عليهم ، والقول المعروف والمغفرة ، وسد حاجتهم مما آتاك الله أيها الغني ، ومن الإحسان إليهم إرشادهم إلى طرق الكسب والعمل وإلى ما يغنيهم عن المسألة .

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » (٤) .

الحق السادس : الإحسان إلى الجار القريب : **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ** (٥) الذي بابه عند بابك . قال الرازي والقرطبي ، وقال ابن كثير : الذي له قرابة (٦) .

والحق السابع : الإحسان إلى الجار البعيد ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ ، والمقصود الوصية بالجار سواء أكان قريباً أو بعيداً ، وسواء أكان له قرابة أو لا ، وسواء أكان مسلماً أو غير مسلم ، فالجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وجار له

(١) البخاري في الفتح في الصلوات : ٤٣٩/٩ ، ومسلم في الزهد والرفائق برقم (٢٩٨٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، البخاري ، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٢

(٣) سورة النساء : ١٠

(٤) البخاري في الفتح في الأدب : ٣٦٦/١٠ ، ورواه مسلم برقم (٢٩٨٢) في الزهد والرفائق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) جزء من آية النساء : ٣٦

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره : ٢/٢٨٠ - ٢٨٥ ، وقد أورد الأحاديث الكثيرة ..

حقان ، وجار له حق واحد ، فالجار ذو القرابة المسلم : له حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار ، والجار المسلم وليس له قرابة : له حق الإسلام وحق الجوار ، والجار الكافر : له حق الجوار فقط ، دون موالة ودون اتخاذه بطانة ، والإحسان إلى الجار : بمعنى حُسْن العِشرة ، وكف الأذى وإعطائه شيئاً مما عندك ، والصبر على الأذى ، وإذا استعانك جارك في غير معصية الله فأعنه ؛ وإن مرض فعُدّه ، وإن مات فاتبع جنازته ، إن أصابه خير سررتَ وهنأته ، وإن أصابته مصيبة ساءتكَ وعزيتَه . ومن حق الجار مناصحته في طاعة الله ، ونهيه عن معصية الله وغيض البصر وكيف الأذى ؛ فلا يؤمن مَنْ لا يأمن جاره بوائقه ، وما زال جبريل عليه السلام يوصي بالجار حتى ظن نبينا أنه سيورثه (١) .

الحق الثامن : الإحسان إلى الصاحب المرافق ، قيل : الزوجة ، وقيل : الرفيق في السفر ، وكل منهما له حق ، ويشمله النص .

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة ، فأما المروءة في السفر فبذلُ الزاد ، وقلةُ الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مسأخِطِ الله .

أما المروءة في الحضر : فالإدمان إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عزَّ وجلَّ .

الحق التاسع : الإحسان إلى المسافر إذا مرَّ بمنزلك (وابن السبيل) - السبيل : الطريق - بإعطائه حقه في القرى ، وإرفاده بما يحتاج إليه في سفره ، والبشاشة في وجهه والتلطف به .

الحق العاشر : الإحسان إلى المماليك ؛ فإنهم أسراء عند مالكيهم :

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره : ٢٨١/٢ ، وقال : وأخرجه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأحمد في المسند أيضاً .

﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ ، والإحسان إليهم : إطعامهم مما يأكل السيد
وكسوتهم مما يكتسي ولا يكلفون بما لا يطيقون ، والترغيب في تحريرهم .
وكما رُبط أول الآية بالله ، رُبط آخرها بالله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١) .

المختال : الذي يَغْمِطُ حقوق الناس تكبراً وتعاضماً ، والفخور : الذي
يُعدّد مناقبه ، وأفعاله إعجاباً وترفعاً .

وخص الله الفخر والاختيال هنا ، لأنهما صفتان قد تحملان صاحبهما على
الأنفة والتساهل في أداء تلك الحقوق ، فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وأدّوا
الحقوق لأهلها وتأدّبوا بأدب الإسلام : ﴿ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ،
وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَمِنَ الْجَبْنِ وَالْبَخْلِ ، وَنَعُوذُ بِكَ
مِنَ الْفَخْرِ وَالْكِبْرِ وَمِنَ كُلِّ عَمَلٍ فِيهِ إِثْمٌ وَوِزْرٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَالْفُورَ بِالْجَنَّةِ
وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ شَفَاعَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَأُذِنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ فِينَا .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ ، إِنَّكَ
أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .



(١) سورة النساء : ٣٦

(٢) سورة فاطر : ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المساجد بيوت الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد . .

فإن المساجد هي بيوت الله ، أمر الله تعالى برفع شأنها وتطهيرها وتكريمها وتنظيفها من الدنس الحسي والمعنوي ، ومن الإهانة والابتذال ومن كل شيء يُنْفِرُ الْمُصَلِّينَ وَيُسْوِّشُ عَلَيْهِمْ . قال الله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ

وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً

وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدهمُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ (٢)

وعن وائلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « جنّبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة النور : ٣٦ - ٣٨

وسل سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع » ، (رواه ابن ماجه بإسناد فيه ضعف) ، لكن معناه صحيح ، فإن المساجد إنما بنيت لذكر الله وعبادته ، ولم تبن دوراً للحضانة ولا ملعباً للأطفال ، ولا سوقاً للتكسب ، فما بال بعض الناس يأتون بأطفالهم الصغار إلى المسجد ، وهم لا يعقلون صلاة ولا يعرفون حرمة المسجد ، ثم يطلقونهم كأنهم في دارهم يلعبون ويصرخون ويدورون بين الصفوف ويشغلون المصلين ويزعجون العابدين ويشوشون على الخاشعين ؟

ما بال بعض النساء تأتي إلى المسجد بسرب من الأطفال تطلقهم في بيت الله ينجسون مصلى المسلمين ، ويقذرون مواضع أنوفهم وجباههم ؟ منظر بشع ، وريح قذر ، وسوء أدب في بيت الله ، وإيذاء للمؤمنين . وصلاة المرأة في بيتها خير لها ، وكف الأذى عن بيت الله خير لها . كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة ، وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحداً .

وسمع أمير المؤمنين عمر رجلين يرفعان أصواتهما في هذا المسجد فدعاهما ، وقال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ !؟ فاتقوا الله أيها المسلمون ، تعاونوا على البر والتقوى ، لقد وضع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه نظاماً للمسجد فاتبعوه ونفذوه ، وعظّموا بيت الله وطهروه حساً ومعنى ، ولا يجوز التهاون والتساهل في حق المسجد ولا المجاملة بما فيه إهانته وإيذاء المصلين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَلُّوا عَلَيْهِ
ءَامِنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤ - تفسير الآية (٩٢) من سورة النساء (١)

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) . شرع الحدود رحمة للعالمين ، وزجراً

للفاسقين ، وعقوبة للمجرمين ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه (٤) ، وهو أعلم بما يصلحه ويحفظ حقوقه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلغ رسالة ربه ونصح لأُمَّته وجاهد في الله حق جهاده .

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن علاقة المسلم بأخيه المسلم علاقةٌ أخويةٌ غاليةٌ عزيزةٌ . فليس في رغبات الدنيا ما يوهن قوتها ، ولا ما يقطع جبل صلتها ، ولا ما يعكر صفوها . ولهذا أمر الرسول ﷺ بأسباب الألفة ونهى عن أسباب الفرقة ، فقال

(١) ألقيت في ١٥/٧/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من آية البقرة : ١٦٣

(٤) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة ق .

صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ^(١) التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (رواه مسلم) ^(٢) ، وأكثر ما يشير الضغائن ويسبب الحقد قتل النفس التي حرم الله بلا حق ، وقد ثبت بنص الكتاب والسنة تحريم قتل النفس المعصومة إلا بالحق ، فقال تعالى : **وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً** ^(٣) ، وقال سبحانه : **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** ^(٤) .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ^(٥) . وقد نص القرآن على أن القتل نوعان : خطأ ، وعمد ^(٦) ،

(١) مسلم برقم عام (٢٥٨٠) البر والصلة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه رقم (٢٥٦٤) ، كتاب « البر والصلة » ، وأحمد في المسند : ٢/٢٧٧ ، وابن ماجه (٣٩٣٣) ، والفقاعي في مسند الشهاب (٩٣٩) ، ورواه ابن حبان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) سورة النساء : ٩٢

(٤) سورة النساء : ٩٣

(٥) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (١٧٣٩) الحج ، باب (١١٢) الخطبة أيام منى : ٥٧٣/٣ الفتح ونحوه حديث نفيح بن الحارث أبي بكرة رضي الله عنه ، البخاري برقم (١٧٤١) الحج ، ونحوه مسلم : الإيمان برقم (١١٨) من حديث جرير رضي الله عنه وليس في مسلم من حديث نفيح بن الحارث .

(٦) إشارة إلى الآية ٩٢ من سورة النساء .

فالخطأ : أن يعمل الإنسان عملاً يباح له كأن يرمي غرضاً أو صيداً ، أو يسوق سيارة فيحصل فيها خللاً أو يصادفه في الطريق عارض فيصيب إنساناً مسلماً بدون قصد وبدون إرادة فيموت المصاب بسببه .

وقتل الخطأ هو الممكن وقوعه من المسلم على المسلم ، فإن وجود الأخ في الله بجوار أخيه نعمة من الله يحصل بها التعاون على البر والتقوى ، فلا يتصور أن يزيل المسلم هذه النعمة برغبته وإرادته .

فإذا وقع القتل خطأ فالحكم واضح في القرآن الكريم : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ (١) ، فهذه ثلاث حالات

في قتل الخطأ ، الأولى : أن يكون القتيل مؤمناً وأهله مؤمنين فتجب الكفارة والدية ، فأما الكفارة : فهي تعويض للمجتمع المسلم بعقوبة مؤمنة لتكون عضواً فيه بدل التي فقدت ، فمن لم يجد فيتقرب إلى الله بعبادة حقة تمس من نفسه وبدنه وتكسر من قوته فهي دليل الندم والتحسر على قتل الخطأ .

وأما الدية ففيها تسكين نائرة النفوس ، وتطمين المفجوعين ، وتعويض بعض ما فات من نفع المقتول ، وهي على العاقلة مقسطة ثلاث سنوات تخفيفاً وتحقيقاً للتضامن وتعاوناً على نوائب الحياة . ومع هذا يلوّح القرآن الكريم بالعفو عن الدية : ﴿ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾ (٢) ، ففي العفو

(١) سورة النساء : ٩٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء ، (الآية رقم ٩٢) ، راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٣٥٥/٢ - ٣٦٢ ، فقد استوعب الموضوع بالروايات الكثيرة فله دره رحمه الله .

إحساس القاتل بالتسامح فتطمئن نفسه ، وفيه تعاون مع العاقلة وتعاطف .

الحالة الثانية : أن يقع القتل الخطأ على مؤمن أهله محاربون للإسلام معادون للمسلمين ، أي غير معاهدين ، ففي هذه الحالة تجب الكفارة فقط ولا تُدفع لهم الدية لثلا يستعينوا بها على المسلمين وليس لهم حق الاسترضاء وجبرُ الخاطر .

الحالة الثالثة : أن يقع قتل الخطأ على مؤمن أهله معاهدون عهد هُدنة أو عهد ذمة ، ففي هذه الحالة تجب الكفارة والدية كما نصت الآية الكريمة (١) .

أما قتل العمد : فهو أن يقصد المكلف من يعلمه معصوم الدم فيضربه ، بما يغلب على الظن موته به ظلماً وعدواناً ، كأن يضربه بعيار ناري أو بسيف أو رمح أو سكين أو بمثقل أو يقتله بسحر أو سم ، أو يجعل في المجمع العام متفجرات أو مواد سامة من أجل الإخلال بالأمن والإساءة إلى فرد أو أفراد ، أو يقصد نزع الثقة وتحريش العامة . فهذه الأعمال التي يحصل بسببها قتل فرد أو أفراد أو جماعة فاعله قاتل عمداً داخل تحت قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

، والقاتل عمداً فاسق خارج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وعمله من أكبر الكبائر .

ولعظم جريمة قتل العمد و قُبْحها وسوء مَعْبَتها فُرنت بالشرك في أكثر من آية ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ (٣) ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) الآية (٩٣) من سورة النساء .

(٢) سورة النساء : ٩٣

(٣) سورة الفرقان : ٦٨

يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ
يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥١﴾ (١)

وقتل العمد محرّم بنص الكتاب والسنة ولا يفعله مسلم بمسلم إلا من زاغ
قلبه وحق عليه العذاب . للآية المتقدمة : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مِثْلِهِمْ ﴾ (٢) الآية .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو
المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه
وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب إمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »
(رواه الترمذي وحسنه) (٣) .

وعند مسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » (٤) .

وعن سهل بن حنيف أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أشرف
يوم الدار (أي على الخوارج الذين جاءوا لقتله) ، فقال : « أنشدكم بالله
أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث :
زناً بعد إحصان ، أو كفر بعد إسلام ، أو قتل نفس بغير حق فقتل به » ؟
فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام ، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ ،
ولا قتلت النفس التي حرّم الله ، فبِمَ تقتلونني » ؟ (٥) .

(١) سورة آل عمران : ٢١

(٢) سورة النساء : ٩٣

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢١٥٨) ، وقال : حديث حسن وهو من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد : ٦١ / ١ ، ٦٢ ، والنسائي : ٩١ / ٧ ، ٩٢ ، وأحمد أيضاً في
فضائل الصحابة (٧٥٤) ، والترمذي (٢١٥٨) ، وقال : حديث حسن ، ومسلم في
الصحيح وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٥٦٤) .

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٢٧٧٨) الوصايا وهو من حديث
أبي عبد الرحمن سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري رضي الله عنه .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ . . . الآية : هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم (١) .

وموجب قتل العمد القصاصُ في الدنيا ووعيد في الآخرة . قال تعالى :
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (٢) ، وقال :
 ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) ، وقال
 تعالى : ﴿ وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
 بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصاً ﴾ (٤) .

وفي الصحيحين عن أنس أن يهودياً رضَّ رأس جارية بين حجرين فأتى به فاعترف ، فأمر به رسول الله ﷺ فرُضَّ رأسه بالحجارة (٥) . وعن أنس أن الربيعَ عمَةَ أنس بن مالك كسرت ثنية جارية من الأنصار ، فأمر النبي ﷺ بالقصاص ، فرضي القوم وقبلوا الأرش (٦) .

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٣٦١/٢ - ٣٦٢

(٢) سورة البقرة : ١٧٨

(٣) سورة البقرة : ١٧٩

(٤) سورة المائدة : ٤٥

(٥) البخاري برقم (٢٤١٠) : ٧٠/٥ الفتح ، ومسلم في الصحيح كتاب « القسامة » ، باب : ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره : ١٦٧٢/٣ ، ولفظه عن أنس بن مالك أن جارية وُجد رأسها قد رُضَّ بين حجرين فسألوها : مَنْ صنع هذا بك ؟ فلان ؟ فلان ؟ حتى ذكروا يهودياً فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي فأقر فأمر به رسول الله ﷺ أن يُرضَّ رأسه بالحجارة : ١٣٠٠/١ ، مسلم كتاب « القسامة » ، باب : إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها : ١٣٠٢/٣ رقم (١٦٧٥) .

(٦) البخاري برقم (٢٨٠٦) الجهاد باب (١٢) .

وقد رَغِبَ الكتاب والسُّنة في العفو عن القصاص . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۖ ﴾ (١) .

وروى الترمذي رحمه الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَتَلَ مَتَعَمَدًا دَفَعَ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنْ شَاؤُوا قَتَلُوا وَإِنْ شَاؤُوا أَخَذُوا الدِّيَةَ » ، وقال : « وما صالحوا عليه فهو لهم » (٢) .

وإذا تملاً جماعة على قتل مسلم عدواناً اقتُص منهم لما روى مالك عن سعيد بن المسيّب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خمسة أو سبعة بنفر واحد قتلوه غيلة ، وقال عمر : لو تملاً على أهل صنعاء لقتلتهم (٣) ، وإذا أمسك إنسانٌ وقتل آخر قُتِلَ القاتل وحُبِسَ المُمسك حتى يموت لأنه حبس المقتول إلى الموت فيُحبس إلى الموت (٤) .

وهناك نوع ثالث لم يذكر في الآيات لكن ذكر في السنة وهو شبه العمد ، وهو أن يقصد المكلف معصوماً فيضربه بما لا يقتل غالباً فيموت ، فقصدُ القتل غير موجود ، وقصد الفعل موجود كأن يضربه بعصى خفيفة ، أو يلكزه بيده مع غير مقتل فيموت فهو شبه عمد ، لم يكن عمداً لانتهاء قصد القتل ، ولم يكن خطأً لوجود قصد الفعل ، فصار شبه عمد .

(١) سورة البقرة : ١٧٨

(٢) الترمذي برقم (١٣٧٨) ، وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده حسن .

(٣) مالك في الموطأ كتاب « العقول » ، باب : ما جاء في الغيلة والسحر : ٢٦٨/٢ ومن طريق مالك أخرجه الشافعي : ١/٣٣٤٠ ، وعنه البيهقي : ٤٠/٨ ، ٤١ في السنن الكبرى ، ورواه الدارقطني (٣٧٣) من وجهين آخرين عن يحيى بن سعيد به ورجاله رجال الشيخين .

(٤) الكشاف : ٦٠٤/٥ ، كشاف القناع عن متن الإقناع .

وموجب شبه العمد دية مغلظة ولا قود ، لما روي أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « عقل شبه العمد مُغلَّظ مثل عقل العمد ولا يُقتل صاحبه (١) .

ومن قتل مورثه عمداً أو خطأ حُرِّم الميراث ، ومن تطبَّب وهو غير معروف بالطب ضمن ما أتلَّفه » .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، فإن الدماء سيقضي فيها يوم القيامة فاحترزوا منها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢) .

اللَّهُم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا .



(١) مشكاة المصابيح : ٢٧١/٢ ، أبو داود في السنن برقم (٤٥٦٥) وإسناده حسن .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إفشاء السلام

(الخطبة الثانية)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى
وبشرى للمؤمنين (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق (٣) بشيراً ونذيراً (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، علم أمته الآداب والفضائل
ليكونوا شهداء على الناس (٥) .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ،
ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن من هدى نبينا محمد ﷺ إفشاء السلام وهو دعاء بالسلامة من المصائب
والآفات وهو تبادل التوادد بين المسلمين وشعار خاص بهم وتحيتهم عند اللقاء
والفراق .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٨٩ من سورة النحل .

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

(٤) إشارة إلى الآية ١١٩ من سورة البقرة ، وسبأ : ٢٨ ، وفاطر : ٢٤

(٥) إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

والسلام اسم من أسماء الله (١) ، وهو للمسلم على المسلم ، فيُسَلَّم على مَنْ يعرفه ومَنْ لا يعرفه ، وتسليم القليل على الكثير ، والراكب على الماشي ، والماشى على القاعد ، والصغير على الكبير (٢) ، وذلك من حق المسلم على أخيه المسلم ، ولا يُبدأ بالسلام من عُرِفَ بالفسق .

وأما سلام الرجال على النساء ، وسلام النساء على الرجال فلا يشرع إلا إذا أمنت الفتنة ، كأن تكون المرأة كبيرة أو برزة فيُشرع السلام إذا . لما روى البخاري رحمه الله أن عجوزاً كانت تسقى شراباً طيباً ، فيأتيها بعض الصحابة رضي الله عنهم فيُسَلِّمون عليها وتسقيهم (٣) .

وأخبر النبي ﷺ عائشة أن جبريل عليه السلام يُقرؤها السلام (٤) ، أما إذا لم تُؤمن الفتنة بأن تكون أجنبية شابة فيكره السلام ويحرم النظر إليها (٥) .

(١) أخرجه البخاري تعليقاً على الاستئذان ، الباب (٣) : ١٢/١١ - ١٣ الفتح .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري برقم (١٦٣١)

الاستئذان باب (٥) ، ونحوه مسلم في الصحيح : السلام ، الحديث الأول خاص .

(٣) البخاري برقم (٦٢٤٨) الاستئذان ، الباب (١٦) ، باب : تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال ، وهو من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٤) البخاري ، كتاب « فضائل الصحابة » ، باب : فضل عائشة رضي الله عنها (٣٧٦٨) ، ومسلم : كتاب « فضائل الصحابة » ، باب : فضل عائشة رضي الله عنها (٢٤٤٧) ، والترمذي (٣٨٨١) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣٣٦) ، وأخرجه الإمام أحمد : ٥٥/٦ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ١١٢ ، ١٧١ من عدة طرق .

(٥) إشارة إلى حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما ، البخاري برقم (١٨٥٥)

وُسَلِّمَ الرَّجُلَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ ، وَإِذَا سَلَّمَ أَهْلَ الذِّمَّةِ رَدَّ عَلَيْهِمْ
كَمَا رَدَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ » (١) .

وَالْقِيَامَ وَالْمَصَافِحَةَ مَشْرُوعَةً لِلرِّجَالِ ، وَإِذَا سَلَّمَ الرَّجُلَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ
مَحَارِمِهِ صَافِحَ وَإِنْ شَاءَ قَبْلَ رَأْسِهَا .

فَاتَقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، تَأَدَّبُوا بِآدَابِ الْإِسْلَامِ وَأَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ
تَحَابُّوا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

* * *

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، البخاري برقم (٦٣٥٦) الاستئذان

الباب (٢٢) ، الفتح : ٤١/١١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ - تفسير الآيات (١٠٥ - ١١٢) من سورة النساء (١)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الطاهر الأمين .

صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، ثم تعالوا نتدبر هذه الآيات المحكمات

من سورة النساء ونتفهم شيئاً من معانيها ومدلولاتها ، لعل الله أن يفقهنا وأن

ينفعنا : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ۝١٥ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ۝١٦ وَلَا تُجَادِلْ

عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ۝١٧ يَسْتَخْفُونَ

مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ

(١) أُلقيت في سنة ١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَاتَمْتُمْ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ
 يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ (١)
 ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ
 يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ (٢)
 بصرف النظر عن سبب النزول الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣)
 وغيره ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإن كان الخطاب
 للرسول ﷺ فهو خطاب لجميع الناس في أصول التشريع وفروعه . وهذه
 الآيات مرتبطة بعضها ببعض في المعاني والترتيب والأحكام .

فالآية الأولى تبيّن الحكمة من إنزال الكتاب ، وهي الفصل بين المتحاكمين
 بالعدل بما يوصل الحق المسلوب البين لمستحقه دون الالتفات إلى أي اعتبار
 آخر في أحد المتحاكمين كالقراية والمودّة أو ضدّهما ، وكالقوة والضعف
 أو الشرف والوضاعة .

كما تنهي الآية الحاكم عن اتباع أي قول وعمل يراد منه محاولة قلب الحق
 إلى باطل ، وعن الركون إلى الذين يستخفون بالكذب والبهتان .
 والآية الثانية ترشد إلى طريق النجاة وسلم السلامة ، وهو الاستغفار
 والاعتراف بالخطأ والتقصير في جانب الله تبارك وتعالى ، فلا معصوم إلا من
 عصمه الله ، ورحمة رب العالمين هي شاطيء النجاة .

والآية الثالثة تبيّن أن الخائنين ليست لهم مكانة عند الخالق تعالى ، بل هم

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١١٠

(٢) سورة النساء : ١١١ - ١١٢

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ٣٨٩/٢ ، نقلاً عن
 تفسير ابن جرير الطبري بإسناده الصحيح في سبب نزول هذه الآية الكريمة من سورة
 النساء موقوفاً على عبد الله بن مغفل بن عبيد بن فهم المزني رضي الله عنه ، وله حكم
 الرفع وهو سبب خاص ولكنه عام في جميع مثل هذه الحالات .

مقوتون لا يحبهم الله ، وتنتهي عن الاعتذار لهم والمحااجة عنهم ، وسواء أكانت خيانتهم بالمعاصي اللازمة التي يخص ضررها بصاحبها مثل الكفر والتكبر فضررها يعود عليهم ، أو بالمعاصي المتعدية مثل سرقة الأموال والاعتداء عليها ، أو هتك الأعراض أو سفك الدماء ، أو نقض العهد وخفر الأمانة ، أو الإخلال بالأمن والاستقرار فضرر معاصيهم يصل إلى غيرهم ، فأولئك وإن كانوا يخونون غيرهم فقد خانوا أنفسهم ، لأنهم خرجوا بها عن منهج الإسلام وعن سبيل المؤمنين فعرضوا أنفسهم للعقاب في الدنيا ولسخط الله وعذابه في الآخرة .

والآية الرابعة : تكشف السلوك السيء الذي يتبعه الخونة ، وتبين قصور نظرهم ودناءة نفوسهم وقلة إيمانهم وقلة إدراكهم لحقائق الأمور ، فهم يستترون بأعمالهم من الناس خشية المقت والعقوبة في الدنيا ، ولكنهم لا يستخفون من الله ولا يخافون من سخطه ، وهو المطلع عليهم والقاهر لهم والمسيطر عليهم فلا يخرجون من قبضته ، إنه تصوير لتلك الحال التي تورث الذلة والمهانة والحقارة لأنها دليل على الضعف النفسي وانحراف السلوك وانقلاب الفطرة .

والآية الخامسة : تفضح الذين يتوكلون عن المجرمين ويدافعون عنهم بدون حق ويحاولون قلب الباطل حقاً وقلب الحق باطلاً ، وتبين أن مجادلته لا تجدي شيئاً ، فلا بد أن تنكشف وتضمحل ، وإنما هي مجادلة في الدنيا ، وهي زائلة وما فيها ولا ميزان لها عند الله ، وإنما الأمر الذي يستدعي الاهتمام هو أمر الآخرة دار البقاء والدوام ، دار الجزاء والحساب ، وفي ذلك اليوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه (١) ، فلا يجدون أحداً يجادل عنهم ولا يتوكل عليهم ﴿ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢) ، ولأن الله سبحانه يعلم عملهم وحياتهم فلا محل للتمويه والتزوير .

(١) إشارة إلى الآيات ٣٤ - ٣٦ من سورة عبس .

(٢) سورة عبس : ٣٧

والآية السادسة : تعقب على ما تقدم وتفتح باب الأمل والرجاء بعد هذا العتاب والتهديد والتخويف للخائنين ووكلائهم ، وبعد أن عرضت نتائج أعمالهم: رَغَّبهم الله في التوبة وطلب العفو من الله ، وأخبرهم بأنه واسع الرحمة والمغفرة ، وأن باب التوبة مفتوح على مصراعيه حتى تطلع الشمس من مغربها (١) ، فهو سبحانه حي قيوم قريب يجيب دعوة الداعين (٢) ، ويفرح بتوبة التائبين (٣) بدون قيد ولا شرط وبدون واسطة أحد ، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد صالح .

والآية السابعة : تُعَقَّب أيضاً على ما تقدم فهي تقرر فردية المسؤولية على الجاني ، وتصور حقيقة تحمل الجزاء ، فهي تبعث المجرم والخائن على الخوف والقلق حتى لو أخفى جريمته أو فرَّ بها أو رمى بها بريئاً ، وفي نفس الوقت تبعث الفرح والاطمئنان في نفس البريء إذا عرف أنه لا يُعاقَب على إثم غيره ، فليست هناك معصية يقع إثمها على غير العاصي : ﴿ وَلَا نُزِرُ وَأَزْرَهُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ﴾ (٤) ، وليس هناك توبة تنفع غير التائب .

والآية الثامنة : تصور الجريمة المركبة والخيانة المضاعفة ، فالذي يعمل الخطيئة ثم يرم بها بريئاً ، فقد احتمل ثقلين عظيمين كالجبلين الكبيرين : البهتان بافترائه على البريء ، والإثم الواضح باقترافه المعصية . وفي هذه الآيات الثلاث الأخير قرر الرب تبارك وتعالى المبادئ والأسس التي يُعامل بها عباده ، ويرسم ميزان العدالة لعباده ليتعاملوا به فيما بينهم .

(١) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح برقم (٢٧٥٩) ، باب : قبول التوبة من الذنوب ، وكذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم برقم (٢٧٠٣) .

(٢) إشارة إلى الآية ١٨٦ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، البخاري : ٨٨/١١ الدعوات ، ومسلم في الصحيح برقم (٢٧٤٤) في التوبة .

(٤) سورة الأنعام : ١٦٤

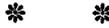
وهكذا كل آيات القرآن الكريم تقرر قواعد التشريع ، وترسُم طريق السير للمؤمنين وتنير الطريق للسالكين ، فرسالة محمد ﷺ هي أعظم نعمة لله على البشر أنقذت الإنسانية من حضيض الجاهلية الأولى ومن عمى البصيرة وفقدان الحياة الروحية ، وسمت بها إلى قمة العزة والفضل والسيادة والقيادة .

ورسالة محمد ﷺ هي التي ستنقذ الإنسانية من الجاهلية المعاصرة إن شاء الله تعالى .

فلا يعرف فضل هذه النعمة إلا من عرف حقيقتها ووفقه الله ، وعرف ضدها وحماه الله .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَنَسْأَلُكَ الْعِصْمَةَ وَالحِمَايَةَ .

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشديعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير ، أستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من تفسير الآية ١١٤ سورة النساء الحث على الإصلاح

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . هو المستحق للحمد وحده .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ولا نبي بعده .
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد . .

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ، ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (٧١) . (١)
بعد أن بين القرآن في الآيات التي سمعنا أولاً ، وبعد أن ختمها بمنتته على
رسوله ﷺ بحمايته وعصمته من كيد المفسدين ، وذكر فضله عليه بإنزال
الكتاب والحكمة ، وتعليمه ما لم يكن له به علم (٢) ، وهي منة من الله على
جميع أمة هذا الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - وخاصة
على من آتاه الله العلم ووفقه للصواب والعمل به .

(١) سورة الأحزاب : ٧١

(٢) إشارة إلى الآية ١١٣ من سورة النساء .

بعد هذا قال تبارك وتعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١) .

فهذه الآية مرتبطة بما قبلها ، فهي تنهي عن النجوى وعن التآمر على الغدر والخيانة ، وعن تبني ما لا يرضى الله من القول ، وتبين أن هذا لا خير فيه ، ثم بينت الطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان ، وهو التناجي في فعل الخير والمعروف والإصلاح بين الناس ، ثم يقرر جزاء هذه النجوى الطيبة وثوابها عند الله إذا أريد بها وجهُ الله وطلب مرضاته ، أما الرياء والسمعة والعمل لثناء الناس ليقال : محسن ، وخيرٌ وطيب ، فهذه الاعتبارات لا قيمة لها في النتائج والثواب ، فانحراف القصد إلى تلك الناحية البشرية يفسد العمل ويمنع الثواب ، وإنما الذي له تأثير الإعانة والتوفيق ويملك الثواب هو الله سبحانه ، فيجب أن يقصد وحده بعمل الخير ، وهو الذي يجب على الخلق التماسُ رضائه والقرب منه .

وقد نهى القرآن الكريم عن النجوى بالإثم والعدوان في عدة مواضع (٢) والحكمة في ذلك : حماية صرح الأمة من التصدع والمحافظة على عصا الطاعة من التشقق ، والإبقاء على الإخوة من التفرق . فالواجب على المسلم أن يكون بعيداً عن أسباب الشقاق والخلاف ، وأن يردُّ أموره وما يخطر له من خواطر إلى القيادة المسلمة - لا سيما فيما يتعلق بالأمور العامة - ليحصل التعاون والتكاتف ، وسد أبواب الفوضى والشقاق التي يدخل منها العابثون والمفسدون وأهل الحقد والحسد .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتفهموا حقائق دينكم ، وخذوا بجميع أطرافه

(١) سورة النساء : ١١٤

(٢) ومنها في الآية : ٨ - ٩ من سورة المجادلة .

ولا تأخذوا بطرف وتتركوا الآخر ، وصلُّوا على البشير النذير (١) صاحب هذا المقام الكريم والخلُّق العظيم (٢) .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللُّهم عن الخلفاء الراشدين وعن الصحابة أجمعين وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاية أمورنا ، ووفقهم لما فيه الصلاح والفلاح .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، واقض الدين عن المدنيين ، واشف مرضى المسلمين .

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣)



(١) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

(٢) إشارة إلى الآية ٤ من سورة القلم .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ - تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء (١)

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ

مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعلم سرهم وجهرهم ،
ويعلم ما تكتمون (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وقائد الغر
المحجلين .

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٥)

(١) ألقيت في ١٥/٢/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النمل : ٢٥

(٤) إشارة إلى معنى في قوله تعالى في الآية ١١٠ من سورة الأنبياء ، ومثله إلى

معنى قوله تعالى في الآية ٣٠ من سورة الأنعام ، وفيه : ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ .

(٥) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

أيها المسلمون : يجب أن نقول الواقع ، وأن نعترف بالحقيقة ، وأن نترك المغالطات لأنفسنا وأهلنا إذا نظرنا إلى أكثر كلام الناس - سواء جهاراً أو إسراراً - نجد ما يكدر النفس ، فلو سجل ما يقال في مجلس واحد لملاّ عشرات الأشرطة ، ولو دوّن لبلغ مجلدات ، لكن أكثر ذلك الكلام لا خير منه ولا بركة فيه ، بل لو أعيد الكلام على مسمع صاحبه لتعجب مما صدر منه كثرة ونوعية ، ولو أراد أن يُلخّص منه فائدة لم يجد شيئاً مما ينفعه في دينه أو دنياه .

والإسلام لم يترك جانباً من جوانب حياة الإنسان إلا أخبر بما ينفع ورغب ، وحذّر مما لا ينفع . قال تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١) .

الإنسان يُدوّن عليه كل ما نطق به لسانه وكل ما عملته جوارحه : ﴿وَأَن عَلَّمْتُمُ الْحَفَظِينَ كِرَامًا كَنِينًا يَعْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ﴾ (٢) ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَبِّ قَبٍ عَنِيدٌ﴾ (٣) . الإنسان سيسأل عن حياته وعن الأيام التي عاشها ، فيمّ قضاها .

الإنسان كُرم وفُضّل على كثير من خلق الله لأمر عظيم ومسئولية في هذه الحياة ، فلا يجوز للإنسان أن يتجاهل واجبه ومسئوليته .

كل كلام الناس إذا لم يكن فيه نفع ديني أو دنيوي لا خير فيه ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى ثلاثة أنواع من كلام الخير يندرج تحتها كل الأفعال الخيرة .

فالمنافع إما جلب مصلحة دينية ، أو مصلحة دنيوية ، أو درء مفسدة دينية أو دنيوية .

(١) سورة النساء : ١١٤

(٢) سورة الانفطار : ١٠ - ١٢

(٣) سورة ق : ١٨

فأشار إلى المنافع الدنيوية بالصدقة ، لأن المال هو قوام الحياة ، وأشار إلى المنافع الدينية بالمعروف وهو ما عرفه الشرع ، بالأمر والنهي ، وأشار إلى درء المفاسد بالإصلاح بين الناس لأن فساد ذات البين هي الحالقة ، تحلق الدين .

والكلام الخَيْرُ النافع هو الذي ينبغي للمسلم أن يشغل به وقته وأن يصرف فيه حياته : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (١) .
يجتمع الإنسان الخَيْرُ بمثله فيقول أحدهما للآخر : إن فلاناً فقير متعففُ أفلا نتصدق عليه ؟ إن فلاناً مريض لا يجد قيمة العلاج أفلا نعالجه ؟ إن فلاناً عاطل عن العمل أفلا نبحث له عن عمل ؟

أو يقول : هلُم إلى معروف نفعله : نذكر الله ، نتدارس القرآن أو سنة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، أو كتب العلم والفقه ، أو حان وقت الصلاة ، أو نعود مريضاً ، أو نصل رحماً .

أو يقول له : هلُم نُصلح بين آل فلان وخصومهم ، أو نُصلح بين فلان وزوجه ، أو قريبه أو جاره : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) . لا يحيط بعظمته ولا بصفته ولا كميته إلا الله تعالى ، لكن بشرط إخلاص العمل لله فيعمل ابتغاء مرضاته وحده ، لا يفعل لئال به جاهاً ولا شعبيةً أو شرفاً ، ولا ليحلب به قلوب الناس ، ولا ليقال : فلان كريم جواد ، ولا ليقال : فلان يعطف على الفقراء والمساكين ، ولا ليقال : فلان داعية لله ، ولا ليقال : شخصية إسلامية بارزة ، ولا ليقال : فلان يحب الخير والإصلاح بين الناس (٣) وغير ذلك من المقاصد الدنيوية .

(١) البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الأدب باب رقم (٣١) وحديث رقم (٦٠١٨) ، (٦٠١٩) ، والرقم الثاني من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه ، ومسلم الإيمان برقم (خاص ٧٤) .

(٢) سورة النساء : ١١٤

(٣) إشارة إلى إخلاص العمل لله تعالى مع حسن النية والمتابعة لرسول الله ﷺ =

فكلُّ هذه وأمثالها اعتبارات وأعراض زائلة مع زوال أصلها ، تفسد العمل وتغير اتجاهه من حُسن القصد إلى الله إلى العمل من أجل الدنيا ومن أجل الناس ، وهذا هو الشرك الخفي ، وإذا خلص العمل لله ، فإن الله يرضى عن صاحبه فيجعل له القبول عند خلقه ويحصل له الثناء دون أن يقصده . والشيطان حريص على إفساد عمل ابن آدم وتغيير اتجاه نيته ، فقد يكون أصلُ النية حسناً خالصاً لله ، فيأتي إبليس فيوسوس إلى الإنسان بأن فلاناً يراك فأحسن العمل ليثنى الناس عليك ثناءً حسناً ، فيغير النية فيفوته ثواب عمله وهو لا يشعر ، فالمسلم لا يلتفت إلى هذه الوسوسة ولا يُلقى لها بالاً ، لا يعمل ولا يترك من أجل المخلوق ، بل يمضي على طريق الإخلاص ، فالوسوسة إذاً لا تضره .

وأما الكلام جهراً أو بنجوى فيما يسوء أحداً من المسلمين فرداً أو جماعة أو بما يضره بدون حق واضح فيه من الله برهاناً ، فهي نجوى وكلام محرّم ، يعود على صاحبه بالوبال والخسران ، ولا يحصل له إلا ما قدر له .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَنفِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾ ﴾ (١)

اللَّهُم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

= والبعد عن الرياء في جميع الأعمال والمعتقدات ، وإليه يشير الحديث النبوي الشريف ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الإمارة » حديث رقم (خاص ١٥٢) ، و (عام ١٩٠٥) ، وقد عقد النووي عليه الباب قائلاً : وهو برقم (٤٣) باب : من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، ثم أخرجه بسياق طويل ونحوه الإمام أحمد في المسند : ٣٢٢/٢

(١) سورة المجادلة : ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كل سلامى فى ابن آدم عليه صدقة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، اللهم لا نحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك (١) .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد ..

فإن جسم الإنسان يشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلاً ، وبها تسهل الحركة
والبحث عن منافعه وإصلاح شئونه ، وهذه نعم من الله على الإنسان يجب
شكرها ، فعلى المؤمن أن يُقدِّم في كل يوم ثلاثمائة وستين صدقة بعدد
مفاصله شكراً لله عليها ، وليعلم أن الله لطيف بعباده ، يسرّ لهم طرق الخير ،
ورضى منهم القليل وأعطاهم الجزيل .

روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « كلُّ سلامى من الناس عليه صدقة ، كلُّ يوم تطلعُ
فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ، ويُعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع
له عليها متاعه صدقةٌ ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح : الصلاة ،
حديث رقم (٢٢٢) ، وهو من دعاء النبي ﷺ .

صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة » (١) . فما أكثر طرق الخير وأيسرها ، ولكن الناس استولت عليهم الغفلة وسيطرت عليهم الشهوات وحب المسليات ، يقضون أوقاتهم فيما لا خير فيه في فضول الحديث والقصص الخيالي لا خير ولا واقعية والصور الخادعة الكاذبة ، وكأنهم غير مسلمين ، وكأنهم غير عقلاء .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه واعلموا أنكم إليه تحشرون (٢) ، وعلى أعمالكم تحاسبون ، وعلى تفريطكم نادمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (٣) ، وصلوا على البشير النذير (٤) .



(١) أخرجه البخاري في الصحيح في الصلح ، باب : فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه في الفتح : ٢٢٦/٥ ، ونحوه مسلم في الصحيح : الزكاة برقم (عام ١٠٠٩) باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(٢) إشارة إلى جزء من الآية ١٠٣ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

(٤) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧ - تفسير الآية (١٣٥) من سورة النساء (١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، خلق الخلق بقدرته ، وأرسل الرسل

برحمته ، وقامت السموات والأرض بعدله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته وألوهيته ،

وفي أسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وصفوته

من أنبيائه ورسله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن

اهتدى بهديه واستنَّ بسنته .

أما بعد ..

فإن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن ليكون نظاماً للبشر ، للفرد والأسرة

والجماعة والدولة ، ليس لأحد دون أحد ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لبلد

دون آخر ، ولا للعرب دون العجم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤) .

(١) ألقى في ١٠/١/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨

(٤) سورة سبأ : ٢٨

القرآن منهج وعقيدة وسلوك ، ونظامُ معاملات وميزان عدالة ، يعالج خطرات النفس البشرية بالدواء الذي أنزله خالق النفس ، وهو الخبيرُ بوساوسها ، العليمُ باتجاهاتها وميولاتها ، البصيرُ بطبائعها وطاقاتها .

القرآن يُربي النفس الإنسانية بأعلى مستويات التربية ، يريد أن تكون في القمة من الأخلاق والفضائل وحسن السلوك وإقامة العدل ومنع الظلم وبث التآخي والتعاطف والتعاون بين الناس والسير بهم على طريق النجاة .

والنفس لها ميولات ، وعواطفُ ، واتجاهات نحو ذاتها ونحو أقاربها ونحو الضعفاء والأقوياء ، ونحو الفقراء والأغنياء ، ونحو الأصدقاء والأعداء . والتجرد من هذه العواطف وتلك الميولات أمر صعب وشاق ، لأنه صعود من أسفل إلى أعلى ، وتعلمون ما في الصعود من مشقة وتعب ، فلا بد من وسيلة تساعد ولا بد من سلم للرقى .

والإيمان هو الوسيلة التي يرقى بها المؤمن إلى المستوى العالي الذي يريده القرآن لبني آدم .

الإيمان هو المصعد الذي يرفع الإنسان إلى ذلك المستوى الرفيع .

الإيمان يعطي الإنسان جناحين يطير بهما كالطائر يعلو بهما إلى طبقات العلا ، أحدهما جناح الخوف من الله ، والثاني جناح الرجاء فيما عند الله ، فالذي لا يطير بهذين الجناحين يبقى داحضاً في حضيض الردي ، والذي لا يخاف من الله ولا يرجو ما عند الله لا يعمل شيئاً لله ، والذي لا يعمل من أجل الله يغلبه الهوى ، والهوى يضل عن سبيل الله .

أرجوكم رجاءً خاصاً أخوياً أن تجمعوا سمعكم وقلوبكم لاستماع هذه الآية من سورة النساء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ بِأَلْقَسَطِ شُهَدَاءِ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوَالِدِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَوْا أَوْ نَعَرْتُمْ أَوْ قَرَأْتُمْ فَلَانَ اللَّهُ كَانَ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (١) .

النداء عام فليس للقضاة وحدهم ، ولا للولاة وحدهم ، بل لجميع المؤمنين
كُلُّ فيما يخصه ، وخصَّ المؤمنين بالنداء دون بقية الناس لأن المؤمنين هم الذين
عرفوا الحق واتبعوه ، وهم الذين عندهم سلم الرقي إلى شرف الإسلام وإلى
مناجاة من في السماء .

الله أكبر . . إنها التربية بأعلى المستويات ، إنه التوجيه الفريد والعدل الذي
ليس بعده عدل ، النفسُ والأبُ والأمُ والإخوة والزوجُ والأقرباءُ والأصدقاءُ
والأعداءُ والفقراءُ والأغنياءُ والضعفاءُ والأقوياءُ . كلهم في العدل سواء : ﴿
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى
الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ (٢)
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ (٣) .
القسط المذكور في الآية هو العدل ، والقوامون : جمع قوام ، والقوام :
صيغة مبالغة من قائم .

قال الحافظ ابن كثير : يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين
بالقسط ، أى بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم في الله
لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين
متعاضدين متناصرين فيه .

(١) سورة النساء : ١٣٥

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) سورة المائدة : ٨

وقال الفخر الرازي : لما تقدّم ذكّر النساء والنشوز والمصالحة بينهن وبين الأزواج أعقبه بالأمر بالقيام بأداء الحقوق لله تعالى وبالشهادة لأداء حقوق الله ، وبالجمله فكأنه قيل : إن اشتغلت بتحصيل مشتهياتك كنت لنفسك لا لله ، وإن اشتغلت بتحصيل مأمورات الله كنت لله لا لنفسك ، ولا شك أن هذا المقام أعلى وأشرف .

وقال القرطبي : لا خلاف بين أهل العلم في صحة أحكام هذه الآية ، وأن شهادة الولد على الوالدين (الأب والأم) ماضية ، ولا يمنع ذلك من برهما ، بل من برهما أن يشهد عليهما ويخلصهما من الباطل وهو معنى قوله : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ شُهِدَاءَ اللَّهِ ﴾ ، أي أن الشهادة حق لله تُؤدّي من أجله يُثاب مؤديها لله ويُعاقب كاتمها : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ ﴾ (٢) . فليست الشهادة للناس ولا للدنيا ، ولا لإرضاء أحد ولا لمضارته .

العدل ميزان الله في أرضه ، به تُحقن الدماء ، وتُصان الأعراض ، وتُحفظ الحقوق ، ويتّشر الأمن ويعم الرّخاء ، ولا يتحقق العدل إلا بإقامة الشهادة على وجهها وبالتعاون على البرّ والتقوى .

وكيف يشهد الإنسان على نفسه ؟

إذا أقرّ المرء بالحق الذي عليه ثبت الحق بالإقرار كما يثبت بالشهادة بل أكد ، فهو بإقراره شهد على نفسه .

وذكر بعض المفسرين تفسيراً آخر فقال : أن يكون المراد وإن كانت الشهادة وبالأعلى على أنفسكم وأقاربكم ، وذلك أن يشهد علي من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره ، ومثل ذلك الشهادة على البذيء الفحّاش الطعان الذي

(١) سورة التحريم : ٦

(٢) سورة البقرة : ٢٨٣

لا شيمة له ولا حُلُق ولا دين ، فلا يمنع ذلك من أداء الشهادة لله ، وهكذا يربي القرآن أمة محمد ﷺ على مقاومة الدوافع النفسية والمشاعر الفطرية والاجتماعية ، فحين يكون المشهود عليه أب أو أم أو أحد الأقرباء فتتحرك الحمية والعطف ، وكذلك إذا كان المشهود عليه فقيراً أو ضعيفاً فقد تشفق عليه النفس فلا تشهد عليه ، بل تحب أن تشهد معه لضعفه أو فقره ، أو يكون الضعف أو الفقر مدعاة للشهادة ضده عند بعض النفوس التي فيها خصال من جاهلية ، وكذلك حين يكون المشهود عليه غنياً أو قوياً ، فقد تقضي الأوضاع الاجتماعية مجاملته ، وقد يثير غناه أو تصرفاته بعض الناس ضده فيحاول أن يشهد عليه لإهانته . والقرآن يلغي هذه المشاعر وهذه التصورات ويُلقيها جانباً ، لا قيمة لها أمام الحق والعدل ، ولذلك قال : ﴿ فإله أولى بهما ﴾ ، فهو أعلم بما فيه صلاحهما وهو أرحم بهما من الناس .

ثم ختم الآية بالوعيد الشديد لمن اتبع الهوى فلم يعدل ، ولمن حرف الشهادة وغيرها أو أداها بكلام فيه مغالطة ، أو يعرض عنها فلا يؤديها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، هناك قضايا لا تُعرف إلا بالإقرار ، مثلُ : دعاوي الزوجين فيما هو داخل البيت ، ومثل القضايا التي تكون على غيبة من الشاهد ، فيجب الإقرار بالحقيقة والشهادة على النفس بالواقع ، فمن كتم فهو آثم قلبه ، ومن جحد فهو كاذب ، والمؤمن لا يكون كذلك ، والاعتراف بالحق فضيلة . وهناك حقوق ودماء وأعراض لا تُحفظ إلا بالشهادة على النفس ، فكونوا عباد الله قوامين بالقسط شهداء لله .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا .

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رَشْدَنَا وَقْنَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سرقۃ الدرۃ

(الخطبة الثانية)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد ..

فخير وصية المسلم لأخيه المسلم تقوى الله ، فإذا حصلت التقوى حصل

كل خير في الدنيا والآخرة ، وهي وصية الله تبارك وتعالى لعباده : ﴿ وَوَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) . فراقبوا ربكم أيها المسلمون ، وانظروا ماذا تقولون وماذا تفعلون ، وزنوه بالقسطاس المستقيم .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة المائدة : ٥٠

(٣) سورة النساء : ١٣١

حصل في عهد رسول الله ﷺ قضية وخفي أمرها وحكم فيها عالم الغيب والشهادة من فوق سبع سموات . سُرِق درع لرجل من الأنصار ، واتهم فيه ابن أبيرق ، ورفعت القضية لرسول الله ﷺ ، فذهب السارق وألقي الدرع في بيت رجل يهودي وأخبر بعض أقربائه ، فجاء نفر منهم وقالوا : يا رسول الله ؛ إن صاحبنا بريء ، وإنما عمَد قتادة بن النعمان إلى بيت منا أهل إسلام وصلاح ورماهم بالسرقة ، فأبريء يا رسول الله صاحبنا أمام الناس ، فإن لم تُعذره هلك ، فبرأه رسول الله ، فنزل القرآن بالحكم في القضية : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدُ لِحَبْلٍ مِنْ الَّذِينَ يَخْتَابُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَاتُم هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴿١﴾

وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يضرب المثل القيم في إنفاذ العدل ، لما بعثه الرسول ﷺ إلى خيبر لخرص ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : والله لقد جئتمكم من عند أحب الخلق إليّ ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم ، فقالوا : رضينا .
فاتقوا الله أيها المسلمون . . كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، وصلوا على البشير النذير .

* * *

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١٠٩ . انظر تفسير ابن كثير : ٣٥٩/٢ ، وقال : وهذا سياق غريب ، وكذا ذكر مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ - تفسير الآية (٣) من سورة المائدة (١)

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، « اللّهُم لا نحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلقنا من العدم وربانا بجميع النعم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٤)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، فيبين الرشد من الغي (٥) ، وهدى للتي هي أقوم (٦) .

اللّهُم صلِّ وسلِّم على البشير النذير والسراج المنير نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن آخر ما نزل من القرآن الكريم آية في سورة المائدة تكلم الرب تعالى

(١) ألقى في ٢٠/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح : الصلاة برقم (خاص ٢٢٢) ، و(عام ٤٨٦) .

(٤) سورة إبراهيم : ٣٤

(٥) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٦) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الإسراء .

عن نفسه وأخبر بأنه أكمل لأمة محمد ﷺ دينهم ، وأنه أتم عليهم نعمته ، وأنه رضى لهم الإسلام ديناً ، فأكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة ؛ وأيس الذين كفروا من أن ينالوا من دين الإسلام أو أن ينقضوه أو أن يحرفوه ، فقد كتب الله له الكمال وسجّل له البقاء ، وتكفّل الله بحفظه وحمایته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَظُّونَ ۝١ ﴾ (١) . وقد بيّن الله تعالى في محكم التنزيل أن رسالة محمد ﷺ كاملة .

هذه الآية من سورة المائدة تتخلل أحكام الحلال والحرام إشارة إلى ترابط قواعد هذا الدين وأنه وحدة متكاملة وكتلة مجتمعة لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ، فلا يصلح أن يؤخذ ببعضه ويترك البعض ، ولا أن يُحكّم به في جانب من الحياة دون جانب ، فلا يكفي الإيمان في القلب دون التطبيق العملي ، ولا يكفي تطبيقه في العبادات دون المعاملات ؛ ولا يكفي تحكيمه في الأحوال الشخصية دون الحدود والحقوق ؛ فمن ترك جزءاً (٣) من أجزاء الإسلام فكأنما تركه كله ، ومن رفض حكماً من أحكامه فكأنما رفض أحكامه كلها ، ومن نفى آية من القرآن فكأنما نفاه كله ، فهو دين متماسك كامل لا يقبل التجزئة ولا التفرقة : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ (٣) .

وحيثما يتأمل المؤمن هذه الدنيا ويستعرض موكب الحياة البشرية ، من أول خلق آدم عليه السلام من طين ، من صلصال ، من حمأ مسنون (٤) ، ثم خلق زوجته ، ثم أخذ العهد عليهما بالألّا يقربا تلك الشجرة ، ثم أخذ العهد

(١) سورة الحجر : ٩

(٢) إشارة إلى الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة : ٨٥

(٤) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة إبراهيم .

على ذُرِّيَّةِ آدَمَ على ربوبية الله ، ثم وقوع الكذب والغدر والخيانة من إبليس لآدم وزوجه (١) ، ثم مخالفة العهد والأكَل من الشجرة ، ثم الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، ثم أخذ العهد من الفريقين ، باتباع الهدى ، واجتناب الغي والردي ، ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) ، ثم نسيان بني آدم للعهد حتى استهوتهم الشياطين فأغوتهم فعبدوا الأصنام من دون الله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْدَرْنَ الْهَيْكُلَ وَلَا تَنْدَرْنَ وِدَاً وَلَا سِوَاهَا وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقُ وَشَرًّا ﴾ (٣) ، ثم تتابع الرسالات من عهد نوح عليه السلام بالهدى والنور والتوعية والتبصرة ، كلِّما غفلت أمة عن مهمتها ، وقصرت في أداء واجبها ، وانحرفت عن صراط ربها ، أرسل الله إليها رسولاً منها يهديها الطريق القويم ، فكان الرسول يُبعث في قومه خاصة حتى شاء الله أن يختم الرسالات ويقطع الوحي من السماء لقرب انتهاء المطاف بهذه الحياة الدنيا ، ختمها برسالة كاملة شاملة أرسل بها رسولاً طهره واصطفاه وقرَّبه ، وأدناه (٤) فأرسله إلى جميع الثقيلين الجن والإنس بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين وسراجاً منيراً (٥) ، وأنزل عليه كتاباً مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه (٦) ، أنزل عليه وحياً يخاطب العقول والفطرة ويتناول جميع نواحي الحياة ، حياة الفرد والأسرة وحياة المجتمع والدولة ،

(١) إشارة إلى الآية ٣٥ سورة البقرة .

(٢) سورة البقرة : ٣٨

(٣) سورة نوح : ٢٣

(٤) إشارة إلى الآية ٨ من سورة النجم .

(٥) الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٦) إشارة إلى الآية ٤٨ من سورة المائدة .

نَظْمَ صِلَةِ الْإِنْسَانِ بِخَالِقِهِ وَصِلَةِ الْمُسْلِمِ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَصِلَةِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِهِ ؛ حَتَّى
صَلَّتَهُ بِالْحَيَوَانَ (١) وَجَمِيعِ أَفْرَادِ الْعَالَمِ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ وَعَالِجِ جَمِيعِ
الْمَشَاكِلِ ، وَرَسَمِ جَمِيعِ النِّظْمِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا حَتَّى حَاجَةَ
الْإِنْسَانِ كَيْفَ يَقْضِيهَا : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا

أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نَشُرُّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

﴿ (٢) ، فَالَّذِي أَنْزَلَ النِّظْمَ السَّمَاوِيَّ لِلْإِسْلَامِ هُوَ الَّذِي خَلَقَ
الْإِنْسَانَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْكُونَ وَيَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ وَمَا سَيَكُونُ مِنْ تَطَوُّرَاتٍ
وَتَغْيِيرَاتٍ وَمَا يَسْتَجِدُّ مِنْ مَتَطَلِبَاتٍ ، فَجَعَلَهُ نِظْمًا يَتَسَعُّ لْجَمِيعِ الْإِحْتِمَالَاتِ فِي
إِطَارِ الْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ وَفِي ظِلِّ التَّقْوَى وَخَشْيَةِ اللَّهِ ، فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَصَوَّرَ
أَنْ هَذَا الدِّينُ غَيْرُ شَامِلٍ أَوْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَكْمِلَةٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ أَوْ تَنْسِيقٍ
أَوْ تَطْوِيرٍ ، فَإِنْ هَذَا تَصَوُّرٌ خَاطِئٌ يَخَالِفُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ .

وَلَكِنْ أَبْنَاءُ الْإِسْلَامِ هُمُ الَّذِينَ فِي حَاجَةٍ إِلَى فَهْمِ إِسْلَامِهِمْ وَتَدْبِيرِ كِتَابِهِمْ
وَالْعَمَلِ بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا ، وَلَا شَكَّ أَنْ إِتْمَامَ هَذَا الدِّينِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ
اللَّهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ : ﴿ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (٣) ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ فِي جَانِبِ
نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ شَيْئًا يُذَكَّرُ ، فَالْإِسْلَامُ هُوَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ
الْعِزُّ وَالسَّعَادَةُ وَالْكَرَامَةُ لِلْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُسْلِمُ
عَنْ غَيْرِهِ ، أَمَّا بَاقِي النِّعَمِ فَيَسْتَوِي فِيهَا الْمُسْلِمُ وَغَيْرَ الْمُسْلِمِ ، وَالْإِنْسَانُ وَغَيْرَ
الْإِنْسَانِ ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، البخاري برقم (٣٤٨٢) ،

ونحوه مسلم في الصحيح برقم (٢٧٥٦) : « دخلت امرأة النار في هرة » .

(٢) سورة الأنعام : ٣٨

(٣) سورة المائدة : ٣

(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧

فاشكروا ربكم أيها المسلمون على هدايته ، وتوبوا إلى الله وارجعوا إلى
إسلامكم وتعاليم دينكم ، وحكموا شرع الله بينكم ، وإذا كانت المحاكم
الشرعية غير متيسرة لدى البعض ، فلو اتفق الخصمان على رجل يرضون
علمه وأمانته ليفصل بينهم على وفق شرع الله وينفذونه بينهم لكان أسلم
وأقوم . ولو جعلت محاكم خيرية إسلامية بالتراض كما جعلت مدارس
وجمعيات ومؤسسات خيرية ، فلعل الله أن يجعل في ذلك خيراً كثيراً ،

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾
﴿ (٢) ، ﴿ فَإِن نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٣) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ،
واهدهنا الصراط المستقيم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واغفر لنا
ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة النساء : ٦٥

(٢) سورة النور ، آية : ٥١

(٣) سورة النساء ، آية : ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
شكر الله على نعمة الإسلام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، مليء السموات ومليء الأرض (١) .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها الزلفى إلى
الله والنجاة يوم نلقاه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن اختيار الخالق تبارك وتعالى دين الإسلام شرعة ومنهجاً للمؤمنين دليل
على عنايته تعالى بهم ومحبته لهم ورضائه عنهم : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا ﴾ (٢) ، فواجب الأمة المسلمة أن تبذل جهدها لشكر المنعم عليها ، وأن
تقوم بكل قدراتها بحقوق ربها ، وأن تدرك مدى هذا الاختيار وهذا الرضا
فتمسكُ بدينها الذي رضيهُ لها ربها بكل عزائمها ، وأن تعض عليه
بنواجذها ، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه . أخرجه النووي : ١٩٦/٢ ،
وإسناده صحيح .

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) سورة آل عمران : ٨٥

إنه من السفه والجهالة أن يترك المسلم ديناً اختاره الله لعباده ورضيه لأوليائه إلى نظم وضعية ، وضعتها أيد بشرية خطأها أكثر من صوابها ، وحينها أكثر من عدلها ؛ فالإنسان لم يستطع أن ينظم نفسه وأسرته إلا بنظام الإسلام ، اعترافاً أو اقتباساً ، فكيف ينظم مجتمعاً وهو الضعيف المسكين ؟ ولذلك نرى تلك النظم تتغير من آن لآخر لأي سبب من الأسباب ، ولأي غرض من الأغراض .

إن الذين تنكبوا عن الصراط السوي مجاراةً للناس أو لأطماع دنيوية وتركوا كتاب الله سواء أكان تنكبهم عن علم ورغبة عن الإسلام ، أو عن جهل بحقيقة الإسلام ، هؤلاء الناكبون لن يتركوا بلا جزاء ولا عقاب ، وإن من أشد العقاب أن يُطمس على بصيرة الإنسان فتقلب تصوراته فيرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١)

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا وَخَشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِبٌ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفُرُودُ ﴾ (٢) ﴿

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣)

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤)

* * *

(١) سورة فاطر : ٨

(٢) سورة لقمان : ٣٣

(٣) سورة فاطر : ٦

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩ - تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة (١)

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ ﴾ (٢) ، ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ما ترك خيراً إلا دلّ أمته عليه ورغبها فيه ، ولا شراً إلا بينه لها وحذرنا منه .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع ملته وحكم بحكمه .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلن ، فمن اتقى الله كفاه كل أمر يهمه ، وحفظ له شأنه ، ويسر له أمره ، ورزقه من حيث لا يحتسب ﴿ (٥)

(١) أُلقيت في ٢٣/٢/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة المائدة : ٤٠

(٤) سورة التوبة : ٣٣

(٥) إشارة إلى الآية ٣ من سورة الطلاق .

ثم أوصيكم بتأمل هذه الآية الكريمة من سورة المائدة وتدبر معانيها ، وتفهم مدلولاتها ، والنظر في مصالحتها للفرد والجماعة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ (١) ﴾

إن الإسلام وضع أحكاماً وحدوداً لحماية الأنفس والأعراض والأموال ، وحماية النظام العام والأمن المبني على شرع الله ، ونظام الإسلام هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٢) ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَمُنظَرُونَ ﴿١﴾ ﴾ (٣) . والسنة المطهرة الصحيحة تُفسر القرآن وتبينه . هذا الدستور الذي تكفل الله له بالخلود إلى أن تقوم الساعة ، وتكفل لمن اتبعه وسار على منهجه بالعز والتمكين ، خضعت له الجن والإنس طوعاً وكرهاً ، طوعاً بالإيمان والتصديق ، وكرهاً بالفطرة والأمر الواقع : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴿٤﴾ ﴾

اجتمعت هيئة الأمم المتحدة لدراسة نظمها وقوانينها ، وقدم كل مندوب دستور بلاده من القوانين الوضعية ، ولما جاء دور المملكة العربية السعودية ، بلاد الإسلام التي تحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فقدم مندوب المملكة المصحف العظيم ، وقال : هذا هو دستورنا ، فخضع له جميع الحاضرين من المسلمين وغير المسلمين ، وحنوا صدورهم وأرخوا رؤوسهم خضوعاً له وتعظيماً ، وإكباراً وإجلالاً واعترافاً بأنه مهيمناً على الكتب

(١) سورة المائدة : ٣٨ - ٣٩

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في وصف القرآن الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٣) سورة الحجر : ٩

(٤) سورة الرعد : ١٥

والنظم ، وكلام الله العظيم يقف عنده كل قول ، وتذوبُ أمامه جميع المعارضات والأباطيل .

فالمجتمع المسلم والأمة المسلمة تُقيم حياتها كلها على نظام الإسلام وعلى منهج الإسلام وعلى شريعة الله في جميع شئونها وارتباطاتها وعلاقاتها ، وبهذا تكفل لكل فرد ولكل جماعة مقومات العدالة والكفاية والأمن والاستقرار ، وتستطيعُ أن تدفع عنها عوامل الشر والاستفزاز وكلَّ دوافع الظلم والاعتداء .

وأمة تتخلق بأخلاق الإسلام وتحكم بشريعة الله وحكمه في جميع شئونها يُعتبر الاعتداءُ على شيء من حقوقها الفردية أو العامة ؛ جريمةً بشعةً منكراً ، لذلك وضع الخالق تبارك وتعالى الحدود والجزاءات على الجرائم لحماية الأمة المسلمة ، وحماية حقوقها العامة والخاصة ، ولإصلاح ما فسد ومعالجة الأمراض الاجتماعية ، فيجب على كل مسلم أن يتلقى أحكام الإسلام وحدود رب الناس بالرضا والقبول والتسليم دون تردد ودون شك أو ريب :

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها » (رواه البخاري ومسلم) (٢) .

ولا شك في أن فوائد الحدود راجعة إلى البشر ، حتى الذي أقيم عليه الحد ،

(١) سورة النساء : ٦٥

(٢) البخاري ، باب : إقامة الحدود على الشريف والوضيع (٦٨٨٧) ، وباب : كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (٦٧٨٨) ، ومسلم في الحدود (١٦٨٨) باب : قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ، وأبو داود والترمذي والنسائي .

فإقامة الحدود تربى الضمائر وترقق الطباع ، وتهذب الأخلاق ، وتصدُّ عن طريق الشر وتوجه إلى طريق الخير ، وتكسر شوكة الشر من النفوس وتمنع الجريمة ، وتحملُ على القناعة بالرزق المباح وإن قلَّ ، وتكسر سورة الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس ، وتنشر الأمن والاستقرار ، وتسببُ الرخاء والخيرات ، وتحث على التوبة إلى الله والاستقامة .

والقطع في السرقة واعظ ملازم ، وزاجرٌ مشاهد ، مَنْ رآه اتعظ به ، فبقطع واحد يصلح ملايين ، وتستقر أقاليم ، وتتعض أمم (١) . والعجبُ كلُّ العجب ممن يقول إن القطع فيه شدة ولا يتفق مع المدنية المعاصرة ، سبحان الله ، نعم فيه شدة على المجرم الذي أربه الأمة ، وأخاف الأمنين ، وأخذ المال المعصوم ، ولكن هذه الشدة مع الجاني فيها رحمة بعشرات الملايين ورحمة للجاني نفسه حتى لا يعود لمثلها ، وحتى يبحث عن عمل شريف ، وفيه زجر لمن تحدته نفسه بمثل السرقة ، ثم يسأل إذا كان الخلق خلق الله ، والمُلك لله ، والبشر ملك لله فهل من حق المدنية أن تنشر الفوضى وتخل بالأمن وتبعث الإرهابَ وتغمط الحقوق ، وتسعى بالظلم ؟

هل هؤلاء أعرف بمصالح الناس من خالقهم ؟

هل هم أرحم بالناس من ربهم ؟

ما يريد هؤلاء إلا تشجيع الجرائم وإفساد المجتمعات ، والإخلال بالأمن ونشر الفوضى والإرهاب ، وقد أثبتت التجارب أن إقامة الحدود هي التي تقضي على الجرائم ، وتسد باب الشر والفساد كما هو المحسوس في المملكة العربية السعودية ، وأن إهمال الحدود هو الذي يسبب الفوضى وانتشار الشر

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٧٩ من سورة البقرة ، : ﴿ ولكم في الفصا

حياة يا أولوا الألباب ﴾ .

والفساد وعدم المبالاة (١) . إن إقامة حد في الأرض خيرٌ لأهلها من أن يُمطروا أربعين يوماً ، كما جاء في حديث أبي هريرة (٢) رضي الله عنه عند النسائي وابن ماجه ، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن ماجه ، وأما حديثُ ابن عباس رضي عنهما الذي رواه الطبراني بإسناد حسن فنصه : « وحدُّ يُقام في الأرض بحقه أذكى فيها من مطر أربعين عاماً » (٣) . وإذا تأملنا البلاد التي تُحكم بشرع الله وتُقام فيها حدود الله ، وجدنا الجرائم فيها قليلة ضئيلة لا تُذكر في الحجم والمقدار ، بالنسبة للجرائم والحوادث والفتن في البلاد التي لا تحكم بشرع الله ولا تقيم حدود الله ، فالسلطان الذي يدين بدين الحق ويحكم بما أنزل الله يجعل الله له هيبة وقبولاً ، وضدّه بضده كما قال صلى الله عليه وسلم : « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضَى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » (٤) . ولا عبرة بما نسمعه من تجمع الأحزاب مع

(١) مثل ما نسمع عنه في كبريات الدول ، تتألف عصابات مسلحة تسرق الصناديق وترهب الأمنيين وتدهش المشاهدين .

(٢) حديث أبي هريرة أخرجه النسائي : ٧٦/٨ في قطع السارق ، باب : الترغيب في إقامة الحد وهو موقوف .

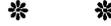
(٣) حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير (١١٩٣٣) ، وفي الأوسط مرفوعاً بلفظ : « يَوْمٌ من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ، وحد يُقام في الأرض بحقه أذكى فيها من مطر أربعين عاماً » . قال المنذري في الترغيب والترهيب : ٣٤٦/٣ : رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٤) إسناده حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٤٩٩) ، (٥٠٠) ، وابن المبارك في الزهد (١٩٩) ، ومن طريقه الترمذي (٢٤١٤) في الزهد ، والبغوي (٤٢١٣) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

زعمائهم ، فإنما هي أطماع دنيوية ، فإذا لم ينالوا منه مرادهم لاموه وصاروا ضده في الانتخابات ، « ما كان لله دَامَ واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل » (١) .

فإذا رأيتم حدود الله تُنفذ فاحمدوا الله على نعمه وهدايته ورعايته وتوفيقه ، واسألوا الله العفو والعافية ولا تلوموا ولا تُسّمِتوا ، ولازموا طاعة الله وطاعة رسوله وجماعة المسلمين .

نسأل الله الهداية والتوفيق والثبات لنا ولإخواننا المسلمين ، ونسأله المغفرة والرحمة ، إنه هو الغفور الرحيم .



(١) إشارة إلى عدة نصوص قرآنية وسنية بمعناه ، منها قوله تعالى في الآيات ٢ ، ٣ ، ١١ ، ١٤ من سورة الزمر ، والآية ٦٥ من سورة غافر . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، وأما قوله : « وما كان لغير الله انقطع وانفصل » معناه في قوله تعالى في الآية ١٦٦ من سورة البقرة ، والآية ١١٤ من سورة التوبة ، وغيرهما من الآيات الكثيرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النجاة من الفتن

(الخطبة الثانية)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وأصدق القول كلام الله ، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في الإسلام ضلالة ، وكل ضلالة في النار (٢) . واعلموا أن يد الله مع الجماعة ، ومن شذَّ شذَّ في النار (٣) . إن الفتن تحيط بالمسلمين من كل جانب ولا منجى منها إلا بالاعتصام بكتاب الله والالتجاء إلى فاطر السموات والأرض ، والعمل بسنة نبينا محمد ﷺ .

(١) سورة الأعراف : ٤٣

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ابن ماجه برقم (٤٦) بسياق طويل وفيه هذا اللفظ ، وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، الترمذي برقم (٢١٦٧) ، وإسناده حسن مع الشواهد .

واعلموا أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيخطى غيركم (١) إليكم
فخذوا حذرکم ، فقد تنوعت أسباب المنايا وكثر موت الفجأة ، ونحن في
آخر الزمان ، في وقت الفتن والمحن .

الجاؤا إلى فاطر السموات في السراء والضراء ، وأصلحوا ما بينكم وبينه
يصلح ما بينكم وبين الناس (٢) .

راجعوا أنفسكم وأصلحوا من شأنكم واعترفوا لله بتقصيركم وخطئكم ،
ولا ترغبوا عن نظام الإسلام ولا عن دستور القرآن ونصوصه ، تعبدوا لله
بتلاوة القرآن وتحكيم أحكامه .

ارحموا الفقراء والمساكين وانصروا المظلومين ، وكونوا عباد الله إخواناً ،
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

وأكثروا من ذكر الله بالتهليل والتكبير والاستغفار .

وحافظوا على الصلوات المكتوبة في أوقاتها ، وأدوا زكاة أموالكم ببارك الله
لكم فيها ويحفظها لكم .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير ، فقال جلَّ

قائلاً عليماً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

* * *

(١) مقالة مشهورة وردت عن بعض التابعين رضي الله عنهم ، وهي حق وصاب
وواقع ملموس .

(٢) معناه في كتاب الله تعالى في الآية ١١٨ من سورة التوبة ، والآية ٤٧ من
سورة الشورى .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠ - تفسير الآية (١١٨) من سورة التوبة (١)

ساعة العُسرة والثلاثة الذين خُلّفوا

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يتبلي ويختبر ليعلم الذين آمنوا ويعلم المنافقين ، وليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .

ففي مثل هذه الأيام في حمارة القيظ ، في وقت اشتد فيه الحر ، في سنة مجدبة ، وفي عُسرة من الزاد والراحلة ، وفي قلة من الماء ، وحين طاب الظل ونضجت الثمار في المدينة المنورة ، وحين توفرت مغريات الإقامة ، ندب رسول الله ﷺ لتجهيز جيش العُسرة إلي تبوك ، فلم تقعد منقرات

(١) أُلقيت في ١٠/١/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأحزاب : ٤٣

(٤) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ٣ من سورة العنكبوت .

السفر ولا مغريات الإقامة بالمؤمنين الصادقين عن تلبية دعوة رسول الله ﷺ ،
ففر أكثر من ثلاثين ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس ، ولم يتخلف إلا
منافق منغمس في النفاق ، أو صاحب عذر ، إلا ثلاثة نفر من المؤمنين
الصادقين أقعدهم القَدَر وأخرهم التسويف . والله في ذلك حكم (١) .

فجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ذلك الجيش بثلاثمائة بعير بأحلاسها
وأقتابها وعدتها وبألف دينار . فقال رسول الله ﷺ : « غفر الله لك يا عثمان
ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٢) » ، وما أخفيت وما أعلنت » . وقال عليه
الصلاة والسلام : « ما على عثمان ما فعل بعد هذا ، ما ضر ابن عفان
ما عمل بعد اليوم » ، يكررها (٣) .

وكان النفر يتعاقبون على بعير (٤) ، وكان زادهم التمر الموسوس والشعير
المتغير ، والإهالة التنتة ، وبعض الرفقة ليس معهم إلا التمرات ، فإذا بلغ
الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ، ثم يعطيها لصاحبه
حتى يشرب عليها جرعة من ماء ، وهكذا حتى تأتي على آخرهم فلا يبقى في
التمررة إلا النواة ، انه ابتلاء واختبار (٥) ، فمضوا مع رسول الله ﷺ على

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . البخاري برقم (٢٨٣٨)
الجهاد ، الباب (٣٥) : من حبسه العذر عن الغزو ، وهي غزوة تبوك .

(٢) معناه في الصحيح عن حديث عبد الله بن عمر ، البخاري (٣٦٩٨) :
١٩/٣ ، والترمذي (٣٧٠٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد :
١٠١/٢ ، وفي فضائل الصحابة (٧٣٧) .

(٣) البخاري معلقاً (٢٧٧٨) ، ورواه الدارقطني موصولاً : ١٩٩/٤ ، وقال الحافظ
في الفتح : إنه موصول للإسماعيلي : ٤٠٧/٥ ، وأحمد في المسند : ٥٩/١ ،
وفضائل الصحابة (٣) .

(٤) هذا اللفظ ثابت في مسند الإمام أحمد في غزوة بدر : ٤٢٢/١ من حديث ابن مسعود .

(٥) هذا ثابت في الصحيح ، البخاري برقم (٣١٥٩) في غير هذه الغزوة ، وهو
من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتفسير الطبري : ٥٥/١١ وهو غزوة تبوك .

صبرهم وتحملهم واحتسابهم لما عند الله ، فأنزل الله فيهم قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) . وصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ساعة العُسرة فقال : نزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، وحتى أن الرجل لينحر بعيه فيعصر فرشه فيشربه ويحمل ما بقى على كبده ، وأصاب الناس مجاعة^(٢) ، والله خزائن السموات والأرض ولكن أراد أن يختبر المؤمنين ليظهر طاعتهم للعيان وليختبر استسلامهم لله ولرسوله ﷺ في أشد الأحوال ليستد عودهم وتقوى شكيمتهم ، ثم طلب أبو بكر رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يستسقى ربه ، فاستسقى فأمطرت سحابة على المعسكر فشربوا وحملوا كفاتهم^(٣) ، وطلب عمر من رسول الله ﷺ أن يجمع ما مع الجيش من طعام ويدعو فيه فجاء الرجل بكسرة تمر ، والرجل بحفنة من تمر ، والرجل بكسرة من خبز ، ووضع على النطع أقل من ربضة العتر ، فدعا رسول الله ﷺ في الطعام وسأل ، فأنزل الله فيه البركة فأكلوا وشبعوا وملؤا أوعيتهم^(٤) .

وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة كعب بن مالك - شهد

(١) سورة التوبة : ١١٧

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک : ١٥٩/١ ، وابن جرير الطبري في تفسيره : ٥٤١/١٤ ، وإسناده صحيح وقد وهم في إسناده الحاكم . راجع الذهب المسبوك : ٥٠/١ - ٥١

(٣) صحيح مسلم كتاب « الإيمان » ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً : ٥٥/١ ، البخارى : ٤٤ ، ٤٥

(٤) مسلم في الصحيح : ٢٢١/١ - ٢٢٣ مع النووي ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . راجع تفصيل هذه الرواية وتخريجها في الذهب المسبوك ص ٤٤ - ٤٨

العقبة ، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع - شهدا بدرأ رضي الله عنهم ، ولم يتخلفوا لشك ولا لريب ، وإنما أردكهم الضعف البشري ، وإليكم موجز خبرهم مما في صحيح البخاري (١) .

قال كعب بن مالك رضي الله عنه : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ توجه قافلاً حضرني بئى فطفقت أتذكر ما أخرج به من سخط رسول الله ﷺ ، فلما أظل قادماً زاح عني الباطل فأجمعت صدقه ، فلما جلس في المسجد جاءه المتخلفون يعتذرون ويحلفون ، فقبل منهم صلى الله عليه وسلم ظواهرهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله ، فلما سلمتُ على رسول الله تبسم تبسم المُغضَب ، ثم قال : « تعال » ، فجلستُ بين يديه ، فقال : « ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك » ؟ - أي اشترت بعيرك - (٢) .

فقلت : يا رسول الله ؛ إني والله لو جلست عند غيرك في أهل الدنيا لرأيتُ أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيْتُ جدلاً ، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبي الله ، والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفتُ عنك . قال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » ، قال : وكان هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة قالا مثل ما قلتُ وقيل لهما مثل ما قيل لي .

قال : ونهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، فاجتنبنا

(١) أخرجه البخاري في الصحيح في مواضع عديدة من صحيحه : الأحكام : ٦٧/٩

الفتح ، انظر الذهب المنسوك : ٩٢/١ - ١٠٠

(٢) هذا جزء من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، البخاري في كتاب التفسير

من صحيحه : ٥٨/٦ - ٥٩

الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفس الأرض التي أعرف ، فلما مضى أربعون ليلة أرسل لنا رسول الله ﷺ بأن نعتزل نساءنا .

قال كعب : وكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه بعد الصلاة ، فأقول في نفس هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظرا إليّ ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني ، ثم جئت ابن عمي أبا قتادة وهو أحب الناس إليّ فسلمتُ عليه فوالله ما ردّ السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة ؛ أنشدك الله هل تعلم أنني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فناشدته (١) . فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عياني . وبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيُّ من أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلني على كعب بن مالك ، فطفق الناس يشيرون إليّ ، فدفع إليّ كتاباً من مَلِك غسان فقرأته ، فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضية ، فألحق بنا نواسيك ، قال : فقلت : هذه أيضاً من البلاء فسَّجرت بها التنور .

وبعد مضي خمسين ليلة من إرجاء توبتنا فبينما أنا على ظهر بيت من بيوتنا

(١) هذا هو سياق طويل من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، أخرجه حسب عزو السيوطي في الدر المنثور : ٢٨٧/٣ - ٢٨٩ إلى عدة مراجع أصلية إذ قال : أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في الصحيح في صحيحه ، وغيرهم ثم ذكره ، وذلك من طريق الزهري : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله أن كعب بن مالك ، ثم ذكره مطولاً كما أورده فضيلة الخطيب رعاه الله وحفظه .

جالس بعد صلاة الفجر على الحال التي ذكر الله عزَّ وجلَّ . قد ضاقت على نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفي على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؛ أبشر ، قال : فخررتُ ساجداً وعلمت أنه جاء فرَجٌ . قال : فنزعت ثوبي وكسوتهما المبشر ولا أملك غيرهما واستعرتُ ثوبين فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفونني بالتوبة ، فلما سلَّمتُ على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك » ، قال : فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ ، قال : « بل من عند الله » (١) .

قال : وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) .

قال : وأنزل الله في الذين اعتذروا وكذبوا : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا

(١) هذا هو نفس الحديث الذي قد مضى تخريجه أيضاً .

(٢) سورة التوبة : ١١٧ - ١١٨

(٣) سورة التوبة : ١١٩ . البخاري كتاب « المغازي » ، باب : حديث كعب ابن

مالك (٤٤١٨) ، ومسلم في التوبة ، باب : توبة كعب بن مالك وصاحبه (٢٧٦٩) ،

والطبري في جامع البيان (١٧٤٤٧) ، والبيهقي في دلائل النبوة : ٥ / ٢٧٣

أَنْفَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِعُرْضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ
 جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا
 عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴿١﴾ .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

أذكرُ بهذه الغزوة كل مجاهد في سبيل الله أصابه الجهد والمشقة ، وكل
 مدافع عن دينه ودمه وعرضه وماله أصابته محنة ، وأحث بها كل مسلم أعطاه
 الله حظاً من الدنيا لينفق في سبيل الله ، وأعظ بها كل ملحد وزنديق ينال من
 أصحاب رسول الله ﷺ فليقت الله .

اللَّهُم اغفر لنا وارحمنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خير الأمور عوازمها

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأوثق العرى كلمةُ التقوى ، وخير المثل
 مِلَّةُ إبراهيم ، وخيرُ السنن سنَّةُ محمد ﷺ ، وأشرفُ الحديث ذكرُ الله ،
 وأحسنُ القصص هذا القرآن ، وخيرُ الأمور عوازمها ، وشرُّ الأمور محدثاتها ،
 وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرفُ الموت قتل الشهداء ، وأعمى العما
 الضلالة بعد الهدى ، وخيرُ الأعمال ما نفع ، وخيرُ الهدى ما اتَّبِع ، وشرُّ
 العمى عمى القلب ، واليدُ العليا خير من اليد السفلى ، وما قلَّ وكفى خير
 مما كثر وألهى ، وشر العذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ،
 ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً ،

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢

ومن أعظم الخطايا اللسانُ الكذَّابُ ، وخيرُ الغنى غنى النفس ، وخيرُ الزاد التقوى ، ورأسُ الحكم مخافةُ الله عَزَّ وَجَلَّ (١) ، وخيرُ ما قر في القلب اليقينُ والابتعاد عن الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية (٢) ، والغلول من جُثا جهنم ، والسكر كي من النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، وشر المأكَل مال اليتيم ، والسعيد مَنْ وَعِظَ بغيره ، والشقي مَنْ شَقِيَ في بطن أمه .

وإنما يَصِيرُ أحدُكم إلى موضع أربعة أذرع (٣) ، والأمر إلى الآخرة وملاك العمل خواتمه ، وشرُّ الروايا روايا الكذب .

وكل ما هو آت قريب (٤) ، وسبابُ المؤمن فسوق وقتاله كفر (٥) ، وأكلُ لحمه من معصية الله ، وحرمةُ ماله كحرمة دمه (٦) ، وَمَنْ يتألَّ على الله

(١) إشارة إلى عدة آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، ومنها قوله تعالى في سورة الأنفال ، آية : ٢٩ ، ومنها آية في سورة البقرة ، آية : ٣٨ ، وأما بالنسبة للتقوى فقولته تعالى في سورة البقرة ، آية : ١٩٧

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه ابن ماجه برقم (١٥٨٢) ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده فيه ضعف ، وله شاهد صحيح من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه بهذا اللفظ برقم (١٥٨١) وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي عنه ، البخاري برقم (٤٧٥٤) التوحيد .

(٤) إشارة إلى جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ابن ماجه برقم (٤٦) :

١٨/١

(٥) هو نفس هذا الحديث تقدم تخريجه في الرقم الرابع ، أخرجه بسياق طويل .

(٦) إشارة إلى الآية ١٢ من سورة الحجرات ، آية : ١٢ ، وبقية المعاني كلها ثابتة في الكتاب والسنة .

يُكذِّبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ يُغْفِرْ لَهُ ، وَمَنْ يَعْفُ يُعْفُو اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ يَكْظُمُ الْغَيْظَ
يَأْجُرْهُ اللهُ ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرِّزْيَةِ يَعْوِضْهُ اللهُ ، وَمَنْ يَبْتَغِ السَّمْعَةَ يَسْمَعِ اللهُ
بِهِ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُضْعِفِ اللهُ لَهُ ، وَمَنْ يَعِصِ اللهُ يَعْذِبْهُ .

فاتقوا الله عباد الله . تأملوا ماضيكم ، وتأملوا واقعكم ، وتأملوا
مُستقبلكم ، واحذروا الغفلة فإنها قاتلة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ - تفسير الآيات (٧٧ - ٨٣) من سورة هود (١)

اللواط .. فاحشة كبرى ، وجريمة شنعاء

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلِتَمَّجْعَلَ اللَّهُ عِزًّا ﴿١﴾ قِيمًا لِنَذِيرٍ بَأْسًا
شَدِيدًا مَن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَلَائِكَةً فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله هو وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أحلّ لنا الطيبات وحرّم علينا
الخبائث .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته ، وسلم
تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المؤمنون : أوصيكم وإياي بتوقى الله تعالى في السر والعلانية فإنه
يعلم السر وأخفى (٣) .

(١) أُلقيت في ١٤/٢/١٣٩٤ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١ - ٣

(٣) إشارة إلى الآية ٧ من سورة طه .

عباد الله : إننا نقرأ كتاب الله القرآن العظيم ، كلام رب العالمين ، تنزيل من حكيم عليم ، نزل به الروح الأمين على قلب نبينا محمداً الأمين ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم (١) .

وإننا نجد في القرآن العظيم أخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء مع أمهم ، وما جرى بينهم من المحاجة والخصومة والجدال ، وأن العقاب والنصر والتمكّن لعباد الله المؤمنين ، وأوليائه الصابرين (٢) .

إنه قصص حق فيه موعظة ، وذكرى للمؤمنين ، وهدي وبُشرى للمتقين : لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدي ورحمة لقوم يؤمنون ﴿ (٣) .

وإذا تأملنا - أيها المسلمون - أخبار هذه الأمم التي أهلكتها الله بعذابه العاجل في الدنيا نجد أن كل أمة أهلكت بنوع واحد من العذاب : ﴿ فَأَمَّا نَمُودٌ فَأُهْلِكَ وَفَأُولَئِكَ نَرْجُو بَدَلَ عَذَابِنَا فَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي سَهْلٍ أَهْلِكَ فَأَمَّا كُورَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ فَمُؤْمِنٌ وَأَمَّا إِسْرَافِيلُ فَهُوَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَمَقَّصْنَاهُ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْنِي أَيْمَانَ قَالَ إِنِّي أَنذَرْتُكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن تَبَدُّوا فَأَبَاهُمْ أَن يَتَّبِعُوا آلَاءَهُمْ قَدْ أَفْتَدْنَا بِكُنُوزِنَا أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَكِينٍ فَأَمَّا ثَمُودُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ وَكَانُوا ظَالِمِينَ فَأَنزَلْنَاهُمْ نَارَ الْكَلْبِ مِنْ سَمَوَاتِنَا فَانحَلَّتْ بِهِمْ سَاجِدَاتُ الْحَصَى فَكُنُوزُهُمْ فِيهَا حَكِيمًا يُدْخِلُ فِيهَا مَن يَشَاءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَانُوا مُخْلِئِينَ بِالْأَيْمَانِ الَّتِي حَفَّتْ قُلُوبَهُمْ فَطَنَّاتُ السُّورِ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنِّي أَخَذْتُ بِالْعَدْلِ فَمَا تُكْفِرُونَ ﴿ (٤) ،

﴿ وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلُوكَ السَّبِيلِ لِلظَّالِمِينَ أَغْرَقْنَا لَهُمْ أَنْجَالَهُمُ الْكَاثِمِينَ ﴿ (٥) .

وقال سبحانه : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ

(١) هذه عقيدة السلف الصالح في القرآن الكريم وأنه كلام منزل من الله تعالى عن طريق الروح الأمين على رسول الله ﷺ ، وفي معناه قوله تعالى في سورة الشعراء (الآيتين ١٩٣ - ١٩٤) : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة الأعراف .

(٣) سورة يوسف : ١١١

(٤) سورة الحاقة ، آية : ٦٠-٥

(٥) سورة الفرقان ، آية : ٣٧

مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾

إلا قوم لوط - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم - فإنهم أهلكوا بأنواع من العذاب ، فأنزل الله عليهم ملائكة من السماء لإهلاكهم ، وطمس أعينهم ، وقلب ديارهم فجعل عاليها سافلها ، وأنزل عليهم رجلاً من السماء حجارة من سجيل ، وجعلت ديارهم بحيرة منتنة على طريق دائم آية للمتوسمين ، آية للمؤمنين ، وهذه من حكمة رب العالمين ، وعدل قيوم السموات والأرضين ، فإن الجزاء من جنس العمل (٢) .

فقوم لوط تمادوا في الكفر والطغيان ، فإنهم مع كفرهم بربهم ومعاندتهم لرسولهم يأتون الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم بها أحد من العالمين ، إنهم يأتون الذكّران من العالمين ، يأتون الرجال شهوة من دون النساء بل هم قوم مسرفون (٣) ، فنهاهم نبيهم لوط وأرشدهم إلى ما خلق الله لهم من أزواجهم التي تنجب لهم وخلقت لهم ، وفيها تطهير لهم ، فلم يقبلوا إلا الجريمة القذرة النجسة ، فأهلكهم الله .

وهلم نتأمل هذه الآيات في خبر قوم لوط عليه السلام : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُهُمْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالَوا لَقَدْ

(١) سورة العنكبوت : ٤٠

(٢) إشارة إلى معنى حديث علقه البخاري في الصحيح : « كما تدين تدان » ، وقال الحافظ في الفتح : ١٠٦/٨ : حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن أبي قلابة مرسلأ ثم ذكره .

(٣) إشارة إلى الآية ٨١ من سورة الأعراف ، والآية ٥٥ من سورة النمل .

عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٦﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أُوذِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
 ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِهَا هَلِكًا يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ
 مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا أَمْرًا نَكُنُّ مِنْهُ مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ مَوْعِدِهِمْ أَلَيْسَ الصُّبْحُ الْقَرِيبُ ﴿٨١﴾
 فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾
 مُسَوِّمَةً عِنْدَ رِجْلِكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴿١﴾

عباد الله : إن اللواط كبيرة وفاحشة كبرى وجريمة شنعاء ، تشمئز منها
 الطباع السليمة والفطر المستقيمة ، فلا تجد ذكراً من الحيوانات البهيمة يعلو
 ذكراً ، ولكن الله ابتلى بهذه الخبائث قوم لوط فهم أول من فعله من خلق الله
 ، فنسب هذا العمل إليهم ، وليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدة
 اللواط ، وهي تلي مفسدة الكفر ، وقتل المفعول به خير من وطئه فإنه إذا
 وطئه الرجل قتله قتلاً لا ترجي له معه حياة ، بخلاف قتله بإزهاق روحه ،
 فإنه مظلوم شهيد ، جعل الله لوليه سلطاناً إن شاء أخذ به وإن شاء عفا ،
 وأما حكم اللواط فإنه يقتل الفاعل والمفعول به كما أجمع على ذلك أصحاب
 نبينا محمد ﷺ ، ودلت عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعليها عمل
 أصحابه وخلفائه الراشدين وخلق كثير من التابعين وأئمة الإسلام
 والمصلحين (٢) .

(١) سورة هود : ٧٧ - ٨٣

(٢) إشارة إلى مجموعة أحاديث ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه
 داود : برقم (٤٤٦٢) الحدود ، والترمذي في جامعه برقم (١٤٥٦) ، وابن ماجه
 في السنن برقم (٢٥٦١) وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة ، وصححه الحاكم في
 المستدرک : ٣٥٥ / ٤ ، وأقره الإمام الذهبي في التلخيص وسوف يأتي هذا الحديث مع
 تخريجه إن شاء الله تعالى .

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (١) ، وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لعن الله مَنْ عمل عمل قوم لوط ، لعن الله مَنْ عمل عمل قوم لوط ، لعن الله مَنْ عمل عمل قوم لوط » (٢) .

وقد اختلف أصحاب نبينا ﷺ في صفة قتل اللوطي ، فقال بعضهم : يحرق بالنار ، وقد وجد خالد بن الوليد رضي الله عنه رجلاً يُنكح كما تنكح المرأة ، فكتب عنه لأمير المؤمنين أبي بكر الصديق ، فاستشار أبو بكر الصحابة ، فكان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه أشدهم قولاً فرأى أن يحرق ، فكتب أبو بكر إلى خالد فحرقه بالنار (٣) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : يُفعل به كما فعل الله بقوم لوط ، يُرفع على أعلى مكان في القرية ويرمى منكساً رأسه ثم يتبع بالحجارة . وقال بعضهم : يُقتل بالسيف (٤) .

إن فاحشة اللواط أشنع وأخطر من فاحشة الزنا ، فاللواط فيه قلب للفطرة ، وقتل للرجولة ، وإماتة للذكورية التي فضل بها الرجل على الأنثى .

(١) أخرجه أبو داود في الحدود (٤١٦٢) ، باب : فيمن عمل عمل قوم لوط ، وأخرجه البغوي في شرح السنّة (٢٥٩٣) من طريق أبي داود ، والترمذي في الحدود (١٤٥٦) ، باب : ما جاء في حد اللواط ورجاله رجال الصحيح .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ١٠١/٣ إلى البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم أخرجه برقم (٥٣٧٣) ، بإسناد حسن .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤٦٥/٤ إلى عدة مصادر منها شعب الإيمان للإمام البيهقي عن محمد بن المنكدر ويزيد بن خصيفة وصفوان بن مسلم ، ثم ذكر هذا الأثر .

(٤) ذكر ذلك البغوي في شرح السنّة : ٣١٠/١٠ بدون إسناد .

وقد جعل الله لبني آدم أزواجاً من أنفسهم يحصل لهم فيها منافع في دينهم ودنياهم ، كحصول المودة والرحمة بين الزوجين ، وإحصان أحدهما الآخر ، ووجود التناسل الذي من أجله خلق الله الذكر والأنثى ، وحصول علاقة المصاهرة بين العائلات ، وفيه اتباع لسنن الأنبياء والمرسلين ، واستجابة لترغيب النبي ﷺ في تكثير أمته (١) ، وفاحشة اللواط تقاوم هذه المصالح الشرعية كلها ، وقد أرشد نبينا ﷺ لطرق الوقاية من الفواحش والفساد ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ؛ مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٢)

ولا شك أن الزواج الشرعي مفتاح من مفاتيح الرزق والخير والبركة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٣) بخلاف الزنا واللواط فإنهما من مفاتيح الفقر والشر وضيق النفس وحسرة الضمير .

عباد الله : إنه من الأسف الشديد والخزي الأکید أن بعض الناس قد وقعوا في فاحشة اللواط ، بل وبعضهم يقال إنه يخرج من زوجته الطيبة

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ١٥٨/٣ ، وإسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود : برقم (٢٠٥٠) ، والنسائي : ٦٥/٦ وهو من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه وهو صالح للاحتجاج به .

(٢) إسناده صحيح ، وأخرجه النسائي في الصوم : ١٧١/٤ ، باب : فضل الصيام ، وفي النكاح : ٥٦/٦ ، باب : الحث على النكاح ، والطيالسي : ٣٠٣/١ ، وأحمد : ٣٧٨/١ ، والبخاري في الصوم ، باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزبة ، ومسلم في النكاح (١٤٠٠) ، باب : استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ووجد مؤنته .

الخَيْرَةُ ، التي فيها كمال وجمال وطهارة وعفة إلى الخبائث والفواحش
والنجائس ، وما ذاك إلا لفرط جهلهم ، وَقَلَّةَ مَنْ يرشدهم ، وبعدهم عن
مجالس العلم النافع والمواعظ التي تُحيي القلوب .

فاتقوا الله أيها الناس ، ولا تغفلوا عن رعاية أولادكم وتربيتهم ، فإن
الراعي إذا غفل عن رعيته أكلتها الذئب والكلاب (١) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وبمعاذاتك من عقوبتك (٢) .

اللَّهُمَّ جنبنا وذرياتنا جميع الفواحش ، ما ظهر منها ما بطن .

اللَّهُمَّ نورٌ بصائرنا بالإيمان ، واحفظنا وذرياتنا من كل شيطان ، إنك أنت
الكريم المنان .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل
ذنب فإنا، ستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



(١) إشارة إلى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ١٩٦/٥
وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ، أخرجه أبو داود في السنن برقم (١٤٢٧) ، كتاب
« الصلاة » ، وهو من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإسناده حسن مع
الشواهد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحديد النسل

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده واستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

أيها المسلمون : لقد انتشر في زمننا هذا دعايات ضد الزواج المبكر ، ودعوة إلى تحديد النسل ، ويظهر أنه ارتاح لها كثير من الناس في كل مكان ، بل وارتاح لها بعض رجال الفكر الإسلامي .

ولا أرى ذلك إلا من تخطيط الصهيونية العالمية التي لها تخطيط بعيد المدى للسيطرة على العالم أجمع والتحكم فيه إذا غلبت بكثرة المال والرجال ، وأفسدوا الأخلاق والشيم .

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

فهي تغزو العالم بدعائتين ، إحداهما : تقليل النسل في العالم بينما الصهيونية تعمل على تكثير نسلها بأي طريق كان حتي بالطرق المحرمة وغير المشروعة . والثانية : تقليل الثروة في أيدي غيرها بدعوى الشيوعية والاشتراكية التي قضت على الرطب واليابس من ثروات الشعوب ومعنوياتهم ، بينما الصهيونية تعمل على تكثير أموالها وتطوير دخلها بأي وسيلة كانت ، فالواجب على الإنسان أن ينظر في المنافع والمضار الخاصة والعامة الشرعية والاجتماعية قبل استحسان الأمر وتأيدته ، ولا حكم للمسألة الفردية أو الحالة النادرة أو الضرورة المقتضية ، وإنما العبرة بما فيه صلاح الأمة والمجموعة وتحقيق أهداف الشريعة ، ولا يأخذ بدعات تحديد النسل أو توقيف الإنجاب إلا لعذر شرعي ثابت وضرورة موجبة . والزواج المبكر أفضل وأكمل ، فيه غرض البصر وإحصان الفرج ، وحصول الولد ونزول الرزق ، فالزوج والأولاد يأتون بأرزاقهم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً بِمَا فِيهِمْ نَفْسٌ مِّنْ نَّفْسِهِمْ وَإِنَّكُمْ بِأَرْزَاقِهِمْ لَشَارِكُونَ ﴾ (١) ، والواجب على المسلم أن يكون كيساً فطناً ولا يكون مع كل صاعق وناعق ، وإنما ينظر ببصيرة إيمانه ونور شريعته .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلُّوا على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَةً » (٣) الخ

* * *

(١) سورة الإسراء : ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : الصلاة برقم (٤٠٨) ، باب : الصلاة على النبي ﷺ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢ - تفسير الآية (٩٠) من سورة النحل (١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلِتَمَّجَعَلَ لَهُ

عِوَجًا ۝ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بعدله قامت السموات والأرض ، وصلح أمر الدنيا والآخرة (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً (٥) .

اللهم صلِّ وسلِّم على الصفوة المطهَّرة المختار ، وارزقنا شفاعته في دار القرار (٦) .

وصلِّ اللهم على آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلِّم تسليماً كثيراً .

(١) ألقيت في ١١/٦/١٤١١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكهف : ١

(٤) إشارة إلى الآية ١١٥ من سورة الأنعام .

(٥) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء ، والآية ١١٩ من سورة البقرة .

(٦) إشارة إلى حديث الشفاعة ، البخاري برقم (٧٤١٠) التوحيد ، وهو من

حديث أنس رضي الله عنه . .

أما بعد . .

ففي القرآن الكريم آيةٌ جَمَعَتْ محاسنَ الأخلاق وقواعد الدين ، أمرت بثلاثة أشياء ، ونهت عن ثلاثة ، لها تأثيرٌ بليغ في القلوب والأحاسيس .

وهي أجمع آية في القرآن الكريم لخيرٍ يُمتثل ولشرٍ يُجْتَنَب : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن مظعون الجمحي قال : ما أسلمتُ أولاً إلا حياةً من محمد ﷺ ، فلما سمعتُ هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ ، وقع الإيمان في قلبي ، فقرأتها على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتعجب ، فقال : يا آل غالب اتبعوا تفلحوا ، فوالله إنَّ الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق (٢) .

وقال عكرمة : قرئت هذه الآية على الوليد بن المغيرة ، فقال للقاريء : يا بن أخي ؛ أعد ، فأعاد عليه ، فقال : والله إن له لحلاوةً ، وإن عليه لطلاوةً ، وإن أصله لمورقٌ وأعلاه لمثمر ، وما هو بقولٍ بَشَرٍ (٣) .

وبلغ أکثم بن صيفي خروجُ رسول الله ﷺ فأرسل إليه اثنين يسأله : من أنت ؟ وما أنت ؟ ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله . وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله ، ثم تلا عليهما هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ » وكررها حتى حفظها ، فلما قرأها على أکثم

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٣١٨/١ ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده جيد ، أبو نعيم في معرفة الصحابة ، وانظر تفسير ابن كثير : ٢٢٢ - ٢٢١/٤

(٣) لم أقف عليه مسنداً إلا ما ذكره القرطبي في تفسيره : ١٦٥/١٠ ، والقرطبي معروف بالتساهل في نقل الآثار والله أعلم به رحمه الله تعالى ، وقد رواه الحاكم في المستدرک .

ابن صيفي قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهي عن ملائمتها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناً (١) .

جمعت هذه الآية الكريمة ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً . وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً ، فما من خلُق حسن إلا أمر الله به ، وما من خلُق سيئ إلا نهى عنه . والله تعالى يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفاسفها .

وإن أعلى مكارم الأخلاق : العدلُ . والعدلُ يكون فيما بين الإنسان وبين ربه ، وفيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين خلق الله .

والعدل ضد الميل وضد الظلم والطغيان ، وأصله التوسط بين الإفراط والتفريط ، فَمَنْ جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين ، وجانب التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو في الدين فقد عدل . وعلى هذا تدور أقوال العلماء في العدل والإحسان (٢) .

فالعدل بين المخلوق وخالقه : إثارة المرء حق الله تعالى على حق نفسه ، وتقديم رضا الله على هواه ، وامتنال الأوامر واجتناب الزواجر (٣) .

وأما العدل بين المرء وبين نفسه فنهيهما عن كل ما فيه هلاكها وعزوب الأطماع عن الاتباع ، ولزوم القناعة في كل حال ومعنى .

وأما العدل بين الإنسان وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل

(١) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره نقلاً عن الحافظ أبي يعلى الموصلي من كتابه « معرفة الصحابة » مع إسناده . راجع التفسير : ٢١٩/٤ وإسناده صحيح .

(٢) هذا القول مأخوذ من أقوال التابعين الكثيرين رحمهم الله تعالى ، ذكرها

ابن كثير في تفسيره : ٢١٩/٤ - ٢٢٠

(٣) هذا تفسير سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ، ذكره ابن كثير في تفسيره : ٢١٨/٤

وكثير ، والإنصافُ من النفس لهم بكل وجه ، والصبرُ على الأذى ، ولا يكون منه إساءةٌ إلى أحد لا بقول ولا بفعل ، لا في سر ولا في علن (١) .

والإحسان يأتي على معنيين :

متعد بالباء كقول يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ (٢) بمعنى تفضل وتكرم .

والثاني : متعد بنفسه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣) بمعنى أتقنه وأجاده ، ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٤) .

فإتقانُ العبادة ومراعاةُ آدابها المصححة المكملة ، ومراقبةُ الخالق فيها واستحضارُ عظمته وجلاله حالَ الابتداء والاستمرار فذلك إحسانٌ ، والخالق تعالى غنيٌّ عن إحسان الخلق ، بل منه الإحسان والنعم والفضل والمنن ، لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصي ، وإنما الإحسان من الإنسان لنفسه : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ (٥) .

وإحسان العبد للخلق بذل الندى وكف الأذى وإبداء النصيحة : ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٦) ، ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٧) . فالخالق تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض .

(١) هذا قول القاضي أبي بكر بن العربي نقله القرطبي في تفسيره : ١٠٠/١٦٦

(٢) سورة يوسف : ١٠٠

(٣) سورة الكهف : ٣٠

(٤) البخاري في الصحيح « الإيمان » ، حديث رقم (٥٠) ، باب (٣٧) :

١١٤/١ الفتح ، ونحوه مسلم في الصحيح « الإيمان » ، حديث رقم (خاص ٥٧) ،

وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الجميع .

(٥) سورة الإسراء : ٧

(٦) سورة القصص : ٧٧

(٧) سورة البقرة : ٨٣ ، وفي سورة النساء : ٣٦ ، وفي سورة الأنعام : ١٥١ ،

وفي سورة الإسراء : ٢٣ ، وفي سورة الإحقاف : ١٥

وحتى الإحسانَ إلى الحيوانات . قال عليه الصلاة والسلام : « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » (١) ، وقال : « دخلت امرأة النار في هرة (٢) ودخلت بغي الجنة في كلب » (٣) . فينبغي للإنسان أن يحرص على الإحسان إلى خلق الله ، وكف الأذى عنهم ، والكلمة الطيبة وبشاشة الوجه من الإحسان .

وجعل الإحسان بجوار العدل ، لملاحظة العفو عن مستحقي العقوبات مثل القصاص في العمد ، والعقاب بمثل ما عوقب : وليُفتح باب التسامح والعفو عن بعض الحق إيثاراً لود القلوب ومنعاً لغلل الصدور ، ﴿ فَمَنْ عَفَىٰ لَدُنْ أَخِيهِ شَيْءًا فَأَبِيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٤) ، ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَمْ يَصْبِرْ وَعَفَّرَ لِنَدَاكَ لَعِنَ عَزْمُ الْأُمُورِ ﴾ (٦) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٧) : أي صلة الأرحام ، كما قال تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (٨) ، فيجب أداء حقهم الواجب مثل النفقة والميراث ، والحق المسنون مثل الصلة والبر والتقدير والتكريم ، وصلة الأرحام تأثير بليغ في صلاح النفس وإصلاح المجتمع .

(١) بعض حديث أوله : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » ، مسلم في الصيد ، باب : الأمر بإحسان في الذبح والقتل (١٩٥٥) ، وأبو داود في الأضاحي ، باب : في النهي أن تصبر ، والترمذي في الديات ، والنسائي : ٢٢٧/٧ في الصحابة وغيرهم .

(٢) البخاري برقم (٣٤٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم برقم (١٢٧٥٦) التوبة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) مسلم في الصحيح : السلام ، حديث رقم (خاص ١٥٤) ، و (عام ٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سورة البقرة : ١٧٨

(٥) سورة المائدة : ٤٥

(٦) سورة الشورى : ٤٣

(٧) سورة النحل : ٩٠

(٨) سورة الروم : ٣٨

والفحشاء : كل قبيح من قول وفعل . فيدخل فيه الاعتداء على العرض والبدن والمال (١) .

والمنكر : ما أنكرته شريعة الله . فيعم جميع المعاصي والرذائل والدنئات على اختلاف أنواعها ومراتبها .

والبغي : الكِبْرُ والظُّلمُ والحقدُ والتعدي .

والظُّلمُ ضدُّ العدل . ويكون من الإنسان على نفسه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ نُسَخِرْهُ شَيْئًا يَسْتَكْفِرُ اللَّهُ بِحَدِّ اللَّهِ عَفْوَراً رَجِيماً ﴾ (٢) ، فإذا خالف العبد أو امر الله وأتى نواهيه فقد عرض نفسه لغضب الله وعقابه في الدنيا وفي الآخرة ، فهو ظالم لنفسه : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (٣) ، وظلم النفس مراتب بحسب المعصية ، فأشدّه وأقبحه الشرك بالله ، وأدناه ترك الأذى في الطريق .

ويكون الظلم من إنسان لغيره بغمط حق من حقوقه المالية أو البدنية أو الاجتماعية ، سواء بالأخذ أو المنع أو المماطلة أو بانتهاك الحرمات والأعراض ، أو باليمين الغموس أو بشهادة الزور ، أو بالغيبة والنميمة والكذب والبهتان (٤) .

والظالم ممقوت عند الله مبغض عند خلق الله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٥) ، ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (٦) ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب (٧) .

(١) تفسير ابن كثير : ٢١٩/٤

(٢) سورة النساء : ١١٠

(٣) سورة الطلاق : ١

(٤) ورد هذا المعنى في عدة أحاديث منها حديث نفيح بن الحارث رضي الله عنه ،

البخاري برقم (٦١٦) .

(٥) سورة غافر : ١٨

(٦) سورة الحج : ٧١

(٧) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه ، البخاري برقم (١٤٩٦) الزكاة ،

ونحوه مسلم في الإيمان برقم (خاص ٢٩) .

والباعِي إنما يبغِي على نفسه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (١) ، وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (٢) ،
والوعظ : التأديب ، والتذكر : الاتعاظ . قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

وإن من العدل أن يقول المسلم كلمة الحق وأن يعترف بالإحسان والفضل
لأهله . أليس من نعم الله على هذه المملكة وأهلها أن جعل ولايتها في أيدٍ
أمانة مؤمنة بالله وبوعده ووعيده ، تُحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، تقيم
العدل وترفع الظلم ، تبذل الندى وتكف الأذى ، تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر ، وتقيم حدود الله ، فانظروا ما أنتم فيه من الأمن والرخاء
والاطمئنان ، وكل إنسان يتمنى أن يأتي إلى هذه المملكة ليهنأ بعيشها ،
وليُحصل له من خيراتها . فلهذا الحمد والمنة .

وجزى الله مؤسس هذه المملكة - والذين قاموا بالأمر من بعده - عنا وعن
الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

فلهم علينا السمع والطاعة والنصح والتعاون والدعاء من صميم قلوبنا (٣) .

(١) سورة يونس : ٢٣

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . البخاري برقم (٤٦٨٦) التفسير سورة ١١ ، باب (٥) ، ونحوه مسلم في الصحيح ، كتاب « البر والصلة والآداب » ، حديث رقم (خاص ٦٢) .

(٣) إشارة إلى عدة أحاديث صحيحة ومنها حديث أبي بكر رضي الله عنه . أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤٢/٥ ، وإسناده حسن ولفظه : « من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ، ومن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة » اهـ .

قلت : أوردته الإمام أبو بكر الهيثمي في المجمع : ٢١٥/٥ ، وقال : رجاله ثقات .
ومنه يؤخذ الدعاء الصالح لسلطان الله تعالى على الدوام والتعاون معه على البر والتقوى
إلا إذا أمر بالكفر والمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ...

اللَّهُم وفق إمامنا خادم الحرمين وأمرأه ووزراءه إلى العدل والإحسان
والرأفة بالمسلمين والشفقة عليهم . والأخذ على يد الظالم والسفيه ، وأعنه
على ما وليتهم واكفهم كل أمر يههم .

اللَّهُم كن لإمامنا حافظاً ومؤيداً وناصرأ فيما يرضيك ، واحفظ بلادنا وأمتنا
من الفتنة ما ظهر منها وما بطن ، واحفظ علينا نِعَمَكَ وارزقنا شكرها ،
واكفنا شر الأشرار وكيد المنغصين الحاسدين .

أوصيكم يا إخوتي في الله ، رجالاً رنساء في كل مكان بتقوى الله .
وتحرى العدل في كل الأمور ، والابتعادُ عن الظلم وسفاسف الأخلاق .

وعلى المسلم أن يلتزم بما يعنيه ، وأن يترك ما لا يعنيه للجهة التي يعنها ،
فلا ينبغي للمسلم أن يشغل نفسه ويثير أعصابه ويضيع وقته فيما لا يعنيه ،
اتركوا الأمور لأهلها .

اللَّهُم إِنَّا نَسْأَلُكَ العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا .

اللَّهُم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالمعروف

(الخطبة الثانية)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن

تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن لهذه الأمة خصوصياتٍ ومميزاتٍ صارت بها خير الأمم ، وشهيداً على

الناس ، وبها كانت هي الآخرة في الوجود والأولى في الفضل والكرامة

والقرب من الله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) .

فلا يستقيم الدين ولا تنتظم الدنيا إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

فهما الأداة للمحافظة على كيان الأمة ومصالحها ، وهما الوسيلة للإبقاء على

عزة البلاد وكرامتها ، وهما القاعدة الأساسية لاستقامة الأخلاق والسلوك ،

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة آل عمران : ١١٠

وحفظ الأموال والدماء والأعراض ، واستتباب الأمن والاستقرار ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

ولهذا أكد الإسلام على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله عزَّ وجلَّ أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم تدعون فلا يُستجابُ لكم » (٢) .

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جريمة عظمى تسبب غضب الله ومقتته ، والطرده والإبعاد من رحمة الله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن بقلوب بعضهم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » (٤) .

(١) سورة آل عمران : ١٠٤

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٣٨٨/٥ ، وإسناده حسن ، وعزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٨٦/٢ إلى الترمذي في الجامع وحسنه ، وابن ماجه .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ - ٧٩

(٤) وقد أورد هذا الحديث الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦١٩/٢ - ٦٧٠ ، نقلاً عن ابن أبي حاتم من تفسيره بسياق طويل ، ومنه هذا اللفظ ، وهو من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وإسناده حسن .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وإنه من العدل أن ينهض الموظف بأعباء وظيفته بجد ونشاط وصبر وثبات ، فالوظيفة مسئوليات : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » (١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما . البخاري في الصحيح : الأحكام : ١٢ / ١٠٠ الفتح ، ونحوه مسلم في الصحيح في الإمارة برقم (١٨٢٩) ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ..

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣ - تفسير الآية (٩) من سورة الإسراء

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ

الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من يشأ الله يُضللّه ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أوحى الله إليه وكلمه وأعطاه القرآن ومثله معه (٤) ، فيه تفصيل الأحكام وبيان الحلال والحرام ، ﴿ وما

وَمَا يَنْبَغُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴾ (٥) .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) إشارة إلى الآية ٣٩ من سورة الأنعام .

(٤) إشارة إلى حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه ، أحمد في المسند :

١٣٠ / ٤ ، والدارمي في سننه : ١ / ١٤٤ ، وأبو داود برقم (٤٦٠٤) وإسناده صحيح .

(٥) سورة النجم : ٣ - ٤

أما بعد ..

ففي سورة الإسراء وصف للقرآن الكريم وثناء عليه ، صفة شاملة ، تميّز بها القرآن ولا تصلح إلا للقرآن : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (١) . هدى الله به أقواماً ماضية وأقواماً معاصرة ، وسيهدي به أجيالاً مستقبلية .

لم تحدد الآية الذين يهديهم القرآن ولم تحدد نوع الهداية . فطبيعة القرآن هدايةً من تدبّره وتأمّله بعقل مجرد عن التعصب والتقليد ، بعيدٍ عن الوسواس والهواجس .

يهتدي به من عرف عظمة الله وعلم ضعف المخلوق ، وقدمّ كلام الله على هواه ، فالقرآن يهدي بإرادة الله إلى العقيدة الصحيحة (٢) وإلى التصور القويم في ألوهية الله وفي أسمائه وصفاته ، وفي الأخبار الغيبية كأحوال يوم القيامة والقبر والبعث والنشور والجنة والنار (٣) ، ومن أصدق من الله قيلاً (٤) ، ومن أصدق من الله حديثاً (٥) .

فنؤمن بكلام الله على حقيقته دون تمثيل ولا تحريف ، ودون تعطيل ولا تكيف (٦) : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٧) ، فكما أن الله

(١) سورة الإسراء : ٩

(٢) إشارة إلى الإرادة الشرعية الدينية التي اتفقت مع الإرادة الكونية القدريّة وفق المشيئة ، وقد برع في الكلام عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عدة كتب من دره رحمه الله تعالى .

(٣) كل ذلك متصل في السنّة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ويجب الإيمان بما ذكر دون تأويل ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل ، ولا إنكار على قاعدة قوله تعالى في الآية ١١ من سورة الشورى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

(٤) إشارة إلى الآية ١٢٢ من سورة النساء .

(٥) إشارة إلى الآية ٨٧ من سورة النساء .

(٦) هذه عقيدة السلف من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم

الدين قررها العلماء ..

(٧) سورة الشورى : ١١

تعالى له ذات لا تشبه الذوات ، فكذلك له صفات تليق بجلاله لا تشبه الصفات : وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً (١) .

﴿ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٢) في المنهج والسلوك والضمير والشعور ، وفي التنسيق بين الظاهر والباطن ، وبين الإيمان والعمل ، وفي التوازن بين طاقة الإنسان والتكاليف .

وبين علاقات الناس مع بعض ، وفي المعاشرة وأداء الحقوق ، وفي احترام الشخصية والإحساس .

فالقرآن العظيم هو أعظم الكتب السماوية وأجمعها لكل العلوم ، وهو آخرها عهداً برب العالمين .

ولو تتبعنا تفصيل هذه الجملة : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٢) ، لأتينا على جميع القرآن، لشمولها كل ما فيه من الهداية إلى خيري الدنيا والآخرة (٣) . . . إلى يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » (٤) .

فتوحيد الربوبية جُبلت عليه فطرَ العقلاء وليس فيه نزاع بين الرسل وأممهم ، فقد أقر به المشركون وعبدة الأصنام . قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٥) ، ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥)

(١) سورة المائدة : ٤١

(٢) سورة الإسراء : ٩

(٣) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٤) البخاري : فتح : ٢٩٣/١٣ برقم (٣٦٤٠) المناقب ، باب (٢٨) وهو من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ونحوه مسلم : الإمارة ، حديث رقم (خاص ١٧٠) ، (١٧٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٥) سورة الزخرف : ٨٧

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
 ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتُكُمْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ
 وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾
 ﴿١﴾

ولا بد مع توحيد الربوبية من إخلاص العبادة والإرادة والقصد لله ، وتحقيق معنى لا إله إلا الله . وهو توحيد الألوهية (٢) وهو إفراد الله بالعبادة وبأفعال العباد ، فمن أجل توحيد الألوهية أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وشرعت الشرائع وفرض الحلال والحرام ونظمت العلاقات : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣) .

وأما توحيد الأسماء والصفات ، فالقول الفصل فيه لكلام الله ، ولقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وسلف الأمة الصالح ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وأخبر بأنه رضى عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات ، وفازوا بقربه ورضائه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) .

فالخالق تعالى وصف نفسه بصفات الجلال والكمال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

(١) سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٩

(٢) عرفه بهذا التعريف الجامع المانع الشامل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التيمي رحمه الله ، قال في كتابه البارع النفيس كتاب « التوحيد » ، وشرحه وفسره حفيده الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد .

(٣) سورة النحل : ٣٦

(٤) سورة التوبة : ١٠٠

الْحَسَنَى فَاذْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون ، ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون » (٢) .

ومذهب السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : الاهتداء بهدي القرآن ، يؤمنون بأن الله أصدق القائلين وأنه يقول الحق وهو يهدي السبيل (٣) ، وأن الرسول ﷺ أعرف الناس بربه وأنه أتقاهم وأخشاهم لله (٤) ، واتبعه على ملته من آمن به في كل عصر ، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وأن ما وصف الله به نفسه هو الحق ، وأن معناه يفهم من دلالة اللفظ عليه ، فليس له معنى للعوام ومعنى للخواص (٥) ، بل معناه ظاهر لكل مؤمن يعرف اللغة العربية ، يعرف معناه سامعه وقارؤه بمدلول اللفظ على المعنى .

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

(٢) حديث ابن عمرو رضي الله عنهما : مسلم في الصحيح صفة المنافقين ، حديث رقم (خاص ٢٤) ، و(عام ٢٧٨٨) : ٤/٢١٤٨

(٣) إشارة إلى الآية ٤ من سورة الأحزاب .

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) : النكاح ، بسياق طويل ومنه هذا اللفظ المبارك في موضوع ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ...

(٥) هذه اصطلاحات الصوفية المنحرفين ذكرها أحمد بن عبد الوهاب الشعراني المتوفي سنة ٩٧٣ هـ في طبقاته : لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ..

وَبَقِيَتْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ متفقة على هذه العقيدة التي هي أقوم ، يثبتون ما أثبتته الله لنفسه إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال جل شأنه : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٣) ، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٤) ، ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمَلَكُ ﴾ (٥) ، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٦) ، ﴿ وَيَبْعَثُ فِيهِ رَبِّكَ ذُجُلًا لِّلْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٧) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٨) .

وكان أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والمشركين يلقون الشبه على المسلمين ويتحيزون للفرص ويحاولون تفريق المسلمين وإثارة الخلافات بينهم . وكان لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ من أشد الناس كفراً وعناداً (٩) ، ومن أقبحهم دساً وشقاقاً ، فالقى شبهة التعطيل والتأويل ، بناها على قاعدة التشبيه

(١) سورة القلم : ٤٢

(٢) سورة الأعراف : ٥٦

(٣) سورة هود : ٣٧

(٤) سورة المائدة : ٦٤

(٥) سورة الملك : ١

(٦) وردت هذه الصفة المباركة في سبع مواضع من القرآن الكريم : البقرة : ٢٩ ،

الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، طه : ٥ ، سورة السجدة : ٤ ،

فصلت : ١١ ، الحديد : ٤

(٧) سورة الرحمن : ٢٧

(٨) سورة الشورى : ١١

(٩) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها . البخاري ، برقم (٥٧٦٣) الطب ،

باب : (٤٧) وفيه أن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ ، وأخرجه أحمد في المسند :

٥٧/٦ ، ٦٣ ، ٩٦ عن عائشة رضي الله عنها .

والتمثيل ، فعلمها لابن أخته طالوت ، وأخذها عنه أبان بن سميان وعلمها الجعد بن درهم ^(١) ، إلا أن سلطان الإسلام كان قوياً والمسلمون في قوة من دينهم وعقيدتهم ، فلم يستطع أحد إظهار ما يخالف عقيدة الإسلام ، فلما توغلت الفتوحات الإسلامية واختلط المسلمون بأناس من الصابئة والفلاسفة ، وترجمت كتب أولئك وانتشر الكلام والسفسطة قُدمت الآراء على النصوص الشرعية ، وكان الجعد بن درهم متأثراً بآراء الفلاسفة والصابئة ، وبعد مضي زمن من الهجرة النبوية ^(٢) أعلن الجعد بن درهم مقالة التعطيل والتأويل ، وأنكر صفة العلو والاستواء ، فنشأ مذهب الجهمية وجحدوا من القرآن والسنة الغيبات وحرفوها وعطلوها ، وما زال لها دعاة في السر وفي الأوساط المتعلمة ^(٣) . فرد عليهم علماء الإسلام ودافعوا عن كتاب الله وكافحوا عن السنة وعن عقيدة أهلها وجماعة المسلمين لإظهار الحق وإزهاق الباطل ردود كثيرة مطولة ومختصرة ، فثار أولئك الجهميون ووصفوا أهل السنة والجماعة بصفات هم أحق بها لأنهم متصفون بها .

فمن وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ فهو من ورثة محمد ابن عبد الله نبي الرحمة ورسول الهداية صلى الله عليه وسلم .

(١) أما الجعد بن درهم فراجع ترجمته في ميزان الذهب برقم (١٤٨٢) : ٣٩٩/١ وللعبد الفقير فيه مقالة كبيرة .

(٢) ومن هنا كانت محنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى التي بدأت سنة ٢٢٥ هـ . راجع تفاصيلها في ابن كثير : البداية والنهاية - المجلد العاشر .

(٣) إشارة إلى المقالات الكبرى للشيخ محمد زاهد الكوثري الهالك في عام ١٣٨١ هـ بمصر . راجع هذه المقالات ص ٢٧ - ٢٨ ، الطبعة المصرية فإن فيها كفراً بواحاً .

وأما مَنْ حَرَّفَ وعَطَّلَ وغيرَ وبدَّلَ ، فهو من ورثة لبيد بن الأعصم (١)
اليهودي والجهم بن صفوان (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، الزموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه
سلك الأمة من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان .

اللَّهُمَّ بارك لنا في القرآن ، ونور قلوبنا بالإيمان ، وارزقنا حشيتك في السر
والعلن ، واغفر لآبائنا وأمهاتنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .



(١) هو يهودي معروف الذي سحر النبي ﷺ كما عند البخاري في كتاب « الطب »
حديث رقم (٥٧٦٣) .

(٢) أما الجهم بن صفوان فهو : الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال
المتدع ، ترجم له الذهبي في الميزان برقم (١٥٨٤) : ٤٢٦/١ ، قال الذهبي : رأس
الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روي شيئاً لكنه زرع
شراً عظيماً اهـ .

قلت : هو تلميذ للجد بن درهم الذي قتل بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 من معنى الآية ٩ من سورة الإسراء
 إقامة الحدود من الهداية

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ،
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ (٣)
 وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ رسالة ربه ونصح لأُمَّته
 ورغبهم في طريق النجاة وحذّرهم من سبل الهلاك .
 اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ،
 ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته .
 أما بعد . .

فإن من هَدَى القرآن الكريم للتي هي أفوم (٤) : القصاص في القتل ،
 فإن الإنسان إذا همَّ بقتل إنسان آخر تذكر أنه يُقتص منه إذا قتل ، خاف
 وارتدع (٥) .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة البقرة : ١٤٢ و ٢١٣

(٣) سورة البروج : ١٤

(٤) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الإسراء .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ١٧٩ ، ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ .

ومن هَدَى القرآن للتي هي أقوم : قطع يد السارق (١) ، وذلك أن اليد إذا كانت أمينة كانت ثمينة ، لكن إذا خانت هانت وذُلَّت فُتَقَطع يد السارق .

وإنما خُلِقَت اليد لطاعة الله والإعانة في بناء المجتمع وإصلاح النفس والكسب الحلال ، فإذا امتدت إلى الفساد وإزعاج الآخرين وأخلَّت بالأمن أقيم عليها الحد .

ومن هَدَى القرآن للتي هي أقوم : رَجَمَ الزاني المحصن (٢) ، ذلكم أن الذَكَرَ والأنثى إنما خُلِقَا لعبادة الله وطاعته والسير على نظامه ، ولإنتاج الأجيال الخيرة والبيئة الصالحة بطريق طاهر (٣) . فإذا خان الزاني المجتمع وأفسد النسل وخلط الإنسان وورث غير وارث ، وجعل نطفته في رحم حرام ، وانتَهك الحرمات وقد عرف الغيرة ولكنه لم يبال ، فهو عضو فاسد وغصن يابس يجب إزالته لئلا يفسد غيره ويثقل على المجتمع حمله .

ولما كانت تلك الجريمة أشد قبحاً وشناعة وخطراً ، والشهوات والنفس الأمارة بالسوء تدعو إليها ، كانت عقوبتها تناسبها ، كما في جريمة زنى المحصن ، فقلَّ أن تثبت لخبائثها ، فإذا اعترف الزاني المحصن على نفسه أربع مرات ، أو ثبت الزنا بشهادة أربعة عدول بنزول الميل في المكحلة ، دلَّ على أن ذلك الزاني مستهتراً أو عنده عدم مبالاة بالجريمة ، ويشيع خبرها في المجتمع ، فكانت العقوبة من جنس الجريمة (٤) . فحكمة الرجم أبلغ في العقوبة ، وأشد نكالاً وردعاً للآخرين .

(١) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) إشارة إلى الآية ٢ من سورة النور .

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة النساء ، ونحو معناها حديث صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . البخاري : ١١٥/٩ الفتح ، ومسلم في الصحيح برقم (١٤٦٦) : « تنكح المرأة لأربع . . . » الحديث .

(٤) ولذلك وضعت هذه الموانع الشرعية الرادعة على لسان جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأخيراً على لسان هذا النبي المرسل الخاتم عليه الصلاة والسلام ، ولذلك جاء قوله تعالى في سورة : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ (سورة النور : ٦٣) .

ومن هدى القرآن للتي هي أقوم : الجمع بين العمل للمعاش والعمل للمعاد : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

ومن هدى القرآن للتي هي أقوم : تقسيم المسؤوليات في الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة ، وإلزام كل واحد بحق الآخر .

ومن هدى القرآن للتي هي أقوم : ربط المخلوق بالخالق إيماناً وانقياداً ، وتكليفه بعد الإيمان بالعبادات والصلاة والزكاة والصوم والحج وبالتكاليف الواجبة والمستحبة ، ليكون المسلم معتصماً بالله مرتبطاً بالعروة الوثقى ، فلا قوام للبشر إلا بالله ، ولا وجود لكيانهم إلا بالله ، فالتي هي أقوم : توجه العبد إلى الله في كل أموره والاعتماد على الله في كل شئونه .

ومن هدى القرآن للتي هي أقوم : وجوب طاعة الله الذي خلق (٢) من العدم وربى بالنعم ، وطاعة رسوله ﷺ المبلغ عن الله ، وطاعة ولاة الأمر الذين ولأهم الله (٣) أمر البلاد ، ورد الخلاف والنزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (٤) والانقياد لحكم الله (٥)

(١) سورة البقرة : ٢٠١

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في عدة سور منها الآية ٤٦ من سورة الأنفال .

(٣) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة النساء ، والأحاديث في ذلك كثيرة جداً .

(٤) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٥) إشارة إلى حديث ابن مالك رضي الله عنه . البخاري برقم (٧١٤٢) الأحكام

باب رقم (٤) « السمع والطاعة للإمام لم يكن معصية » ، ونحوه مسلم في الصحيح

الإمارة حديث رقم (٣٦) ، (٤٩) ، (٥٠) ، الحج برقم (١٤١) .

وكل التشريع والفرائض والأوامر والنواهي السماوية من هدي القرآن للتي هي أقوم ، فكل حكمة في القرآن وفي السنة الصحيحة أقوم وأحق بالابتداء والاتباع (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

* * *

(١) إشارة إلى حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه . أبو داود : برقم (٤٦٠٤) ، وأحمد في المسند : ١٣٠ / ٤ ، والدارمي في سننه : ١٤٤ / ١ وإسناده صحيح .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤ - تفسير الآية (٢٣) من سورة الإسراء (١)

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق فسوى ، وقدرّ
فهدى (٣) .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الصلة بين الوالدين والولد كصلة الحبة بالزرع ، فهي صلة أصل بفرع ،
فكما أن الزرع ينبت من الحبة ويمتص قوتها وغذاءها ويذهب بنُضرتها وبهائها
حتى تعودَ غُلفاً فارغاً أو فتاتاً مبعثراً . فكذلك الأولاد ، يمتصون من الوالدين
كل المجهودات وكل العناية ، وكل الاهتمام وكل القوى ، ومن الأم خاصة
كل قوة البدن ، فإذا بالوالدين شيخوخة ضعيفة وأجساماً هزيلة ، إن طالت

(١) أُلقيت في ١٨/٥/١٤٠٠ هـ .

(٢) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ٧١ من سورة الأنعام ، والآية ٤٣ من سورة
الأعراف .

(٣) إشارة إلى الآيتين ٢ ، ٣ من سورة الأعلى

بهما أو بأحدهما حياة ، كل ذلك بارتياح من الوالدين وبكل رغبة وسعادة ، بكل اهتمام وعناية ، دون سامة ودون ملل .

أما الولد .. فإذا قوى واستغنى عن والديه اتجه إلى تنظيم نفسه وأحواله ، وتحقيق رغباته . إلى النساء ، إلى الأولاد ، إلى هذه الحياة الدنيا ، بكل مشاعره وعواطفه : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴾ (١)

وهذا الاتجاه قد يُغفلُ الولدُ عن والديه ، وقد يُنسيه ماضيه معهما ، وقد يكون الوالدان أو أحدهما في حاجة إلى الولد ، إلى الأُنس به والارتياح إلى برِّ وصلة ، إلى نفقة وخدمة ، وقد يثقل على الولد هذه المسؤوليات فيُقصِّرُ فيها .

ولما كان الإنسان يختلف في تكوينه وفي وظيفته ، وفي مآله عن سائر المخلوقات النامية ، كان نظامه في هذه الحياة يختلف ، لذلك اعتنى الإسلام بتوثيق الصلة بين الوالدين والأولاد ، وجعل نظامه نظاماً يحفظ حق الوالدين وحق الولد .

ومن أجل الدوافع النفسية التي يتجه فيها الولد في هذه فيغفل الولد عن حاضر أبويه وماضيهما . أوصى الخالق تبارك وتعالى الولد بوالديه وبالغ في التوصية وقرن حق الوالدين بحق الخالق ، فالإحسان الأول والفضل الكامل للخالق جلَّ جلاله الذي خلق الإنسان وأوجده من العدم وربَّاه بسائر النعم والإحسان . والفضل الثاني للوالدين على ولدهما فهو بضعة منهما ، سهرها عليه وقاما بتربيته وتحمل المشقة في إصلاحه وإسعاده . فقال تبارك وتعالى :

(١) سورة آل عمران : ١٤

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكَ أَغْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١﴾ .

هذه خمسة أنواع من الواجبات على الولد لوالديه ، وفي ضمنها بقية الواجبات ، وإنما جرى التنصيص هنا على هذه الأنواع الخمسة ، لأنها هي مقومات السلوك ، وفيها الارتياح النفسي واستقامة الأسرة ، فإذا حصلت فغيرها تبع لها ، أما إذا فقدت فإنه لا يحصل بغيرها وثام ولا ارتياح ولا تواصل .

النوع الأول : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ : قضى : حكم وألزم . وأول واجبات العبد عبادة الله وحده لا شريك له . وقوله : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ : أي احسن أيها الولد إليهما . وقوله : ﴿ إما يبلغن عندك الكبر ﴾ : إشارة إلى الحالة التي يحتاج فيها الأبوان إلى العناية والرعاية والتلطف .

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ ﴾ (٢) : هو ما يقوله الإنسان عند الضجر والقلق ، أي لا تظهر لهما ما يوجعي بأنك في ضجر منها ، أو مستثقلٌ لخالهما ، أو متبرم من وضعهما ، لأن الإنسان في حال كبر سنه وحاجته إلى ولده - بعد أن كان قوياً مستغنٍ - كان له الفضل والقيادة في أسرته . في هذا الحال يكون إحساسه قابلاً لأي مؤثر - ولو كان بسيطاً - يؤثر في نفسيته ، يؤثر في معيشته ، يؤثر في أعصابه ، يؤثر في تفكيره ، وقد يؤول به الأمر إلى القلق

(١) سورة الإسراء ، آية : ٢٣ - ٢٥ . والوصية بالوالدين في سورة الإسراء ، وفي سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة الأنعام ، وسورة الأحقاف ، وسورة العنكبوت ، ولقمان .

(٢) سورة الإسراء : ٢٣

والسأم وكرهية الأسرة . فنهي الولد عن كل شيء يجرح شعور والديه أياً كان نوعه وسببه .

النوع الثاني ، ﴿ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ : أي لا ترفع الصوت عليهما في الخطاب ، ولا تخالف رأيهما انتصاراً لرأيك ، ولا تخالف رغبتهما إثارة لرغبتك ، فقد كانا يؤثرانك على أنفسهما ، وقد كانا يخفضان صوتهما لراحتك ، كانا يفرحان لفرحك ، ويسهران لسهرك ، ويمرضان لمرضك : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (١) .

وإذا كان رأيهما خطأ فلا تخالفه بما يدل على الانتقاد والتنقيص أو التكذيب ، وإنما بأسلوب الرقة والرأفة واللطف ، وإذا اقتضى المقام تأخير الجواب المخالف إلى وقت آخر ، فلعل الوالد أن يتراجع أو أن يكون عنده قابلية للتصحيح بدون تصور آخر .

النوع الثالث : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢) لما نهى الولد عن الإثارة والإيذاء بما يتنافى مع الإحسان ، أمر بما يقتضيه الإحسان وهو القول السديد الذي يدل على الاحترام والتوقير والإجلال ، وحفظ المعروف والاعتراف بالجميل ، وبما يدل على أن الوالدين مُقَدَّمَانِ في البيت محبوبان لدى الأسرة .

النوع الرابع : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (٣) : الجناح هو الجانب كقوله تعالى : ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ (٤) : أي أرخ لهما جانبك الذليل رحمة بهما لكبر سنهما وشفقة عليهما لضعفهما ، ولسابق

(١) سورة الرحمن : ٦٠

(٢) سورة الإسراء : ٢٣

(٣) سورة الإسراء : ٢٤

(٤) سورة طه : ٢٢

فضلهما فقد كان الوالدان يخفضان جانبهما للولد رحمة بصغره ، وشفقة على ضعفه ، يضمنانه إلى حضنهما ويضعانه تحت جناحهما ، انظر أيها الإنسان إلى الطائر كيف يضم فراخه تحت جناحه . يخفض الجناح ليحوي الفراخ ويصوت بصوت الرقة والرحمة ، وانظر إلى الفرخ كيف يبرز تحت الجناح بلهف وشفقة، يصوت بصوت الحاجة والضعف ، وانظر إلى سائر الحيوانات مع أولادها. فكَذَلِكَ كُنْتَ مَعَ الْوَالِدِ ، فَلَا تَكُنْ لَثِيمًا تَنْسَى ذَلِكَ الْمَاضِي وَتَشْتَغَلُ عَنْهُ بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةٍ وَاسْتِغْنَاءٍ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (١) .

النوع الخامس : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢) : دعاء للأبوين وتذكير للولد بما يجب عليه لأبويه . ﴿ كما ربباني صغيراً ﴾ : إن الولد لا يستطيع أن يكافئ والديه مهما عمل ومهما أحسن ، ومهما قدم لهما . ولكن عليه أن يحرص وأن يجتهد وأن يبذل ما في وسعه ، ويفوض بقية الأمر إلى القادر على الجزاء ، وعليه التوجه إليه بالدعاء لوالديه فرحمة الله أوسع ورعايته أشمل وفضله أعم ، وجنابه أرحب ، وهو أقدر على جزاء الوالدين على ما بذلاه من دم وقلب ومشاعر ، لا يقدر على جزائه الأولاد ، وهكذا يعالج القرآن الكريم القضايا الإسلامية ويضع نظامها ، ويقرر الحلول المناسبة لها .

وهكذا يحرك الإسلام الهمم ويشير الأحاسيس ويستجيش المشاعر الحية الواعية ويوجهها إلى اتجاه الخير والسعادة ، إلى روابط الأسرة وبناء الأمة : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه في السر والعلن ، وأدوا الحقوق إلى

(١) سورة الرحمن : ٦٠

(٢) سورة الإسراء : ٢٤

(٣) سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠

أهلها ، ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) ﴿ (١) .

اللَّهُم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين ، فاستغفروه
إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

راحة النفس لا ينالها إلا المؤمن التقي

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أكمل وأتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام ديناً (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى

آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهدّيه ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فإن الهداية منة من الله تعالى ثمينة غالية ، لا يعطاها إلا من أراد الله له

الخير والسعادة .

ونظام الإسلام في جميع مرافق الحياة هداية من الله وفضل ونور ، لا يراه

إلا من فتح الله بصيرته واختاره لحمل أمانته وتبليغ رسالته : نبيه ﷺ .

فالراحة النفسية التي يعيشها المسلم المتكامل ، والروحانية التي ينعم فيها

المؤمن ، لا يجدها الإنسان غير المؤمن مهما بلغت نفسه منها ، ومهما

حصلت على متطلبات الحياة ، ومهما أطلق لنفسه عنان الحرية السائبة .

فالأُسرة المسلمة التي تعيش على نظام الإسلام تكون متماسكة مرتبطة برباط

الإيمان بالتعاطف والتراحم ، والبر والصلة تجذ لذة وارتياحاً لا يجدهما أي

(١) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

شعب سائب لا يدين بدين الإسلام ولا يتحلى بفاضل الأخلاق وشريف السلوك .

انظر إلى المسلمين في تعاطفهم وتراحمهم عامة ، وفي الأقربين خاصة ، إذا مرض منهم الواحد توافد الآخرون لزيارته ، وإذا طالت بهم أيام فراق سافروا من جهة إلى أخرى للمواصلة وتفقد الأحوال .

أما الشعوب الأخرى التي تدّعي بأنها في قمة المدنية ، ويراهها بعض الناس من المسلمين - أو على الأصح من المتسيين للإسلام - يرونها في ذروة الرقي ، إننا نسمع عنهم من تفكك الأسر وتباعد القلوب وتشتت الشمل ما تقشعر منه الجلود وتنعصر له القلوب . وخاصة في الشعوب التي طغت عليها المادة والأنانية وتحكم الشهوات ، فمن أخبار تلك الشعوب الضائعة شاب في جامعة في بلد غربية يطلبه التليفون لحضور جنازة أمه ، فيجيب ببروده وعدم مبالاته فيقول : ليس من الضروري أن أحضر . وشابة في جامعة يطلبها التليفون لحضور أمها التي تحتضر فتعتذر . ورجل طاعن في السن يضرب الجدار على جاره في جوف الليل فلما أتاه إذا هو يحتضر ، فقال : ألك أولاد ؟ فقال : نعم ، ولكن لم أرهم منذ ثلاث سنوات ولا أعرف مكانهم . الولد يغيب عن والديه سنين ، فإذا قدم يتوجه إلى صديقه بكل قلبه وقالبه ، أما والداه فكثير إن أعطاهما إشارة من بعيد بالتحية . هذه الأمة غير المسلمة ، يعيش بعضهم هذا التفكك وتلك القطيعة ، وأما أمة الإسلام فهي الأمة المسلمة التي رباها محمد ﷺ بتربية الله ، وعلمها بعلم الله .

فهي الأمة التي تستحق السيادة والرقي والرفعة ، فما الفرق بين الأمتين ، إلا أن أولئك ، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (١) ،

فاتقوا الله يا أمة الإسلام ، تمسكوا بدينكم ونظام إسلامكم ، وافخروا
 بقرآنكم ودينكم ، فوالله لا قيمة لكم عند الله ، ولا عند خلق الله إلا بدينكم
 وطاعة ربكم .

وصلُّوا على البشير النذير .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۗ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ ﴾ (١)

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ - تفسير الآيات (١ - ٧) من سورة المؤمنون (١)

من صفات المؤمنين

(الخطبة الاولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، قوله حق ووعد صدق وحكمه عدل .

وأشهد أن إلا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ .

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم

الدين .

أما بعد ..

فإذا أعلن عن مخطط أراضي قد وصلت إليه الخدمات . تسابق الناس

للمزايدة والشراء ، ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٣) .

ولكنني أذكركم بقصور مفروشة ، وبساتين مثمرة معروضة للبيع ، لا تضيق بالمتنافسين ، ولا يتبعها شقاق ولا ندم ، ولا يتطرق إليها خسارة ولا غبن ولا خراب ، إنها تباع بموجب بطاقات ، وتسلم بالعدل ، ليس هناك محاباة ولا استبداد ، ولا غش ولا مخادعة ، ولا تدليس . فهل تعرفونها وهل تعرفون مالکها الذي عرضها للبيع ؟ وهل تعرفون من يستحق الشراء ، وما هو الثمن

(١) ألقيت يوم ٢٨/٥/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٧٥

وما هو صك الاستحقاق ؟ إنها الجنة : « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) ، ومالكها هو الله الجواد الكريم .

وأهل الاشتراك فيها هو المؤمنون . بطاقتهم : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وثمنها العملُ الصالحُ الخالصُ لوجه الله تعالى ، وصك الاستحقاق هو قوله تبارك وتعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ ﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلْؤُومِينَ ٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١ ﴾ (٢)

فتأملوا أيها المسلمون هذه الآيات ، وتأملوا شروط البيع والشراء ، وتأملوا الثمن ، وتأملوا المكسب والغبطة ، إن الثمن ليسير على من وفقه الله وهده ، وهكذا يجب أن تكون الأمة الإسلامية .

﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . الفلاح : هو الفوز والظفر بالمطلوب . والإيمان : هو التصديق . والمؤمنون : هم الذين يُصدِّقون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، يُعرفون بصفاتهم وسماتهم .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، حديث رقم (٨٤٩٨) التوحيد : ١٣ / ٤٦٥
 الفتح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا مسلم : الإيمان ، حديث رقم (٣١٢) ، وأحمد في المسند : ٢ / ٣١٣ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) المؤمنون : ١ - ١١

الأولى : ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ : الخشوع في الصلاة ، إذا دخلوا في صلاتهم ، استشعرت قلوبهم عظمة الله وتلذذت بمناجاته وتلاوة آياته ، فيسيطرُ هذا الشعورُ على القلب فيلِينُ لذكر الله ، ويسيطرُ على الجوارح والملامح ، فتهدأ وتسكن وتنسى كل ما يشغلها عن مناجاة الله ، وبذلك تسمو الروح ويخشع البدن وتزكو النفس وتطيب الأخلاق والسلوك ، والصلاة التي هذه صفتها هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، أما الصلاة والقلبُ لاه مشغولٌ بأعمال الدنيا ، مشغولٌ بالتفكير خارج الصلاة ، فهي صلاة بلا خشوع ، كجسد بلا روح .. « وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ وَالتَّعَبُ » (١) .

الصفة الثانية : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ : اللغو هو الباطل ، فهم منصرفون عنه لا يعملون به ولا يقربونه ، وسواء أكان لغو القول ، أو لغو العمل ، أو لغو الاعتقاد ، أو لغو السلوك ، ذلك أن المؤمن مشغول بالحق عن الباطل وبالجدد عن الهزل ، وبالعمل عن الكسل ، فأوقاته دائماً معمورةٌ بواجباته الإسلامية في نفسه ، وفي أهله وأولاده وفي بيته ومسجده وجيرانه وإخوانه وعشيرته . في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في التفكير في هذا الكون ، في مناجاة خالقه ، في قراءة كلام ربه ، في تتبع سنة نبيه محمد ﷺ . مشغول بوظائف الإسلام بالجهاد بأنواعه بالدعوة إلى الله ، التحذير عن كل ما لا فائدة فيه ، عن كل لهو وباطل ، وعن كل منكر وفساد . هذه صفة المؤمن الحقيقي كامل الإيمان .

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٤٤١/٢ ، وابن ماجه في المسند : الصيام باب (٢١) ، الدارمي في سننه : الرقاق (١٢) من هذا الوجه واللفظ ، وإسناده فيه ضعيف ، وهذا لفظ ابن ماجه ، وقد صح من وجه آخر عند الدارمي في سننه برقم (٢٧٢٣) : ٢١١/٢ ، وهو أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ..

واللهو المباح هو الذي ليس فيه إثم ولا يشغل عن واجب ، أما إن كان محرماً أو أشغل عن الواجب ، وإن كان أصله مباحاً ، كأن يُشغَلُ عن الصلاة حتى يخرج وقتها أو يؤذي المسلمين ويقطع الأرحام ، فهو مُحَرَّمٌ لا يجوز إتيانه .

الصفة الثالثة : أداء الحقوق الواجبة في الأموال ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ : فإن أداء الحقوق المالية يُطهر الأموال وينميها ويُزكي الأنفس ، ويُنظف المعاملات ، ويُقوّي صلة المسلم بأخيه المسلم ، فيحصل التعاطف والتراحم والتعاون والتكاتف ، وتحصل المحافظةُ على الكتلة المسلمة عن التصدع . لكن لما مُنعت الزكاة تسلّط الشيوعية ، ووجدت رواجاً بمبادئها الكاذبة وشعاراتها الخادعة ، فأفقرت الغني وتركت الفقير على فقره .

الصفة الرابعة : المحافظة على الفروج من الوقوع في المحرّم ، فلا تحصل نظافة الفرد والجماعة ولا نظافة الأسرة والأولاد إلا بحفظ الفروج عن المحرمات . فالمجتمع الذي يحافظ على أخلاقه ويُنظّم الغرائز الجنسية بنظام الإسلام يكون طاهراً نقيّاً شريفاً عليّاً . أما المجتمع الذي تنطلق فيه الشهوات بدون قيود وبدون نظام العدل فإنه مجتمع قذر هابط سافل إلى درجة الحيوانات ، ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْفٰئِقُونَ ﴾ (١) .

فإن بعض الحيوانات لا يرضى ذكراً أن يكون عنده في حظيرته ذكر آخر ، ولا يرضى أن تذهب أنثاه إلى غيره .

ولكن بعض بني آدم استحوذ عليهم الشيطان ، وسيطرت عليهم الشهوات ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم فهبطت أخلاقهم ، والذين يدعون المرأة للخروج إلى الميدان العام ، إلى الاحتكاك بالرجال ، إلى التقابل مع الشباب ، إنما

يدعون إلى رفع ستار الحياء ، وستار العفة ، إنما يدعون إلى تحطيم الفضائل والقضاء على الأخلاق سواء علموا ورضوا أم لم يعلموا .

وما أشبه الذكر والأنثى بالسالب والموجب من الكهرباء إذا حفظا من التلامس نفعا ، فإذا تم الاتصال النظامي بينهما حصل الثور والنفع الكبير ، أما إذا نزع الغلاف الفاصل بينهما والتقيا في نقطة غير نظامية ، احترقا وتلفا وأحرقا البيت وفسد الخط العام .

اتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله أيها الغافلون .. ألا تنظرون إلى نتائج خروج المرأة إلى الحقل العام في الأمم حولكم ؟

ألا تنظرون إلى المصائب والرزايا والفتن والمحن بسبب ذهاب الفضائل وبسبب تخلي المرأة عن واجباتها الأساسية ، وتخلي الرجل عن واجباته الشرعية .

ألا يستحي أولئك الدعاة ، ألا يخافون من الله ، أليسوا بمسلمين ؟

ألا يقرأون كتاب الله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهنَّ ﴾ (٢) ، ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَنْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ... الآية (٣) ، ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِمَخْرُجِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ ... الآية (٤) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ (٥)

ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

(١) سورة الأحزاب : ٣٣

(٢) سورة الأحزاب : ٥٩

(٣) سورة النور : ٣٠

(٤) سورة النور : ٣١

(٥) سورة آل عمران : ٨

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ،
ويؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهي فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير .
اللَّهُم اغفر لنا وتب علينا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 فى تفسير الآية ٨ حتى ٩ من سورة المؤمنون
 حفظ الأمانات ومراعاة العهود

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأنعم علينا نعمة الأمن والرخاء
 والاستقرار .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
 لَشَدِيدٌ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. ألا هو العزيز الغفار .
 وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار ، صلى الله
 وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار .
 أما بعد ..

فإن الصفة الخامسة للمؤمنين الذين يرثون الفردوس هي قوله تبارك وتعالى :
 ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٢) يؤدون الأمانات إلى أهلها
 ويصدقون في العهود ويوفون بها ، وما أكثر الأمانات في علق الإنسان ،
 أمانات فيما بينه وبين الله ، وأمانات فيما بينه وبين المخلوقين .. فالوفاء بالعهد
 وأداء الأمانة من صفات المؤمنين ، ونقض العهد وخفر الأمانة من صفات
 المنافقين .

(١) سورة إبراهيم : ٧

(٢) سورة المؤمنون : ٨

وأما الصفة السادسة : فهي المحافظة على الصلوات في أوقاتها بوضوئها وأعمالها ، الرجال مع الرجال في المساجد ، والنساء في بيوتهن خير لهن .
 ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ .

الصلاة صلة بين العبد وربّه ، لا تُكَلَّفُ عناء ولا مالا ولا تستغرق وقتاً طويلاً ، مَنْ حافظ عليها حفظ دينه ومَنْ ضيعها فهو لما سواها أضيع (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (٢) .

ثم اعلّموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، ثم ثنى بالملائكة ، ثم بكم أيها المؤمنون ، فقال جل من قائل عليماً : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (٤) .



(١) من رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله ، أخرجه مالك في موطنه برقم (٥) : ١٥/١ ، وإسناده منقطع ، ولكن معناه صحيح .

(٢) سورة الحديد : ٢١ ، وتامها : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

(٤) فضل الصلاة على النبي ﷺ للعلامة إسحاق القاضي برقم (٩) ص ٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦ - تفسير الآية (١ - ٢) من سورة النور (١)

عقوبة الزنى

(الخطبة الاولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، بعث رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة للعالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، أئمة الهدى الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون ، ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً كثيراً .
أما بعد ..

فيا أيها المسلمون : يقول الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

﴿ ١ ﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٢ ﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ

مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٣ ﴾ .

(١) أقيمت يوم ٢٧/٦/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النور : ١ - ٣

لقد أنزل الله في هذه السورة الكريمة أحكاماً شرعية متعددة لا غنى للمسلم عن معرفتها والعمل بها ، بين فيها الخالق الحلال والحرام والأمر والنهي ، والإرشاد والتوجيه ، واللوم والتوبيخ ، والعمل والجزاء ، والثواب والعقاب .
أنزل فيها آيات فرآنية واضحة مفسرات محكمات يعرفها من قرأها وتدبرها .

أنزل فيها التربية الاجتماعية الصحيحة ، وبين طرقها وعالج المشاكل الطارئة .

أنزل فيها هدى للعالمين ، ورحمة للمتقين ، وموعظة وذكرى للمؤمنين .
حقاً إنها اشتملت على أحكام شرعية وحدود مفروضة تهدف لإصلاح المجتمع وتربيته ، وتطهيره من أدناس المعاصي ، وتصفيته من نزغات الشيطان .
تأمر بكل فضيلة ، وتوضح أسبابها والطرق الموصلة لها ، وتنهاي عن كل رذيلة وتحذر منها .

وقد صدر الله تعالى هذه الآيات البينات في هذه السورة بآية الزنا ، لخطر شأنه وقبح فعله وما بعده له صلة به ، إما لصيانة الأعراض من القذف به ، أو لمعالجة المجتمع من الوقوع فيه أو في أسبابه ، أو لإرشاد العباد إلى طريق العفة والنزاهة ، وتحذيرهم من طرق الخلاعة والابتذال .

عباد الله : إن جريمة الزنا هي أخطر جريمة على الأمة ، فالعفة وعليها مدار الأخلاق وطهارتها ، ونظافة الأخلاق عنوان قوة الأمة وشهامتها ، ودليل عزتها وكرامتها ، أما إذا انهارت الأخلاق انهارت الأمة ، وصارت لعبة في أيدي أعدائها ، وبقاء الأمة متعلق ببقاء أخلاقها ، ولا تذلل ولا تهون إلا بانهيار أخلاقها ، ولا تهلك إلا بالانحراف عن دينها ووقوعها في معصية ربها

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَدَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

﴿ (١) ﴾

وما انتشر الزنا في قوم إلا سلط الله عليهم أمراضاً فتأكة كالتاعون والإيدز
والزهري والقروح والصدید ، وما كثر الزنا في قوم واشتهر فلم يُنكر ، إلا
سلط الله عليهم ذلاً وهواناً وفقراً ومجاعة . الزنا فيه جرأة على الله تعالى
بانتهاك محارمه وتعدي حدوده ، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على فضائله
ومكارمه ، وخيانة للأمة باختلاط أنسابها .

إن الزنا جريمة في حق الرجل والمرأة : ﴿ الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ،
وفيه جناية على المرأة بخيانة فراشها وهدم بيتها وتحطيم مستقبلها . إنه جناية
عظمى على النطقة التي توضع في رحم حرام ، قد تخلق إنساناً فيُنسب لغير
نسبه ويرث من غير مورثه ، ويُحرّم عليه غير محارمه ، وقد يتزوج من
محارمه ، أو يُوضع في دور الحضانة لا أم له ولا أب ، قد حرم من عطف
أبيه وحنان أمه فيعيش ضائع النسب .

وقد توأد تلك النطفة في أول حياتها ظلماً وعدواناً . كل هذه كبائر
وفواحش يرتكبها الزاني .

لذلك حذر الله تعالى من الوقوع في هذه الفحشاء ، ورتب عليها عقوبة
جازمة لإصلاح المجتمع وتطهيره ، فكانت العقوبة في أول الأمر حبس المرأة
الزانية في البيت حتى تموت ، وإيذاء الرجل الزاني بالضرب والشتم ، فسخ
ذلك بهذه الآية التي في سورة النور ، وأما آية الرجم فنسخت تلاوتها وبقي
حكمها (٢) .

(١) سورة النور : ٣

(٢) الحاكم في المستدرک : ٤١٥/٢ ، والطيلاسي (٥٤٠) ، وعبد الرزاق في
المصنف (١٣٣٦٣) ، والبيهقي : ٢١١/١٠ ، كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود .

فاستقر الحد الشرعي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة الإسلامية .

الزاني البكر الذي لم يتزوج زوجاً صحيحاً شرعياً جلد مائة جلدةٍ وتغريب عام كامل عن البلد التي وقعت فيها الفاحشة لإماتة ذكرها ، وقطع خوض الناس فيها ، وأما الزاني المحصن ، وهو الذي سبق أن تزوج زوجاً صحيحاً شرعياً ، وهو بالغ عاقل حتى لو فارق زوجته ، فعده ذكراً كان أو أنثى الرجم بالحجارة حتى يموت ، ذلك لأن المحصن قد عرف مدى غيرة الزوج على زوجته وشدة حرصه عليها والمحافظة على كرامته وعفته ، وعرف خطر اختلاط الأنساب ، فلما عرف ذلك وهتك حرمت الآخرين وكشف أستارهم وخان أمانتهم بصفة رآه أربعة رجال أو أقر على نفسه أربع مرات ، صارت عقوبته أشد وأنكى ، ذلكم حكم الله تعالى وسنة نبيكم محمد ﷺ .

وفي الصحيحين أن أعرابيين جاء إلى النبي ﷺ وطلبا القضاء بينهما بكتاب الله ، فقال أحدهما : يا رسول الله ؛ إن ابني هذا كان عسيفاً (يعني أجيراً) على هذا ، فزنى بامراته ، فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم .

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغدُ يا أنيس (لرجل من أسلم) إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها (١) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أمير المؤمنين

(١) مسلم كتاب « الحدود » ، باب : من اعترف على نفسه بالزنى حديث رقم (١٦٩٨) ص ١٣٢٤ ، والبخاري في الشروط ، باب : الشروط التي لا تحل في الحدود (٢٧٢٤) ، والوكالة (٢٣١٤) ، والنسائي في الرجم ومالك : ٨٨٢/٢ في الحدود .

عمر بن الخطاب قال وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة أو كان الحبل أو الاعتراف (١) .

فاتقوا الله عباد الله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢) ، وحذروا من تحت ولايتكم من الأسباب الموصلة إلى هذه الفاحشة الشنعاء ، وإياكم والغفلة والإهمال ، فإن الراعي إذا أهمل رعيته أكلتها السباع .
اللهم احفظنا من الوقوع في محارمك ، واعصمنا من تعدي حدودك ، ووفقنا لطاعتك وطاعة نبيك .

اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا ، واستر عورات المسلمين ، إنك على كل شيء قدير .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



(١) أخرجه أحمد في المسند : ١١٥/٤

(٢) سورة الإسراء : ٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسباب العفة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمدوه وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم بتقوى الله تعالى والرغبة في ثوابه والخوف من غضبه وعقابه .

واعلموا أن لكل شيء أسباباً ولكل طريق منتهى ، فغض البصر وتستر المرأة بلباس الحشمة والعفة ، ووقار المرأة في بيتها ، فلا ترى الرجال ولا يرونها ، واحتجاب المرأة بحجابها ، وضرب خمارها على جيبها ، وإخفاء جمالها وزينتها عن الأجانب ، كل هذه وأمثالها من الفضائل سبب للعفة والنزاهة ، وحفظ الشيم والكرامة ، وإحصان الفرج .

كما أن التبرج ، وإخلاط الرجال الأجانب بالنساء وخروج المرأة من بيتها متجملة مظهرة زينتها وفتنتها ، سبب للوقوع في المحذور ، وطريق يوصل إلى تجرى الفساق على إيذائها .

فاتقوا الله عباد الله ، وتمسكوا بدينكم وفضائله وشمائله العالية ، فإن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما فيه صلاحه وسعادته .

أيها المسلمون : إن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَابْعَثْهُ ، اللَّهُمَّ مَقَامًا مَحْمُودًا ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدرجَةَ الرَّفِيعَةَ .

اللَّهُمَّ ارْضُ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَثَمَةِ الْخُنَفَاءِ : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيًّا ، وَعَنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

اللَّهُمَّ ارْضُ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنْكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذِلِّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَاحْمِ حُوزَةَ الْإِسْلَامِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ أَدِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالرِّخَاءِ وَالِاسْتِقْرَارِ ، وَعَمِّمْ بِهَا جَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ .

(١) سورة الاحزاب : ٥٦

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٣٧٢/٢ ، ومسلم في الصلاة ، باب : الصلاة على النبي ﷺ (٤٠٨) ، وأبو داود (١٥٣٠) في الصلاة ، باب : في الاستغفار ، والترمذي (٤٨٥) ، باب : ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ والبخاري في الادب المفرد (٦٤٥) من طرق عن إسماعيل بن جعفر به .

اللَّهُم انصر واحفظ إمامنا وارزقه بطانة صالحة يا رب العالمين .

اللَّهُم اجعل ولاية المسلمين في يد من آمن بك وأطاعك واتبع رضاك يا حي يا قيوم .

اللَّهُم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : أكثروا من ذكر الله ، فإن به حياة القلوب وبه تُغفر الذنوب ،
﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١)

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ - تفسير الآية (٣١) من سورة النور (١)

في مسألة السفور والحجاب

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ

والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن من أخطر البضائع الاجتماعية المستوردة من المدينة الغربية بضاعة خبيثة ودسيئة مأكرة خطيرة ، ولقد وجدت رواجاً كبيراً وقبولاً مُدهشاً في الأمة المسلمة .

إنها مسألة السفور دَخَلَتْ إلى بلاد الإسلام بواسطة بعض الوافدين إليها المتأثرين بالدعايات المغرضة ، وبواسطة بعض أبنائها الذين يسافرون إلى البلدان المتأثرة بتلك الدعايات ، وما هو إلا تقليد أعمى واقتداء المغلوب بالغالب ،

(١) ألقى يوم ١٤٠٧/٧/٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

وخاصة في البلاد التي كانت تحت ضغوط الاحتلال المعادي للإسلام ، لقد علم كل مسلم واع يعرف إسلامه أن أعداء الإسلام نظروا إلى الحجاب والنقاب وحشمة الإسلام وصيانته للمرأة بعين المقت والازدراء ، وصوروه أقبح تصوير ، وشنعوا عليه بكل وسائل الإعلام وبأنواع الدعايات والتمثيلات ، وعدّوا وقار المرأة في بيتها كبتاً وإهانة فعكسوا الوضع ، ولكن تمويهاتهم لا تنطلي على المسلم الواعي ، وقالوا في الجهاد وأكثروا كما قالوا في تعدد الزوجات وإقامة الحدود ، فعدها أعداء الإسلام مأخذ على الإسلام والهدف معلوم وهو فصل المسلمين عن مصدر قوتهم وأساس عزتهم ونظام حياتهم ، وهو الإسلام ، عن القرآن الكريم ومنهج سيد الأوّلين والآخريين ، وساعدهم على ذلك غفلة المسلمين عن نصوص الكتاب والسنة ، وتقهر العلماء عن الإيضاح والبيان

بل إن بعض رجال الإسلام وقادة الفكر الإسلامي ، ورجال الإصلاح أحسوا بالتّيار الجارف والضغط المصاحبة له فانشلت فيهم الحركة الإصلاحية ، وضعفت الغيرة للإسلام في بعضهم ، فأخذوا يبحثون في كتب الإسلام لعلمهم يجدون ما يدفعون به نقد الأعداء للحجاب ، فإذا بهم يقفون على أقوال لبعض العلماء تُجيز للمرأة أن تُبدي وجهها وكفيها ، وأن لها أن تخرج في بيتها لقضاء حوائجها ، وأن المرأة يجوز لها أن تشهد الحروب لسقي المجاهدين ^(١) ومداواة المرضى ، كما وجدوا إذناً للمرأة بأن تخرج إلى المسجد للصلاة ^(٢) . يضاف إلى ذلك ما يشاهده أبناء المسلمين قليلو الحظ في

(١) إشارة إلى ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما في الجهاد ، باب ٦٥ وعنوانه : باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، حديث رقم (٢٨٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ونحوه مسلم في الصحيح : الجهاد برقم (خاص ١٣٦) .

(٢) إشارة إلى ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، البخاري : ٣١٨/٢ ، ومسلم في الصحيح برقم (خاص ١٣٦) ، و (عام ٤٤٢) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأبو داود : برقم (٥٦٥) في الصلاة ، باب : ما جاء في خروج النساء إلى المسجد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

علوم الإسلام إذا سافروا إلى البلاد الكافرة ومستعمراتها ، فيرون ما عليه نساء تلك الجهات من زينة ظاهرة ، وتبرج سافر وانطلاق في الشوارع والمعارض والمتزهات والكباريات ونشاط في الحركة الشيطانية ، فينظروا إلى ذلك بعين غافلة عن إسلامها ، ويتأملونه بقلوب نائمة عن إيمانها ، وبمشاعر تائهة عن سلوكها ، فأحبوا أن تكون نساؤهم مثل نساء أولئك ، فتلقوا تلك الدعايات الكاذبة على أنها حقيقة ، وأفسحوا المجال أمام الحملة الماكرة ، وهل توقف الأمر على القول بجواز كشف الوجه والكفين والخروج إلى المسجد للصلاة أو للحاجة ؟ لا . . . بل جعل ذلك نقطة انطلاق إلى التحلل والتبرج الجاهلي وانهيار الأخلاق والخروج على فضائل العفة وعلى مكارم الأخلاق ، بل كان حرباً شعواء ضد الإسلام في بلاد الإسلام ، وفي أبناء المسلمين ، وهذا هو التخطيط الغربي وهو الهدف من تلك الدعايات ، وهو الهدف من القول في الوحي السماوي .

ومن أخط الخداع والمكر إظهار الدعاية بأن الإسلام يوافق النظام الأخلاقي المتحلل الساقط والحقيقة أن الفروق شاسعة في المبدأ والهدف ، فالإسلام نظم حياة الجنسين ، وجعل لكل جنس دائرة عمل تتوافق مع طبيعته وقدرته ، وقسم مسئوليات الحياة على الجنسين ، ونظم الصلة بينهما ، وجعل لها هدفاً شريفاً وغاية محترمة تضمن حقوق المرأة في شبابها وكبرها ، وحافظ على كرامتها من الابتذال والإهانة ، وجعل لها ضمانات على الزوج والأب والابن والأخ وعلى الوارث وعلى بيت المال .

أما المدنية الغربية فإنها أهملت المرأة من الرعاية ، وتركتها هائمة باسم الحرية ، يلعب بها الشيطان ، ويخدعها الشباب ، وتلعب بها الأحزاب ، همها إشباع الرغبة الحيوانية بدون هدف ؟ والاتجاه خلف كل زاعق وناثق بلا غاية ، حتى جعلوها وسيلة في الحركات السياسية .

وتدارك بعض علماء المسلمين خطر الفكر المستورد ، وكذب الدعايات المسمومة ، فقامت نهضة للمحافظة على ما بقى ولإصلاح ما فسد ، ولكنها مقاومة من دعاة المدنية المزيفة وأشباعها : ﴿ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُسْرَ نُورُهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) ، وكثيراً ما ترد أسئلة من بعض الشباب المسلم الواعي من الذكور والإناث : عن الحجاب وعن الزينة المسموح شرعاً بإظهارها ، وعن صفة الضرب بالحمار (٢) على الجيب ، وعن صفة إدلاء الجلباب على المرأة (٣) .

وإذا تأملنا نصوص الشريعة من الكتاب والسنة وكلام العرب وتفسير الصحابييات لآيات الحجاب لما نزلت . وأنصفنا من أنفسنا وأبعدنا عاداتنا وتقاليدينا وتحررنا من التعصب لها ومن التعصب للمذهب ، عرفنا يقيناً أنه يجب على المرأة أن تغطي وجهها وكفيها عن الرجال الأجانب (٤) إلا ما استثنى لحاجة ، كالنظر إلى المخطوبة (٥) ، وعند الشهادة أو التعريف ، أو النظر إلى الكف عند الأخذ والعطاء في حدود المباح ، وعند ضرورة العلاج وفي حدود الحاجة . والقول بوجوب تغطية وجه المرأة هو ظاهر نصوص الكتاب والسنة ، وإليكم طائفة منها باختصار مراعاة للمقام :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٦) .

(١) سورة التوبة : ٣٢

(٢) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة النور .

(٣) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد صحيح عنه : ٣٣/٢٢ ، الطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٩ هـ بمصر ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤٢/٥

(٥) إشارة إلى حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي في جامعه :

١٦٩/٢ وإسناده صحيح .

(٦) سورة النور : ٣١

الخمير هو ما يوضع على الرأس يُغطى به ، والجيب فتحة الثوب على الصدر ، فأرخاء الخمير من الرأس إلى الصدر يقتضي تغطية الوجه ، والتعبير بقوله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ ﴾ تأكيد لإسباغ تغطية الوجه والصدر مع الرأس بالخمير ، فلا تكفي الغطوة القصيرة التي لا تصل إلى الصدر .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُدْرِكُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (١) .

فالمرأة مأمورة بإخفاء زيتها إلا ما ظهر ، وهو ما يتعدّر ستره مثل العباءة والجلباب والملحفة والشرشف ، أما الوجه والزينة التي على الوجه فيمكن سترها ، فهي إذا من الزينة الخفية التي يجب سترها عن الأجانب .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ^٢ ﴿ (٢) ، وإن كان الخطاب في شأن أزواج النبي ﷺ ورضى عنهن ، إلا أن قوله : ﴿ ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ دليل على أن الحكم عام لكل المسلمات ، أزواج النبي ﷺ وغيرهن ، لأن كل مسلمة مطلوب منها أن يكون قلبها طاهراً ، ولا يجوز تخصيص الحكم بأزواج النبي ﷺ إلا بدليل شرعي ، والقاعدة الأصولية : أن أحكام الشريعة عامة شاملة وإن كان المخاطب واحداً ولا يُخصّص إلا بدليل .

٤ - قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأُزَوِّجَكَ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ

عَلَيْهِنَّ مِنْ جَنَابِيبِهِنَّ^٣ ﴿ ... الآية (٣) . الجلباب : كساء متين تغطي به المرأة جميع بدنها مثل العباءة والملاء والشرشف ، فلا يجوز للمرأة أن ترفع العباءة فوق حقوها ، بل تُرخيها على جسدها كله ، ونحن في هذه البلاد

(١) سورة النور : ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٣

(٣) سورة الأحزاب : ٥٩

السعودية - والله الحمد - التزم نساؤنا بالحجاب الشرعي ، فلا يرى منها وجه ولا يد ، فعلى الوافدين إلينا وعلى المدرسات تقوى الله في نساءنا وإبقائهن على حجابهن وعفتهن وحيائهن ، ليقتندين بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن .
 فقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَأَزُوْجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (١) دليل على أن حكم الحجاب وتغطية وجه المرأة عن الأجانب عام في كل المسلمات ، واجب على كل المؤمنات كما هو واجب في حق أزواج النبي ﷺ .

٥ - قوله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ (٢) .

فقوله : ﴿ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ مع قوله : ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ دليل على أن الثياب التي رُفِعَ الجُنَاحُ عن المرأة الكبيرة العجوز هي العباءة ونحوها ، وهي الزينة الظاهرة . فغير القواعد لا يحل لهن أن يضعن العباءة ونحوها أمام الرجال الأجانب فلا يضع العباءة والجلباب إلا العجائز والمتشبهة بالعجائز ، وفيه دليل على وجوب تغطية الوجه لأن الآية نهت القواعد من التبرج بالزينة . والوجه هو أساس الزينة وهي عجوز ، فكيف بالمرأة الشابة الحسنة .

٦ - حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « لما نزلت آية ﴿ وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ أخذن أزهرن فشققنها من قبل الجوانب فاختمرن بها » (زواه البخاري) (٣) . قال في فتح الباري لابن حجر :
 اختمرن ، أي غطين وجوههن .

٧ - حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود بسند صحيح قالت : كان

(١) سورة الأحزاب : ٥٩

(٢) سورة النور : ٦٠

(٣) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها . البخاري برقم (٤٧٥٩) التفسير

وشرحه الحافظ في الفتوح : ٤٩٠ / ٨

الركبان يمشون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ - أي في الحج - فإذا حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفنا (١) .

٨ - وروى الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : كنا نغطي وجوهنا عن الرجال (٢) .

٩ - من أدلة وجوب تغطية المرأة وجهها عن الرجال الأجانب قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصْرِيحُ بِالرَّجُلِ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَى مِنْ زِينَتِهَا ﴾ (٣) ، فأمرها بإخفاء صوت الخلل الذي في الرجل دليل بطريق الأولى على وجوب إخفاء الوجه خشية الفتنة (٤) ، إذ الوجه أشد فتنة من صوت الخلل .

هذا ملخص ما ذكره المحققون من العلماء ، ومن أراد التفصيل وزيادة إيضاح ، فليراجع كتاب الحجاب ، وأضواء البيان في المجلد السادس .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. وكما أن المرأة تصلي وتزكي وتصوم وتحج طاعة لله ولرسوله ﷺ ، ورجاء ثواب الله وخوف عقابه ، فكذلك يجب على المرأة المسلمة أن تغطي وجهها وكفيها طاعة لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ ورجاء ثواب الله وخوفاً من عقابه .

فاتقوا الله يا دعاة السفور .. هل أحد من العلماء قال إن السفور واجب حتى تدعون إليه ، أم أن أحداً قال إنه مستحب حتى تُرغبون فيه .

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أحمد في المسند : ٣٠ / ٦ ، وأبو داود : برقم (١٨٣٣) : ١٦٧ / ٢ ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٢) الحاكم في المستدرک : ٤٥٤ / ١ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٣) سورة النور : ٣١

(٤) المفهوم هنا أقوى من المنطوق في هذه الآية الكريمة من سورة النور (الآية : ٣١) .

الواجب عليكم أن تأمروا بما أمر الله به ، وأن تنهوا عما نهى الله عنه
ورسوله ﷺ ، إنما الخلاف بين العلماء : هل يجوز كشف وجه المرأة عند
الرجال الأجانب أم لا يجوز ، وليس على الجواز دليل صحيح صريح .
فاتقوا الله وراقبوه .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رَشْدَنَا ، وَقْنَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جهاد الشهوات

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن الله لا يستحي من الحق ، إنه من الجهالة أن يترك الرجل ما أحلَّ الله له من الطيبات ، ويذهب إلى ما حرمَّ الله من الخبائث ، وإنه من التماذي في الفسق والفجور أن يعمل الرجل عملَ قوم لوط . سئل أعرابي عن اللواط ، فقال : أنا أفر من العذرة في العراء ، فكيف أدخل عليها جحرها (٤) .

اللواط من أقبح القبائح ومن أخسها ، فإن الذكر لم يُخلق للاستعمال ،

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة إبراهيم : ٤

(٣) إشارة إلى الآية ٨١ من سورة الأعراف ، والآية ٥٥ من سورة النمل .

(٤) ذكر نحوه الإمام ابن كثير في تفسيره : ١٩٤/٣ - ١٩٥ ، ٢٤٤/٥ - ٢٤٥ .

والدبر ليس محلاً للولد ولا للشهوة ، بل هو مستقذر حيث وهو يقضي على الجولة ، ويسبب الأمراض في الفاعل والمفعول به ، وهو جريمة اجتماعية دنسة ، ملعون فاعلها على لسان نبينا محمد ﷺ ، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ، وحد اللوطي عند المحققين القتل سواء أكان بكرأ أو ثيباً ، واختلف في صفة قتله ، فمنهم من قال : يُحرق بالنار (١) ، ومنهم قال : يُرمى عليه حائط ، ومنهم قال : يلقي من مكان شاهق كالمنارة ، ومنهم قال : يضرب عنقه بالسيف (٢) ، وذلك لأن الله تعالى قال في قوم لوط : ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۖ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فِسَاءً مِّمَّنْذَرِينَ ﴾ (٥) ، وقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴾ (٦) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي) (٧) .

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه الحاكم في المستدرک ، وصححه البيهقي في شعب الإيمان ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤٩٧/٣ ، وفيه لعن رسول الله ﷺ من عمل قوم لوط ثلاث مرات .
 (٢) ذكره البغوي في شرح السنة : ٣١٠/١٠ .
 (٣) سورة الحجر : ٧٤ .
 (٤) سورة العنكبوت : ٣٤ .
 (٥) سورة الشعراء : ١٧٣ .
 (٦) سورة هود : ٨٢ - ٨٣ .

(٧) أخرجه أبو داود : برقم (٤٤٦٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ١٥٨/٤ ، والترمذي (٢٥٦١) ، وأحمد في المسند برقم (٢٧٣٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٢٣٢/٨ ، والحاكم في المستدرک : ٣٥٥/٤ .

والذي يأتي المرأة في دُبُرِها ، نجس قذر ملعون في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وظالم معتد قبيح . فعن عقبه ابن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن » (١) ، أي الأدبار محل القذر . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أتى النساء في أعجازهن فقد كفر » (رواه الطبراني) ، وروى ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل جامعَ المرأةَ في دُبُرِها » (٢) .

وأما إتيان البهيمة ، فقال الرازي : أجمعت الأمة على تحريم إتيان البهائم ، واختلف العلماء في حكم الذي يأتي البهيمة .

فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوا معها » (٤) .

وقال بعضهم : حكمه حكم الزاني إن كان بكرًا جلد ، وإن كان ثيبًا رجم .
والثالث : أنه يعزَّر (٥) .

(١) أورده الهيثمي في المجمع : ٢٩٩/٤ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الصمد بن الفضل وثقه الذهبي .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع : ٢٩٩/٤ ، وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ٣٢٤/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ونحوه ابن ماجه في السنن : النكاح برقم (١٩٢٣) ، وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٤٢٠) ، وأبو داود برقم (٤٤٦٤) ، والترمذي برقم (١٤٥٤) ، والحاكم في المستدرک : ٣٥٥/٤ ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن ماجه برقم (٢٥٦٤) .

(٥) ذكر ذلك البغوي في شرح السنة : ٣٠٩/١٠ - ٣١٠ ذكر الأقوال ...

والسحق بين النساء (٦) ، والاستمناء باليد المسمى العادة السرية (٧) ، -
 والمعروف بجلد عميرة - محرّم وفيه التعزير .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن الله شرع الزواج الشرعي للاستغناء به عن
 المحرّمات ولابتغاء الولد ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا يكون المسلم عبداً
 لشهواته توجهه كيف شاءت .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

* * *

(١) لم أقف على حديث السحق الذي تتعاطاه النساء فيما بينهن ، ولكن قوله تعالى
 في الآية السابقة من سورة المؤمنون : ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ .

(٢) ونحو هذا الموضوع لم أقف على حديث الاستمناء الذي هي عادة سرية يتعاطاه
 بعض الشباب فيشملة قوله تعالى في سورة المؤمنون . والله أعلم .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨ - تفسير الآية (٦٧) من سورة الزمر (١)

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (٢)

﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، شفيع الأمة وفرطها على

الحوض (٤) ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون ؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٥)

أيها المسلمون : إننا نقرأ كتاب الله الكريم ، ونمر على ما فيه من النور

والهدى ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وما فيه من الأخبار الماضية

(١) ألقيت يوم ١٠/١٠/١٣٩٥ هـ .

(٢) سورة الأنعام : ١

(٣) سورة القصص : ٧٠

(٤) إشارة إلى حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه . أخرجه البخاري

برقم (١٣٤٤) : ٣/٣٠٩ الفتح في هذا المعنى .

(٥) سورة الطلاق : ٢ - ٣

والأنباء المستقبلية ، ولكن الكثير يمر عليها مرأ خفيفاً ، فلا يتدبر المعاني ولا يتأمل الحقائق ، ولا يتعقل المواعظ ولا ينتفع بها ، ولا يتأمل الوعد فيتشوق إليه ، وما هذا إلا لقسوة القلوب وغفلتها وإعراضها عن كتابها وغفلتها عن مصيرها وتراكم الذنوب عليها ، فقسفت القلوب فهي كالحجارة أو أشد قسوة . فالقلوب يتلى عليها القرآن وتسمع القرآن فلا تتأثر بعظمته وهيبته .

فتعال أخي المسلم نتلو هذه الآيات من آخر سورة الزمر ونتأمل معانيها ونستحضر عظمة الله وقدرته فيها ، فلعل الله أن يفتح بصائرنا لفهمها وأن يرقق قلوبنا بما اشتملت عليه من الهول العظيم والوعد الصادق .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٦﴾ .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا

يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّاحِقًا إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ

الْجَنَّةِ زُرَّاحِقًا إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ

فَادْخُلُوا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْزَانُ الْأَرْضِ نَتَّبِعُوا مِنْ

الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١﴾

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (١) .

فما قدر الله حق قدره من ذهب إلى قبور الأولياء والصالحين ويقدم لها القرابين ويطلب منها المدد وقضاء الحوائج مثل نجاح الأولاد وتسهيل الولادة أو الحفظ من الأعداء أو كشف الغمة . وما قدر الله حق قدره من أنكر رسالة محمد ﷺ ولا من أشرك مع الله غيره ، والله يقيض الأرض ويطوى السماء بيمينه ، فكل شيء تحت قهره وخاضع لإرادته ، بيده مفاتيح الأمور ، وله مقاليد السموات والأرض (٢) ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء (٣) .

وأخبر أن كل ما في الوجود دليل على قدرته ووحدانيته واختصاصه وحده بالعبادة ، وأنه ما يكفر بآيات الله إلا الخاسرون ، وما يشرك به إلا الجاهلون ، وأن الهداية لعباد الله وإخلاصها لله نعمة كبرى يجب شكرها ، كما أخبر سبحانه في الآيات السابقة عن قدرته على الخلق والإيجاد واستحقاقه للعبودية الخالصة ونهيه عن الشرك وأنه محبط للعمل أخبر تبارك وتعالى عن قدرته يوم القيامة ، بما هو أعظم مما نشاهده من آثار قدرته وآيات عظمته ، كما بين قدرته على إفناء الخلق وبعثهم وإرجاعهم إليه ، فليس ذلك يؤوده ولا يمسه بلغوب ، إنما يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور النفخة الأولى ، فيفنى جميع العالم إلا من شاء الله ، ثم يأمره بالنفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام إلى الحشر ينظرون ، أحياء بعد الفناء خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . خوف وفرع وهم وغم ، والصور قرن ينفخ فيه إلا أنه كبير عظيم يسمعه كل الخلائق

(١) سورة الزمر : ٧٥

(٢) إشارة إلى الآية ٦٣ من سورة الزمر .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة آل عمران .

فتصعق ، والنفخة الأولى هي الراجفة ، والنفخة الثانية هي الرادفة . روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقحه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر » . قالوا : يا رسول الله ؛ وما تأمرنا ، قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » ، ويشفع صلى الله عليه وسلم للفصل بين الناس فيظهر فضله على جميع الخلائق فهو أول شفيع صلى الله عليه وسلم .

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب ﴾ - أي كتاب الأعمال - ﴿ وجيء بالنبين ﴾ يشهدون على أمهم والشهداء من الملائكة الحفظة والجوارح ، فيشهد الأنبياء على أمهم بأنهم بلغوهم ، وتشهد الملائكة بما سمعت ودونت في الصحف ، وتشهد الأرض بما عمل عليها ، وتشهد الجوارح بما فعلت (١) .

﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ - أي بالعدل والإنصاف وجوزي كلُّ بعمله وسبق الذين جحدوا بآيات الله ونعمه وأشركوا معه غيره إلى جهنم جماعات يدعون إليها دعاً ، كل صنف مع جنسه وكل عاص مع مثله ، فتستقبلهم الملائكة بالتوبيخ والتفريع فاعترفوا بذنوبهم ، ﴿ فَسُحِقُوا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ ﴾ (٢) ، وأخبر جلاً وعلا عن المؤمنين الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة جماعة بعد جماعة ، المقرَّبون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع مَنْ يناسبها ، الأنبياء مع الأنبياء ، والصدِّيقون مع الصدِّيقين ، والشهداء مع الشهداء ، فإذا وصلوا إليها وجدوا أبوابها

(١) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة فصلت ، ونحو هذا القول المبارك القرآني أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ، كما عزاه في الدر المنثور : ٣١٩/٧ لفظاً موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه بهذا المعنى .

(٢) سورة الملك : ١١

مغلقة ، فيشفع لهم خاتم النبيين ﷺ في دخولها فيقرع باب الجنة فيقول الخازن : من أنت ؟ فيقول : « محمد » فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك . فأول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر نوراً وبهاءً ، والذين يلونهم على ضوء أشد الكواكب . لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء ، رشحهم المسك وأزواجهم الحور فهو - صلى الله عليه وسلم - أول من يقرع باب الجنة فيفتح له ، فتجيئهم الملائكة بالبشر والسرور ، فيحصل لهم كمال الفرح والحبور : ﴿ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ قَدْ دَخَلُوا خَلِيدِينَ ﴾ (١) .

ولما دخل أهل الجنة منازلهم ودخل أهل النار منازلهم أخبر سبحانه عن الملائكة والعرش : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، فهو سبحانه غني عن خلقه وعن طاعتهم ولكن يجزي كل عامل بما عمل ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٣) .

وما قدر الله حق قدره من أشرك بالله واتبع هواه ، وما عرف الله حق المعرفة من لجأ إلى قبور الأنبياء والصالحين يطلب منهم المدد وقضاء الحوائج ، وما آمن بالله حق الإيمان من علّق آماله بغير الله من الأحياء والأموات ، وما آمن برسول الله ﷺ إيماناً صادقاً من عصى أمره وخالف نهيه ، وما صدّق بوعد الله ووعيده من جاهر الله بالمعاصي .

(١) سورة الزمر : ٧٣

(٢) سورة الزمر : ٧٥

(٣) سورة فصلت : ٤٦

فاتقوا الله عباد الله ، والجأوا إلى الله وحده في جميع أموركم ،
 واستحضروا عظمته وقدرته في جميع أحوالكم ، واطلبوا منه وحده قضاء
 حوائجكم ، فهو قاضى الحاجات وهو مجيبُ الدعوات ، وكل من سواه
 فقير إليه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله (١) .

اللهم اشرح صدورنا للإيمان ، وافتح بصائرنا لقبول الحق ، وثبتنا على
 طاعتك وطاعة رسولك ﷺ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .
 أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل
 ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



(١) إشارة إلى الآية ١٨٨ من سورة الأعراف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما دُونَ فِي كِتَابِ الْبِدْعِ دَسَائِسُ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلِتَمَّجْعَلَ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

﴿ فَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ۗ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۗ ﴾ (٢)

واعلموا - رحماني الله وإياكم - أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيخطى غيركم إليكم فخذوا حذرکم ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى (٣) ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله فإنكم على أفعالكم محاسبون وبأعمالكم مجزيون ، وعلى تفريطكم نادمون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٣) ، (٤) ، وزنوا أعمالكم

(١) سورة الكهف : ١

(٢) سورة الطلاق : ٤

(٣) سورة الشعراء : ٢٢٧

(٤) جزء من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند :

١٢٤/٤ ، والترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه ، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، انظر الجامع للترمذي برقم (٢٤٦١) في صفة القيامة ، وابن ماجه في السنن برقم (٤٢٦٠) : الزهد .

بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا تغتروا بما دُونَ في كتب البدع والتضليل
فإنها من دسائس اليهود والنصارى وأتباعهم المضلّين .
وصلُّوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩ - تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب (١)

جميع الحقوق والعقود والعهود أمانات

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَّانِ ﴾ (٢) خلق الإنسان من طين ، وفضّله بالعقل والفهم على كثير من العالمين ، واختاره لطاعته وعبادته ، ومحللاً لأمره ونهيه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٣) .

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلى الدين .

أما بعد ..

فتأملوا أيها المسلمون هذه الآية من آخر سورة الأحزاب : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ .

قال المفسرون : إن الله تعالى لما خلق الخلق عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال (٤) ، فقيل لهن : هل تحملن الأمانة ولكن الفضل والكرامة

(١) أُلقيت في ١٣٩٣/٦/٢٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه ، ابن ماجه في السنن برقم

(٤٣) ، حسن إسناده عن طريق الشواهد ، ومنها حديث أبي الدرداء برقم (٥) .

(٤) إشارة إلى الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

والثوابُ في الجنة؟ قلن : يا رب ؛ إننا لا نطبق هذا الأمر وليس بنا قوة ،
ولكنَّا لك مطيعين ولك سامعين لا نعصينك في شيء أمرتنا به ، ثم قَرَّبَ آدمُ
فقال له : أتحمِل الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال آدمُ : وما لي عندك ؟
قال : يا آدم ؛ إن أحسنتَ وأطعتَ ورعيتَ الأمانة فلك عندي الفضل والكرامة
وحسنُ الثواب في الجنة ، وإن عصيتَ ولم ترعها حق رعايتها وأسأتَ ، فإني
مُعذِّبكَ ومعاقِبكَ ومُنزِلُكَ النارَ ، قال : رضيت يا رب ، قال الله تعالى :
حَمَلْتَهَا . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ (١) .

فهذه الأمانة التي حملتها أيها الإنسان وهي التكليف فيها فضل عظيم وأجر
كبير ، ونعيم مقيم لمن وفقه الله ورعاها حق رعايتها ، وفيه خطر كبير وذل
وهوان وعذاب أليم لمن ضيَّعها ولم يؤدِّ حقها ولم يرعها حق رعايتها .

عباد الله : ما هذه الأمانة التي حُمِّلنا إياها وأدينا العهد على الوفاء بها
والإحسان فيها ؟ إنها اسم جامع لفعل المأمور شرعاً وترك المحظور شرعاً . .
إنها التكليف ، فهناك أمانة عند العبد لربه ، وأمانة عند العبد لدينه ونبيه محمد
ﷺ ، وأمانة بين العبد ونفسه ، وأمانة بين المسلم وأخيه المسلم ، وبين الزوج
وزوجه ، وبين الجار وجاره ، وبين الوالد وولده .

وقد أوضح الله تعالى في كتابه المبين وعلى لسان نبيه الكريم جميع الأمانات
التي يجب الوفاء بها بياناً شافياً ، بياناً واضحاً لا إشكال فيه ولا غموض .
فالأمانة التي لله تعالى : هي الإيمان به وبربوبيته وألوهيته ، وعبادته وحده لا
شريك له على وفق ما شرعه رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِعِبَادُونَ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٢) ، وقد أخذ

(١) سورة الأحزاب : ٧٢

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٧

الله تعالى علينا العهد والميثاق بذلك حينما خلقنا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۗ ﴾ الآية (١) .

ولا زال هذا العهد يتجدد عند المسلم في كل يوم وليلة ويتكرر في كل صلاة يصلحها : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ ﴾ (٢) ، فيجب أداء هذه الأمانة والوفاء بهذا العهد بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

حق الإسلام على المسلم أمانة ، فيجب على كل مسلم أن يتعلم أصول دينه وأن يعرف من دينه ما يقوم به عبادته ويعرفه بربه ، وأن يكون داعياً لدينه بعمله وقوله وأخلاقه .

حق الرسول ﷺ على أمته الإيمان بأنه عبد الله ورسوله ، وطاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر (٣) .

حق المسلم على المسلم ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله (٤) .
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٥) .

حق الجار على جاره ينصح له ويحفظ سره ولا يخفئه ولا يسوءه ، لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه (٦) .

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) هذا كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب « التوحيد » له . .

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٥٨٠) : البر والصلة .

(٥) هو نفس هذا الحديث : مسلم في الصحيح برقم (٢٥٨٠) ، والبخاري في شرح السنة (٣٥٤٩) .

(٦) البخاري برقم (٦٠١٦) الأدب ، باب : ٢٩ ، باب : إثم من لا يأمن جاره بوائقه ، من حديث أبي شريح رضي الله عنه .

حق النفس على الإنسان أمانة ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾ ﴾ (١) .

فالسمع والبصر والفؤاد وسائر الأعضاء والحواس في الإنسان كلها أمانة عنده ، فلا يستعملها إلا في طاعة الله ، ولا يوجهها إلا لما أحل الله ويحفظها عن الوقوع في محارم الله ﴿ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » (٣) .

الزوجة أمانة عند بعلمها ، أخذها بأمانة الله ، واستحل منها بكلمة الله ، فتجب معاشرتها بمعروف ، والقيام بحقها بإحسان ، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وتحرم مضاربتها والتضييق عليها لتفتدي بشيء مما أعطاهما ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهِ تَنْتَنًا وَإِنَّمَا هِيَ إِلَيْنَا ﴿١٥﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٦﴾ ﴾ (٤) .

الأولاد أمانة عند أبويهما يجب تعليمهم أمور دينهم وتعريفهم بخالقهم وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة ، ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (٥) .

(١) سورة الشمس : ٩ - ١٠

(٢) سورة الإسراء : ٣٦

(٣) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٢٣١/٥ ، وإسناده حسن إن شاء الله تعالى وابن ماجه برقم (٣٩٧٣) الفتن باب : ١٢

(٤) سورة النساء : ٢٠ - ٢١

(٥) البخاري : الفتح : ٤٣٢/١١ ، ومسلم في الصحيح حديث رقم (٢٦٥٨) : القدر كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

التلميذ أمانة عند المدرس يحرص على تعليمه وتفهمه والرفق به وتنمية أفكاره ، وتوسيع أفقه بالأفكار الإسلامية الطيبة ، وترغيبه في الأخلاق الفاضلة والشيم القيمة ، والعادات الحسنة ، وتحذيره من الأفكار الضالة المسمومة ، والتيارات الإلحادية المذمومة « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

والمال عند الغني وديعة يجب عليه أن يؤدي حق الله فيه لأهله : ﴿ وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣) . فيُستل الإنسان عن ماله من أين اكتسبه وفيما صرفه (٤) ، فاحرص أيها المسلم على أن يكون كسبه من طريق حلال ، وأن تكون مصارفه في مصارف الحلال .

الوظيفة أمانة عند الموظف ، يجب النصح لها والقيام بواجبها وأداء عملها الذي أسند إليه بنصح وإخلاص وجد واجتهاد ، وأن يلاطف أرباب المصالح وأهل الحاجات وأن يتواضع لهم ، فإنما جعل لمساعدتهم والقيام بأعمالهم .
الصدق في المعاملات أمانة بين المتبايعين ، فيحرم الكذب والغش والخذاع « مَنْ غَشَا فَلَيْسَ مِنَّا » (٥) ، المكيال والميزان والمقياس أمانة ، فلا

(١) البخاري : الأحكام : ١١١/١٣ ، ومسلم برقم (١٨٢٩) الأمانة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة النور : ٣٣

(٣) سورة المنافقون : ١٠

(٤) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، الترمذي : في الجائع القسامة حديث رقم (٢٤١٦) وبرقم (٢٤١٧) ، وإن هذين الإسنادين بهما يصح الحديث الأول من حديث ابن مسعود ، والثاني من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنهما .
(٥) أخرجه أبو داود (٣٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

يجوز بخس الكيل وتطفيف الميزان أو نقص المقياس ﴿ وَيَلِّ الْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ زَوَّجْتُمْ بِهِمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ (١) .

الشهادة بالحقوق أمانة تؤدى وقت طلبها بدون زيادة ولا نقصان ﴿ وَمَنْ يَخْسِرْ مُنْهَافَاتِهِ ۚ ءَاتَتْكُمْ قُلُوبُهُ ۝٢ ﴾ .

وهكذا جميع الحقوق والعقود والعهود أمانات يجب أداؤها وحفظها ورعايتها .

فاتقوا الله عباد الله ، وأدوا أماناتكم ولا تخفروا ذممكم ، ولا تخونوا عهودكم ، فإنها مسجلة عليكم في دواوينكم ، والله مطلع عليكم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (٣) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨ ﴾ (٤) .

اللهم أعنا على أداء الأمانة ، ووقفنا لرعايتها حق الرعاية .
اللهم أفض علينا من هدايتك وتوفيقك ، ومنَّ علينا بكرمك وإحسانك ، وعمنا بمغفرتك ورضوانك .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المطففين : ١ - ٣

(١) سورة البقرة : ٢٨٣

(٣) إشارة إلى الآية ١٩ من سورة غافر .

(٤) سورة الأنفال : ٢٧ - ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انتهاز الفرص

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى حق التقوى ، وتزودوا من دنياكم لأخرتكم ، وخذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن فراغكم لشغلكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومن أمنكم لخوفكم ، ومن محياكم لمماتكم ، ومن قدرتكم لعجزكم ، ومن عزكم لذلكم ، ومن فرحكم لحزنكم . فإن الأمور لا تدوم على وتيرة واحدة ، فكثيراً ما تتغير الأحوال بضدها ، وتلك الأيام نداولها بين الناس (٢) واسألوا الله العون والهداية والتوفيق والسداد ، فكل الأمور بيده وليس بيد العبد إلا فعل الأسباب . فأكثرُوا من دعائه واستغفاره والالتجاء إليه ، وتقربوا إلى الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ . وصلوا على البشير النذير .

* * *

(١) سورة القصص : ٧٠

(٢) إشارة إلى الآية ١٤٠ من سورة آل عمران .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠ - تفسير الآية (١١) من سورة الحجرات (١)

التحذير من السخرية واللمز والتنازير

(الخطبة الأولى)

﴿ الْمَسْئُودُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، تفرّد بالعظمة والكبرياء ، وله العزة والمجد والثناء (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴾
﴿ جَعَلَ نَفْسَهُ مِنْ مَسَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ (٤) ، ﴿ أَوْلَقَرَّرَ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٥) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد ..

فإن من شأن القرآن الكريم أن يُكُونُ أمة مسلمة ذات خُلُقٍ رفيع ، وأن

(١) ألقى يوم ١٤٠٧/٦/٢٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ في هذا المعنى ، أخرجه أحمد في المسند : ٤/٤ وهو
من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

(٤) سورة السجدة : ٧ - ٨

(٥) سورة يس : ٧٧

ينشئ مجتمعاً إسلامياً له أخلاق سامية وآدابٌ عالية ، إنه يربي الشخصية المسلمة على المثل العليا والإحساس المرفه بمشاعر الآخرين ، إنه يصفي القلوب ، وينظف المشاعر ، ويصون اللسان ، ويحترم الحقوق . فالقرآن معلّم ومربي ومؤدّب ، استمعوا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴿ (١)

السخرية هي احتقار الناس والاستهزاء بهم ، وهي دليل الكبر كما قال صلى الله عليه وسلم : « الكبر بطر الحق وغمط الناس » ، واللمز هو القول بما يسوء الملموز ، أي لا تحقروا الناس ولا تزيدوا عليهم ولا يطعن بعضكم على بعض ، والنبز : ذكر اسم يسوء صاحبه ، وهي صفة مذمومة وخروج عن الشرع تخالف صفات المؤمنين .

إن القيم الظاهرة التي يراها بعض الناس في أنفسهم أو في أصدقائهم ليست هي الموازين الحقيقية التي يُعرف بها قدرُ الإنسان ومكانته عند الله ، فهناك قيم أخرى قد تكون خافيةً عليهم يعلمها الله وهي الموازين الحقيقية التي يجب أن يوزن بها العباد ، وأن يكون تقديرهم واحترامهم على موجبها ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٣) . « لا فضل لعربي على عجمي إلا

(١) سورة الحجرات : ١١

(٢) سورة الحجرات : ١٣

(٣) سورة سبأ : ٣٧

بالتقوى « (١) . « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) . ذكر القرطبي رحمه الله عند تفسير ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ الآية ما ملخصه : روي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً كان في أذنيه قرء ، وكان يجلس إلى جنب النبي ﷺ إذا جلس ليستمع ما يقول ، فتأخر يوماً فلما جاء وجد الناس قد أخذوا مجالسهم ، فجعل يتخطاهم ويقول : تفسحوا ، حتى لم يبق بينه وبين الرسول ﷺ إلا رجل ، فقال : تفسح ، فقال الرجل : وجدت مجلساً فاجلس ، فغضب وقال : من هذا ؟ فقالوا : فلان ، فقال : ابن فلانة ؟ يعيره بأمه فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ (٣) الآية .

وروي أنها نزلت في أناس استهزؤوا بفقراء الصحابة مثل عمارٍ وخباب وابن فهيرة وبلال وسلمان وسالم مولي أبي حذيفة وغيرهم لما رأوا من رثالة حالهم .

(١) إشارة إلى ما عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥٨٠/٧ من حديث مرسل عن سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ ، ومرفوعاً عن جابر رضي الله عنه ، أخرجه البيهقي ، وقد عزاه السيوطي أيضاً : ٥٧٩/٧

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : البر والصلة برقم (خاص ٣٣) ، و(عام ٢٥٦٤) : ١٩٨٦/٤ - ١٩٨٧ ، وأحمد في المسند : ٢٨٥/٢

(٣) نعم .. ذكر ذلك القرطبي في تفسيره : ٣٢٤/١٦ ، بدون عزو إلى أحد المخرجين ، وهكذا ذكره الإمام علي بن أحمد الواحدي (المتوفى سنة ٤٦٨ هـ) في « أسباب النزول » ص ٢٦٣ ، ولم يعزه إلى أحد ولم يسق له إسناد البتة ، ومع أنه مسند في جميع ما يورده من أسباب النزول ، وهكذا جزم الإمام ابن الجوزي في زاد المسير : ٤٦٥/٧ ، جازماً على أن الآية نزلت في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ، ولم أقف عليه مسنداً . والله أعلم بصحته

وقد اشتملت الآية على جانب من جوانب التربية الاجتماعية ، وحذرت من ثلاث صفات ، هي من رواسب الجاهلية ، وهي : السخرية ، واللمز ، والنبز . والإسلام يحث على تأليف القلوب ويحذر من الخلاف .

فأما السخرية : فهي الاستهزاء بالمسلم واحتقاره وتنقيص قيمته عند الناس دون ذكر المعائب . ويكون ذلك إما بنظرة تدل على الازدراء والاحتقار ، أو بكلام يُنبئ عن الاستهزاء ، كأن يُذكر شخص في مجلس أو عند السلطان ، فيقول أحد الحضور : فلان ليس بشيء ، ولا يستحق الذكر ، ونحو ذلك من العبارات التي يُقصد منها صرف الأنظار عن ذلك الرجل والتقليل من قيمته حقداً وحسداً . وقد يكون ذلك المستهزأ منه أكرم عند الله وأقوى على العمل وأخلص من المستهزيء .

وأما اللمز : فهو العيب ، وهو الغيبة ، وبمعناه الهمز ، وهو ذكر عيوب المسلم : ﴿ **وَلَا يَلْمِزْكَ أَهْلُهَا** ﴾ (٢) . قال ابن عباس : طعان معييب . وسواء أكان ذلك في حضرة الملموز أو في غيبته ، وسواء أكان العيب موجوداً فيه حقيقة أو غير موجود (٣) .

روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل : أ رأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (٤) .

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور : ٥٦٣/٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل ابن سليمان .

(٢) سورة الهمزة : ١

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦٢٤/٨ إلى ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٤) مسلم في الصحيح : البر والصلة ، حديث رقم (خاص ٧٠) و(عام ٢٥٨٩) ، وهو من حديث أبي هريرة .

وروى الطبراني بسندٍ جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ لِيَعِيْبِهِ بِهِ حَبْسَهُ اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَادٍ مَا قَالَ فِيهِ » ، أي حتى يخرج مما قال ، ولا يستطيع الخروج (١) .

وأما التَّبْزُ : فهو ذكر المسلم بلقب سوء ، سواء أكان معنى اللقب موجوداً فيه أو غير موجود . قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : إن صفة امرأة ... (وأشارت بيدها ، يعني أنها قصيرة) ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَزَجْتَ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجْتَهُ » (رواه أبو داود والترمذي) (٢) .

ومن التَّبْزِ المحرّم المعدود من الكبائر : قول المسلم لأخيه المسلم : يا فاسق ، يا كافر ، يا يهودي ، يا نصراني . ففي الصحيح : « مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ » (٣) .

ويحرم على المسلم أن يُعَيِّرَ أخاه المسلم بذنب تاب منه ، ففي الأثر : « مَنْ عَيَّرَ مُؤْمِناً بِذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يَتَّبِلِيَهُ بِهِ وَيُفْضِحَهُ فِيهِ فِي

(١) أورده الهيثمي في المجمع : ٩٤/٨ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه مقدم بن داود وهو ضعيف .

قلت : أورده الذهبي في الميزان ، رقم الترجمة (٨٧٤٥) ، ثم قال عن النسائي أنه قال : ليس بثقة ، قلت : رواية مسلم فيها كفاية وزيادة . والله أعلم .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ١٨٩/٦ من حديث عائشة رضي الله عنها ، والترمذي في جامعه برقم (٢٥٠١) ، كتاب « صفة القيامة » ، ثم قال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود : برقم (٤٨٧٥) .

(٣) البخاري : برقم (٦١٠٣) : الأدب ، باب (٧٣) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم : الإيمان (١١١) .

الدنيا والآخرة» (١) ، وإن الأكل من جيفة حمار أهون من تعبير المسلم بذنب تاب منه . روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في شأن الأسلمي الذي شهد على نفسه بالزنا أربع مرات فرجم ، فقال رجلان أحدهما للآخر : انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسمعهما رسول الله ﷺ ، فلما مرّ بجيفة حمار سائل برجليه من التتن والعفن قال : « أين فلانٌ وفلانٌ » ، فقالا : نحن يا رسول الله ، فقال : « كُلا من جيفة هذا الحمار » ، فقالا : ومَن يأكل من هذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ما نلتما من عرض هذا الرجل آتفاً أشدّ من أكل هذه الجيفة ، فوالذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة » (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله (٣) ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه (٤) ، فلا يجوز لأحد أن يستهزأ بأحد إذا رآه رث الحال ، أو ذا عاهة في بدنه ، أو مبتلي في دينه ، فلا يسخر الغني من الفقير ولا القوي من الضعيف ولا السوي من المعيب ولا الجميل من القبيح ولا الشاب من العجوز، فلعله يكون

(١) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه . أخرجه الترمذي : برقم (٢٥١٧) في صفة القيامة ، وقال : حسن غريب ، وله شاهد عند الترمذي (٢٥٠٨) من حديث وائلة بن الأسقع رضي الله عنه .

(٢) ابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (١٥١٣) ص ٣٦٣ ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ ، ثم قال في نهاية الحديث : قلت لأبي هريرة في الصحيح بغير هذا السياق .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح برقم (٢٥٨٠) : البر والصلة .

(٤) هو نفس هذا الحديث الذي مضى الآن ، وقد أخرجه البغوي في شرح السنة :

١٣- / ١٣ برقم (٣٥٤٩) .

أخلص قلباً وأنقى ضميراً وأطهر سلوكاً ، فيظلم نفسه بتحقيق من وقره الله والاستهزاء بمن عظمه الله . كما لا يجوز للضعيف أن يتناول على القوي إذا رأى صبره وحلمه ، ولا يجوز للفقير أن يمد لسانه على الغني إذا لم يعطه فيتهمه بالكبر والشُّح . وإنه من العجب أن يسب الإنسان نفسه وزوجته وأهل بيته ، فإذا هو يقول لابنه : يا بن الفاعل أو يابن المفعول فيه ويابن المفاعل ، أو يا فاعل في أمه ، أو في أخته أو يا فاعل في دينه ، ونحو ذلك من ألفاظ البذاءة والفحش وألقاب السوء والفجور .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وتفهموا كتاب الله يهدكم للتي هي أقوم .
اللَّهُم بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطر الوشاية

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

اللَّهُم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن

اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الوشاية من أخطر الأمراض الاجتماعية ومن أقبح الخصال ، وهي السعي بين الناس بالفساد لإثارة الضغائن وتحريك الأحقاد ، فيأتي الواشي إلى هذا ويظهر أمامه بأنه صديق حميم فيأخذ ما عنده ، ثم يذهب إلى الآخر فيقول : قال فيك فلان كذا وكذا ويأخذ ما عنده ، ثم يذهب إلى الأول ، وهكذا حتى يثير غضب الناس على بعض . . هذه هي الحالقة التي تحلق الدين .

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ : « خيار

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) مسلم في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) من حديث عائشة

رضي الله عنها .

عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله ، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء الغش « (١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : مرَّ النبي ﷺ في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد ، قال : فكان الناس يمشون خلفه ، قال : فلما سمع صوت النعال وقر ذلك في نفسه فجلس حتى قدّمهم أمامه خشية أن يجد في نفسه شيئاً ، فلما مر ببيقع الغرقد إذا بقبرين قد دفنوا فيهما رجلين قال : فوقف النبي ﷺ ، فقال : « مَنْ دفنتم اليوم ههنا ؟ قالوا : فلان وفلان ، قالوا : يا نبي الله وما ذاك ؟ قال : « أما أحدهما فكان لا يتنزّه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ، وأخذ جريدة رطبة فشققها ثم جعلها على القبر ، قالوا : يا رسول الله ؛ لِمَ فعلت هذا ؟ قال : « ليخفف عنهما » ، قالوا : يا رسول الله حتى متى هما يعذبان ؟ قال : « غيب لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ » . (عزاه المنذري إلى الإمام أحمد) (٢) .

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين ، فقام ، فقمنا معه ، فجعل لونه يتغير حتى رعد كُمُّ قميصه ، فقلنا : ما لك يا رسول الله ؟ فقال : « أما تسمعون ما أسمع » ؟ قلنا : وما ذاك يا نبي الله ؟ قال : « هذان رجلان يُعذبان في

(١) الإمام أحمد في المسند : ٢٢٧/٤ من حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري رضي الله عنه .

(٢) ونحو هذا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . البخاري برقم (١٣٦١) : الجناز : ٢٢٢/٣ - ٢٢٣ . الفتح ، وأما رواية أبي أمامة رضي الله عنه ، فقد أخرجها الإمام أحمد في المسند : ٢٦٦/٥ بهذا اللفظ والسياق الذي أورده فضيلة الخطيب رعاه الله تعالى ، وإسناده فيه علي بن زيد ، وفي المطبوعة يزيد وهو خطأ مطبعي محض . والله أعلم ، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف من ناحية الحفظ وأنه يكتب حديثه .

قبورهما عذاباً شديداً من ذنب هين ، قلنا : فِيمَ ذاك ؟ قال : « كان أحدهما لا يستتره من البول ، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة » ، فدعا بجريدتين من جرائد النخل ، فجعل على كل قبر واحدة ، قلنا : وهل ينفعهم ذلك ؟ قال : « لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين » (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . إن بعض الناس يُحلى مجلسه بالوقوع في أعراض الناس ، وبعض الناس يتقرب بالغيبة والنميمة والوقوع في أعراض المسلمين .

راقبوا ربكم : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) ابن حبان في صحيحه ، كما في الموارد برقم (٧٨٤) ص ١٩٩ ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) سورة البقرة : ٢٨١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١ - تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات (١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، لك الحمد ربنا على جزيل عطائك ،
ولك الحمد على قدسية ذاتك وعظمة جلالك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فهو الذي خلق وفرق ، وهو
الذي لطف ورزق ، وهو الذي بيده النفع والضر ، وهو الذي يحيي ويميت ،
منه المبتدي وإليه المنتهي (٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين (٤) ،
بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً (٥) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ
عَلَى مِلَّتِهِ وَحَمَلَةِ لُؤَاءِ دَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(١) أُلقيت يوم ٢٨ / ١٠ / ١٤٠٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) هذه المعاني كلها قد وردت في الكتاب والسنة مجتمعة ومترفة في مواضع عديدة
اختار منها قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا
يَضُرُّهُمْ ، وَكَانَ الْكَافِرَ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ (الآية : ٥٥) .

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .

(٥) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

أما بعد ..

فإذا تأملنا القرآن الكريم وجدناه يُركز على قاعدة أساسية هي الهدف لكل رسالة سماوية ، وهي الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة ، من قام بها وأداها على وجهها فقد حقق غاية وجوده ، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وصار عاطلاً بلا وظيفة .

إنها العبودية الخالصة لله . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٨) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٦٠﴾ (١) . فالخالق تعالى خلق الثقلين لامثال أمره واجتناب نهيهِ ، لا لحاجته إليهم ، والعبادة اسم لما يحبه الله من الأقوال والأفعال ، فمن أطاعه جازاه وأحسن الجزاء ، ومن عصاه عاقبه بأشد العقاب .

فهذه هي وظيفة الإنسان التي من أجلها خلق ومن أجلها وجد في هذه الدنيا ، فيجب أن تكون حياة الإنسان وتصوره مبنية على هذه الوظيفة متجهة إليها ، فإن كل الرسائل السماوية جاءت لتحقيق هذه الوظيفة للإنسان . فجميع الرسل عليهم السلام في أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ كان أساس دعوتهم تذكير أممهم بهذه الوظيفة وتحقيق العبودية لله .

فهذا نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي لَكُم بِنَذِيرٍ مُبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٢﴾ ، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ ﴿٣﴾ وَإِلَىٰ عَادِ إِخْوَانِهِمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ ﴿٤﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥﴾

(١) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(٢) سورة نوح : ٢ - ٣

(٣) سورة الأعراف : ٥٩

(٤) سورة الأعراف : ٦٥

﴿ وَإِلَىٰ شُجُودِهِمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (١) . ﴿ وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ نَكْمٌ بَيْنَنَا مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِذْ هَبْنَا شُرُوءَهُمْ لِقَوْمِهِمْ فَعَبَدُوا اللَّهَ وَاتَّقَوْهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سِرًّا بَلِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ النَّارُ ، وَمَا مِن نَّاصِرٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾ ﴾ (٦) .
والقرآن لم يحدد نوع العبادة ، ولم يحصرها .

فهي شاملة لكل ما يدخل تحت مسمى العبادة من الأقوال والأفعال والاعتقاد ، فكلها حق لله وحرام صرف شيء منها لغير الله ، حياً كان أو ميتاً ، ولا تتحقق العبودية لله إلا بأمرين متلازمين ، الأول : الإيمان بأن هناك عبد ورب ، وأنه ليس في الوجود إلا رب واحد ، وما سواه عبيد له ، وأن الرب موصوف بصفات الكمال كما وصف نفسه ووصفه رسوله ﷺ ، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات . بسم الله

(١) سورة الأعراف : ٧٣

(٢) سورة الأعراف : ٨٥

(٣) سورة العنكبوت : ١٦

(٤) سورة المائدة : ٧٢

(٥) سورة النحل : ٣٦

(٦) سورة الأنبياء : ٢٥

الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ (١) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٢٠ ﴾ (٢) .

والثاني : التوجه إلى الله في حركة الجوارح وحركة الفؤاد ، والتجرد من كل تصور آخر ومن كل أمر يخالف متقضى العبودية .

وهذا هو توحيد القصد والطلب ، وهو توحيد الألوهية . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ (٣) .

فبتحقق توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية يتحقق معنى العبادة . ومن واجبات العبادة أن تكون قيمة الأعمال مستمدة من بواعثها لا من نتائجها . فالإنسان مكلف بأداء العبادة وليس مكلفاً بنتائجها ، وإنما النتائج راجعة إلى قدر الله ومشيبته .

ومقتضى العبودية لله نبذ الأنداد والأضداد والبراءة من كل عبودية لغير الله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٦ ﴾ (٤) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وقومه ۖ ﴾
﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝٧ ﴾ (٥) .

(١) سورة الإخلاص كاملة .

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) سورة الكافرون كاملة .

(٤) سورة البقرة : ٢٥٦

(٥) سورة الزخرف : ٢٦ - ٢٧

والأنداد قد لا تكون آلهة تُعبد من دون الله على النحو الذي كان في الجاهلية الأولى ، بل قد تكون أمور في نفس الإنسان خفية ، قد تكون في تعلق الرجاء بغير الله ، وقد تكون في الخوف من غائب أو من ميت تحت الثرى ، وقد تكون في اعتقاد أن أحداً من الخلق يملك التصرف في هذا الكون أو شيء منه ، وقد تكون في مضاهاة الله في عظمته وكبريائه وربوبيته ، وقد تكون في الطاعة والانقياد ، كما قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) .

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : لسنا نعبدهم - أو قال : إنهم لم يعبدوهم - فقال رسول الله ﷺ : « بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم » ، فصارت طاعتهم في المعصية عبادة ، وبها اتخذوهم أرباباً (٢) ، فمن أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد اتخذ رباً وعبده من دون الله (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

هناك أنواع من العبادة تُصرف لغير الله في كثير من البلاد الإسلامية ولا مغير لها ولا منكر .

من ذلك : الركوع ، وهو ركن من أركان الصلاة مثل السجود ، فبعض

(١) سورة التوبة : ٣١

(٢) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٨٥/٣ إلى الإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في جامعه ، وابن جرير الطبري في تفسيره وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، البخاري في الأحكام ، باب : السمع والطاعة للإمام : ١٣/١٠٩ الفتح ، ومسلم في الإمارة حديث رقم (١٨٣٩) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة البقرة : ٢١

الناس إذا قابل أحداً يحترمه أو له فضل عليه ركع له ركوعاً جزئياً أو كلياً ، كما هو المشاهد من بعض الخدم ومن بعض الممثلين إذا خرج على الجمهور ، وقد يكون القصد التحية لكنها عبادة لله لا تصرف لغير الله ولا يُحى بها .

ومن ذلك الطواف ، فهو عبادة لله وقربة يُطاف حول الكعبة المشرفة ، ومن شعائر الإسلام فلا يجوز أن يطوف أحد بضريح أو تمثال أو نصب .

ومن ذلك طلب النجاح ، أو طلب الهداية للأولاد ، أو طلب الولد ، أو طلب المدد والغوث ، أو طلب تفريج لهم والغم والكرب ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، أو طلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله . لا يجوز طلبها من أحد غير الله ، كائناً من كان لأنها دعاء والدعاء مخ العبادة (١) ، وحرام صرف العبادة لغير الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تناصحوا فيما بينكم ، وتعاونوا على البر والتقوى (٢) ، ولا تأخذنكم المجاملات إلى عدم المبالاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٣)

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، الترمذي في جامعه كتاب « الدعاء » برقم (٣٣٧١) ، وفي إسناده ضعف ، وله شاهد قوي ، أخرجه الترمذي في التفسير حديث رقم (٢٩٦٩) ، وهو من حديث النعمان من بشير رضي الله عنه بلفظ : « الدعاء هو العبادة » ، وإسناده صحيح ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) إشارة إلى الآية ٢ من سورة المائدة .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ - ٧٩

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ وَعَلَى ذِكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ (١) ، وَأَلْهِمْنَا رِشْدَنَا ،
وَقْنَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .

اللَّهُمَّ رُدِّ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْكَ رِذَا جَمِيلاً ، وَاهْدِهِمْ سَبِيلَ السَّلَامِ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .



(١) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ، أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٩/٥ من حديث معاذ
ابن جبل رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، وعزاه السيوطي في الدر : ٣٦٩/١ إلى
أحمد ، وأبو داود والنسائي من معاذ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرد على من زعم أن للأولياء تصرفاً بعد الممات

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، تفرد بتصريف هذا الكون في أولاه
وأخراه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ليس له شبيه ولا نظير
ولا ند له ولا وزير ، لا يشغله شأن عن شأن ولا كبيرٌ عن صغير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة ليلها
كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد ..

فقد ذكر عالم من علماء الأحناف رحمه الله في كتاب له نفيس ، دافع فيه
عن الإيمان والتوحيد ، سماه : « الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في
المستد : ١٢٦/٤ ، وابن ماجه في السنن برقم (١٤٣) المقدمة ، وله شاهد من حديث
أبي الدرداء رضي الله عنه ، ابن ماجه في مقدمة السنن برقم (٢٥) ، وإسنادهما حسن .

الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامات ، ، وما قال فيه : قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهممهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء ، وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس ، وعليه المدد بلا التباس (١) ، وجوزوا لهم الذبائح والنذور ، وأثبتوا لهم فيها الأجور .

قال : وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدى ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة ، وفي التنزيل : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ (٢) .

ثم أخذ رحمه الله برد تلك المقالة فقرة فقرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يتسع لذكره المقام ، فيرجى ممن أحب أن يطمئن أن يراجع ذلك الكتاب وأمثاله من كتب أهل السنة والجماعة ليعرف الأمر على حقيقته ، وليكشف تلبس إبليس وجنوده .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

(١) إشارة إلى ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة محمد بن علي ابن جعفر أبي بكر الكتاني : ٧٥/٣ ، وردى عليه في التصوف : ٥٢٥/١

(٢) سورة النساء : ١١٥

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ مَضَلَاتِ الْأَهْوَاءِ وَمِنْ زَيِّغِ الْأَرْوَاحِ ، وَمِنْ سُوءِ
الْاِقْتِدَاءِ .

إخوتي في الله : لقد أمرنا الله بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ - تفسير الآية (٢٠) من سورة الحديد (١)

﴿ اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْمَسْجُودِ رَبِّ الْمُسْلِمِينَ ٥ ﴾ (٢) ، له ملك السموات والأرض يحيي

ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الأول والآخر ، والظاهر

والباطن ، وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده وسوله ، بلغ رسالة ربه ونصح لأُمَّته

وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ .

أما بعد ..

فحين تقاس الدنيا بمقاييسها وتوزن بموازينها تظهر في الحس وتبدو في العين

أمراً عظيماً ضخماً هائلاً ، ولكنها حين تقاس بمقاييس الشريعة وتوزن بموازين

الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً حقيراً ، وها هو الذي خلق الدنيا وخلق الآخرة

يضع الدنيا في كفه والآخرة في الكفة الثانية ويخبرنا عن نتيجة الوزن ورقم

الميزان .

(١) أُلقيت يوم ١٦/٧/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

قال تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَةٌ الْفُرُورِ ﴿١٥﴾ ﴿ (١) .

وصف حقيقي واقعي لهذه الحياة ، فكل ما يستفيده أهل الدنيا والمجتهدون لطلبها خمس خصال : لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر ، وتكاثر . فالعجب : فَعَلُ الصَّيَّانِ الَّذِينَ يُتَعَبُونَ أَنفُسَهُمْ ثُمَّ تَنْقِضِي تِلْكَ الْمَتَاعِبَ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ .

واللهو : فعل الشبان ، والغالب أن عاقبته الخسران والحسرة ، وذلك أنه تمضي أجزاء من الحياة وكميات من المال في سبيل لذة انتهت وانقضت فتحس النفس بفقد المال وذهاب الزمان ، ولا رصيد فتكون الحسرة والندم .

وقال ابن كثير (٣١٣/٤) : هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكهل ، ثم تكون عجوزاً شمطاء ، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف بهي المنظر ، ثم يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وتفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيكون شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة .

والمراد من الزينة ، إما لتحسين القبيح ، أو لتكميل الناقص ، أو لتقوية النفس وإعجاب الآخرين ، فإذا كان عاقبة البناء الخراب ومآل الإنسان الفناء ، فلا تنفع الوسائل والاشتغال بها عن المآل ، وأمّا التفاخر فإمّا بالنسب كما يفعله أهل العصبية الجاهلية ، وإمّا بالقدرة والقوة والعساكر كما تفعله الدول الغالية المستعمرة ، وكلها أعراض زائلة ، وزينة المؤمن إيمان بربه وعمل صالح وبر وإحسان وخلق كريم .

وأما « التكاثر في الأموال والأولاد » فكما قال ابن عباس (٢) رضي الله

(١) سورة الحديد : ٢٠

(٢) الرازي : ٢٣٣/٢٩

عنهما : يجمع المال في سخط الله ، ويتباهى به على أولياء الله ، ويصرفه في سخط الله ، فهو ظلمات بعضها فوق بعض .

فإذا كانت حقيقة الدنيا لا تخرج عن هذه الصفات الخمس ، فيجب على العاقل أن لا تشغله الدنيا عن الآخرة وأن يعطي الدنيا على أنها متاع ، وأن يعمل للآخرة على أنها جزاء وقرار ، وأن المجتهد في عمارة الآخرة ويجعل الدنيا وسيلة لا غاية ، وطريقاً لا منتهى ، وعوناً لا هدفاً ، فالغاية في الآخرة والمنتهي إلى المولى . والهدف النجاة ﴿ فَمَنْ رُحِنِ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١) . وقال علي رضي الله عنه لعمار (٢) : لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء : مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم ، ومركوب ، ومنكوح . فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذباب ، وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسيج دودة ، وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة ، وأفضل مركوبها الفرس وعليها تقتل الرجال ، وأما المنكوح فالنساء وهو معلوم .

والمثل المحسوس لهذه الدنيا قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ (٣) مثل رائع للدنيا كمثل نبات الأرض ، فكما أن الزرع يُعجب الفلاحين الذين يُغطون الحب بالتراب ويعملون لإصلاحه ويحرصون على تنميته ، ينبت ويزهو ثم يصفى ويحف ويكون هشياً تذروه الرياح ، فكذلك الدنيا تُعجب الكافرين بالله وبرسالته يركنون إليها ويعملون من أجلها وحدها ، ويجعلونها غاية ومنتهى وهدفاً ، فلا يرون سعادة سوى سعادة الدنيا ، ثم يزولون عنها أو تزول عنهم ،

(١) سورة آل عمران : ١٨٥

(٢) القرطبي : ٢٥٥/١٧

(٣) سورة الحديد : ٢٠

وشريط الحياة كلُّها ينتهي بهذه الصورة المشاهدة للنبات ، ينتهي إلى اللذة الزائلة ، فإذا أراد الإنسان أن يعرف نفسه فلينظر إلى النبات ينبت من البذر فتراه يظهر ضعيفاً رقيقاً ، ثم يقوي ويشتد حتى يتكامل فيعود إلى النقص والذبول والضعف حتى يجف وييبس وتتقطع أجزاؤه فتدروه الرياح . هكذا الإنسان ينبت من بذرة في حرثه ، ينمو كما تنمو بصيالات النبات ، ثم يخرج ضعيفاً ثم يقوى شيئاً فشيئاً حتى يشتد ، ثم يأخذ في النقص والضعف ، هذا إذا طالت به الحياة والمآل إلى الموت ، ثم يكون حطاماً ورفاتاً ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْوَعْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا ﴾ (١) يعود كالطفل ضعيف القوى ، ضعيف الحواس ، ضعيف الإحساس ، ضعيف المقاومة ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم القدير ﴾ (٢) .

هذا شأن الدنيا وحقيقتها ، أما الآخرة فشأنها عظيم تستحق أن يحسب لها ألف حساب ، وأن يُنظر إليها نظرات جد وعمل ، وأن يُستعد لها ، فهي باقية أبداً لا تزول ولا تفتنى وليس لها منتهى ، إما عقاب دائم ، وإما ثواب ونعيم مقيم .

وفي الآخرة عذاب شديد لمن كفر بالله ورسالاته ، وألهمته دنياه عن آخرته ، واتخذ الدنيا غاية وهدفاً ونسى آخرته ومآله .

وقوله : ﴿ ومغفرةً من الله ورضوان ﴾ لمن آمن بالله وعرف حقيقة الدنيا وجعلها وسيلة ومتاعاً وعوناً على رحلة الحياة ومتاعاً إلى منتهاه .

وقوله : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ يغتر بها من ركن إليها وجعل حبه لها وبغضه من أجلها ، ويوالي للدنيا ويعادي للدنيا ، واشتغل بها

(١) سورة الحج : ٥

(٢) سورة الروم : ٥٤

عن طلب الآخرة . قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : الدنيا متاع الغرور إذا ألهتكَ عن طلب الآخرة ، أما إذا دعوتكَ إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم الوسيلة .

روى البخاري رحمه الله بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي (١) ، فقال : « كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرٌ سبيل » . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : « إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » . قال ابن رجب رحمه الله : هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا ، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً ، فيطمئن فيها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يُعيبه جهازه للرحيل . قال مؤمن آل فرعون : ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (٢) . وكان النبي ﷺ يقول : « ما لي وللدنيا ، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكبٍ قال في ظل شجرة ثم راح وتركها » .

اتقوا الله أيها المؤمنون ، إن الإسلام حين يقلل من شأن الدنيا ويحقر أمرها ، لا يقصد بذلك أن يُحرّم المسلم على نفسه ما أحلّ الله من الطيبات ، ولا أن يترك ما علّمه الله من الصناعات ، ولا أن يكون في مؤخرة الركب مغلوباً على أمره ، ولا أن يترك الدنيا لأعداء الله يعيشون فيها كيف شاءوا ويستعبدون بها خلق الله .

(١) أخرجه البخاري : الرقاق ، باب : قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب » (٦٤١٦) ، والبيهقي : ٣/٣٦٩ ، وابن المبارك في الزهد : ١٣ / ، والقضاعي في مسند الشهاب (٦٤٤) ، وابن حبان في صحيحه (٦٩٨) .

(٢) سورة غافر ، آية : ٣٩

إنما يقصد تصحيح المفاهيم وتقويم المقاييس والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وعلى جاذبيته للنفوس .

الإسلام يريد أن يكون له الأمر والنهي لإقامة العدل ورفع الظلم وحفظ الحقوق وصيانة الكرامات ، فمن استعمل هذه الدنيا في طاعة الله ، في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، والبر والإحسان إلى المحتاجين ، فالدنيا له منة ونعمة .

أما من صرفها في طاعة الشيطان وفي معاصي الرحمن واستبعاد خلق المنان وقهر المساكين والاستيلاء بها على المستضعفين وإيذاء المؤمنين ، فهي له عار ونار ونقمة ومذمة . فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللَّهُم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا تُسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا .

اللَّهُم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

اللَّهُم ارحم في الدنيا غربتنا ، وارحم في القبور وحشتنا ، وارحم موقفنا بين يديك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤمن في الدنيا كالمسافر

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، واعلموا أن الدنيا ليست بدار قرار ، إنما كتب

الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن منها ، فكم من عامرٍ مُتَّقِنٍ عن قليل

يَخْرُبُ ، وكم من مقيمٍ معتبطٍ عما قليل يظعن .

فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا

فإن خير الزاد التقوى .

وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطناً ، فينبغي أن تكون حاله فيها

على أحد حالين ، إما أن يكون كأنه غريبٌ مقيمٌ في دار غربة ، همّة التزود

للرجوع إلى وطنه ، أو يكون كأنه مسافراً غير مقيم يسير ليله ونهاره إلى بلد إقامته .

فاحذروا التنافس في الدنيا والركون إليها ، فإنها حلوة خضرة ، فما أضحكت ساعة إلا وأبكت أياماً ، خذوا متاعكم منها على حذر فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣ - تفسير الآية (٢٥) من سورة الحديد (١)

العـدـل

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين (٥) وبشرى للمتقين (٦) ، وهدى ورحمةً للمحسنين (٧) .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديهِ واتبعوا النور الذي أنزل معه (٨) ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١) ألقى يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٢٥ من سورة الحديد .

(٤) سورة الرحمن : ٧

(٥) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

(٦) هذا متنوع من قوله تعالى في الآية ٢ من سورة البقرة .

(٧) إشارة إلى الآية ٣ من سورة لقمان .

(٨) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، اتقوا ربكم فإنه يراكم ويعلم سركم وجهركم ، ويعلم ما تكتُمون (١) .

أيها الإخوة في الله : ورد ذكر الميزان مقروناً بذكر الكتاب في أكثر من

موضع من كتاب الله . كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ (٣) ، لما ورد ذكر الحديد مقروناً بذكر الكتاب والميزان في سورة الحديد (٤) .

وذلك لأن مدار التكليف على أمرين ، أحدهما : فعل ما ينبغي فعله من الأقوال والأفعال والاعتقاد .

والثاني : ترك ما ينبغي تركه من الأقوال والأفعال والاعتقاد .

ولا يُعرف هذان الأمران إلا بالكتاب الذي أنزله الله . ولا تُعرف مطابقة الأعمال للكتاب إلا بالميزان والمقارنة ، فليس كل الناس يعمل بالكتاب ، وليس كلهم يرضى بالحق والعدل ، فلا بد إذاً من قوة تحمل الناس على فعل المأمور ، وتردعهم عن الاقتراب من الممنوع ، لا بد من سلطان يردع المتمرد على الكتاب ويرد الشارد عن العدل ، ويوقظ الغافل والنائم وينشط الكسلان ، فإصلاح البشر يرتكز على هذه الثلاثة : الكتاب ، والميزان ، والقوة .. والقوة في الحديد .

(١) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ٣ من سورة الأنعام .

(٢) سورة الشورى : ١٧

(٣) سورة الحديد : ٢٥

(٤) هو نفس هذه الآية - الآية ٢٥ من سورة الحديد .

ويتضح ذلك جلياً من سيرة النبي ﷺ ، فقد مكث ثلاثة عشر عاماً في مكة تنزل عليه الآيات والدلائل على صدق نبوته ووجوب اتباعه ، فلم يستجب له إلا القليل ، فلما هاجر إلى المدينة ونشطت الدعوة ووجدت مأمناً تتابع التشريع بالعدل والحق .

فلما فتحت مكة وقويت شوكة الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا (١) ، وهكذا دعوة كل الرسل من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم نبينا محمداً ﷺ تركز على الكتاب والميزان والقوة .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « البيّنات المعجزات والحجج الباهرات ، والكتاب هو النقل الصدق ، والميزان هو العدل » ، كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، « وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة .

والقسط : هو العدل ، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به ، فإن الذي جاءوا به هو الحق ليس وراءه حق ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (٣) ، أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر ، والحديد : رادع لمن أبى الحق وعاند بعد قيام الحجّة عليه .

وقال في التفسير الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزل آدم ومعه

(١) إشارة إلى الآية ٣ من سورة النصر .

(٢) سورة الحديد : ٢٥

(٣) سورة الأنعام : ١٢٥

خمسة أشياء من الحديد : السندان ، والكلبتان ، والمقمعة ، والمطرقة ، والإبرة (١) ، وذلك أن مصالح الناس إما أصول وإما فروع ، فالأصول أربعة : الزراعة ، والحياكة ، وبناء البيوت ، والسلطنة . وذلك لأن الإنسان محتاج إلى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يكنه وسلطان يقيم العدل ويمنع الظلم .

والإنسان مدني بالطبع ، فلا تتم مصلحته إلا عند اجتماع عدد من أبناء جنسه يشتغل كل واحد منهم بعمل خاص ، فينتظم من الكل مصالح الكل ، وذلك الانتظام يفضي إلى المزاومة ، ولا بد من حكم يدفع ضرر البعض عن البعض ، وذلك هو السلطان ، فمصالح البشر تركز على هذه الأربعة وكلها تحتاج إلى الحديد (٢) .

وآية الحديد وأمثالها ، كآلية التي في سورة البقرة (٣) ، تدل على أن جميع الرسائل السماوية واحدة في قواعدها وأصولها .

فكل الرسائل جاءت لتقرر ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية لتنظيم حياتها

(١) ذكر الإمام ابن كثير في البداية والنهاية : ٨٠ / ١ نقلاً عن ابن عساکر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « أن الله تعالى علم آدم من ضمن الأشياء الحياكة ، وعلمه أن ينسج » .

(٢) هذه العناصر أساسية أصلية ، ولا يقوم مجتمع إنساني إلا عليها ، ولذلك أنزل الله تعالى الحديد من السماء ، وذلك عن طريق الماء الذي يختلط بتلك الأرض التي وضع الله تعالى فيها عنصر الحديد ، ثم يمتزجان فيما بينهما بتلك الصفة العجيبة التي اطلع عليها من اطلع من القدماء الحكماء وغيرهم ، وهكذا جميع المعادن الموجودة الجامة والسائلة في الأرض أساس تكوينها الماء النازل من السماء بقدرة الله تعالى ، ولذا قال تعالى في سورة الواقعة مشيراً إلى الماء : ﴿ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴾ . . . ثم ذكر النار ، (الآيات : ٦٩ - ٧٣) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ﴾ (الآية : ٢١٣) .

وإصلاح معادها ، ولتقويم الأعمال والأحداث والسلوك والمناهج وحماتها من اضطراب الأهواء ، ومن اختلاف الأمزجة ومن تصادم المصالح والمنافع .

فقد جاءت الرسائل لتقيم ميزاناً عادلاً لا يحابي أحداً ، لأنه يزن بالحق الذي أنزل من عند الله ، ولا يحيف مع أحد فالذي أنزله أحكم الحاكمين ، الذي قامت السموات والأرض بعدله ، وميزان الله هو العدل والحق وهو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والاضطرابات التي تهوي بها في مكان سحيق في معترك الأهواء ، ومضطرب العواطف ومصطخب المناقسة وحب الذات .

فبغير ميزان الله وبغير كتاب الله لا يهتدي الناس إلى العدل والحق ، وبغير سلطان الإسلام الذي شرعه الله لا يرجع المتمرد ولا ينتهي المعاند ولا يخضع المكابر .

ولو اهتدى بعض الناس إلى العدل زمناً بغير كتاب الله وميزانه لم يلبث في أيديهم ميزانه ما دامت تضطرب في رياح الجهالات والأهواء .

ولو رجع بعض الناس إلى العدل لإصلاح دنياهم بدون إيمان بالله وبدون احتساب ما عند الله وبدون ربط الأمور بمالكها وخالقها ، لم يكن لهم ثواب ولا إعانة ولا نصر من الله لأن عملهم لم يكن من أجل الله ﴿ **وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ** **مَنْ** **يَنْصُرُهُ** **وَرَسُولَهُ** **بِالْقَيْبِ** **إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ** **عَزِيزٌ** ﴿ (١)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يجب على المسلمين الرجوع إلى كتاب الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَى الْوَحْيَ مُحَمَّدًا وَجَّهًا ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بِفَضْلِهِ اهتدى المهتدون وبعده ضلّ الضالون .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، جعل الله النصر والعزة لمن أطاعه ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد ..

فاتقوا الله عباد الله ، وتأملوا واقع العالم الآن ، لما انصرف الناس عن كتاب الله وتركوا ميزان الله وغاب القرآن عن ميدان الحياة ، اختلت الموازين واضطربت المقاييس ، فنرى العالم في عناء وشقاء وتضارب في الاتجاه والآراء ، يخاف بعضهم بعضاً ، ويمقت بعضهم بعضاً ، ويتربص بعضهم الدوائر ببعض ، ذلك لأنهم تركوا كتاب الله ورجعوا إلى جاهلية شر من الجاهلية الأولى ، فصار القوي يأكل الضعيف بلا رحمة ، والخيرات تُسلب من أهلها بلا شفقة ، والأرض تؤخذ من ملائكتها ويشرد أهلها ، وصارت القوة تسيّر

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣ مع البسمة وأنها أول آية من السورة

بغير هُدًى ، تتوجه إلى تدمير العالم وإتلاف البشر وإفساد الأرض والهواء ،
﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ ﴾ (٢) . نسوا أنهم
جزء من هذا العالم ، يصيبهم ما أصابه ويضرهم ما يضر به .

فاتقوا الله أيها الناس ، لا بد من تصحيح المقاييس ، لا بد من التفريق بين
الحق والباطل ، وبين العدل والظلم ، وبين النافع والضار ، وليس ذلك إلا
في كتاب الله ، ولا تُصحَّح المقاييس إلا بميزان الله .

أيها المؤمنون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

* * *

(١) سورة التوبة : ٦٧

(٢) سورة الحشر : ١٩

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤ - تفسير الآية (١) من سورة المجادلة (١)

حكم الظهار

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴾ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مستوٍ على عرشه (٤) ، وكل
العالم في قبضته (٥) ، يسمع ويرى (٦) ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا حال
عن حال ، ولا لغة عن لغة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه ،
وأخشاهم لخالفه ، وأرحمهم بأمته .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان ، حتى الورد على حوضه .

(١) أُلقيت في ١٤٠٩/٧/٢٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الشورى : ١١

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في كتابه في سبعة مواضع ، ومنها الآية ٢ من سورة
الرعد ، والآية ٥ في سورة طه .

(٥) إشارة إلى الآية ١٧ من سورة الزمر .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى وإلى معناه في الآية ٤٦ من سورة طه .

أما بعد . .

فإن سورةً من سُور القرآن الكريم ، ذلك الكتابُ الذي تَتجاوبُ جنبات الوجود لكل كلمة من كلماته ، وهي تنزل من الملاء الأعلى على قلب محمد ﷺ . تُعلن تلك السورة في افتتاحيتها أن الله تعالى لا يشغله تَدبيرُ هذا الكون ، ولا رعايةُ هذا الخلق عن سماع شكوى امرأة من عامة المسلمين ، تلك المرأة التي تَغضُّ صوتها عند رسول الله ﷺ وتخبره بما قال زوجها وتجادله وتشتكي إلى الله (١) ، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها في جانب البيت قريبةً منها ولا تسمع أكثر كلامها (٢) .

ولكن الله تعالى يراها وهو عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه يسمع كلامها وشكواها من فوق سبع سموات ، فاستجاب لندائها ونَزَلَ حُكمه في قضيتها وأعطاهما حقها ورسم للمسلمين الطريق السوي لمثل مشكلتها ، وأشعر الأمة المسلمة بأن الله تعالى معهم في كل لحظة من لحظات حياتهم ، وأنه حاضر شئونهم كبيرها وصغيرها ، معتنٍ بمشكلاتهم ، مُستجيبٌ لدعواتهم رحيم بأزماتهم ، وهو الكبير المتعال ، وهو الغني الحميد .

روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله :

(١) إشارة إلى سورة المجادلة ، آية : ١

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٧٠ - ٦٩ / ٨ إلى عدة مصادر حديثة ، إذ قال : أخرج سعيد بن منصور ، والطبري تعليقا في الصحيح ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، ثم ذكر الحديث اهـ . قلت : أخرجه أحمد في المسند .

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا زُجْرًا وَإِنَّهَا لَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾

﴿ ١ ﴾ . ورواه البخاري في كتاب « التوحيد »
تعليقاً (٢) . وفي رواية للبيهقي في السنن وابن أبي حاتم أن المجادلة تشتكي
وتقول : يا رسول الله ؛ أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا
كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني (٣) .

وزاد في التفسير الكبير وفي فتح القدير أن المجادلة قالت : يا رسول الله ؛
إن لي منه صبيّة صغاراً ، إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا .
ورسول الله ﷺ يقول : « ما عندي في أمرك شيء » (٤) - وفي رواية : قال
لها « حرمت عليه » ، فترفع رأسها إلى السماء وتقول له : اللهم إني أشكو
إليك ، فسمعها الحي القيوم الذي لا ينام ولا يغفل عن شئون خلقه ، فأنزل
على نبيه ﷺ الآيات الأربع من صدر سورة المجادلة فبشرها وتلاها عليها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ
أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ
غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ

(١) سورة المجادلة : ١

(٢) كتاب « التوحيد » في البخاري ، باب (٩) « وكان الله سميعاً بصيراً » ، ثم
أورده معلقاً عن عائشة : ٣٧٢/١٣ الفتح .

(٣) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٥٧١/٦ إلى ابن أبي حاتم في تفسيره ، وهو
من حديث الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، ثم ذكر
الحديث كما أورده قبله الخطيب رعاه الله تعالى وتولاه أمين ، وأخرجه ابن ماجه أيضاً
في سننه .

(٤) ذكر ذلك العلامة الشوكاني في تفسيره فتح القدير : ١٧٧/٥ بدون عزو . والله
أعلم بصحته .

تَوَعُّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ سَأْفَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴿ (٢) .

المجادلة هي خولة زوجة أوس بن الصامت رضي الله عنهما ، دخل عليها زوجها وهي تصلي فأعجبته ، فلما سلمت طلبها للفراش ، فامتنعت وكان به حرص على النساء ، فغضب وقال لها : أنتِ على كظهر أمي ، ثم ندم وعاد إليها وطلبها فامتنعت حتى تسأل رسول الله ﷺ عما قال زوجها ، فنزل القرآن (٣) .

وكانوا في الجاهلية إذا غضب الرجل على امرأته ظاهرَ منها ، فتحرّم عليه ولا تُطلّق فيَذرُها كالمعلّقة ، فأبطل الإسلام عادة الجاهلية وشرع حكم الظهار . والظهار حرام لأن الله سمّاه منكراً من القول وزوراً ، ولا يُنقص عدد الطلاق . ويحرم وطء المظاهرَ منها قبل الكفارة لا في الليل ولا في النهار ، دون غيرها من نسائه وإمائه .

والكفارة على الترتيب كما نصت الآية : عتق رقبة مؤمنة ، ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ سَأْفَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأِطْعَامُ سِتِّينَ

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عزاه السيوطي إلى الإمام أبي بكر بن مردويه : ٧٢/٨

(٢) سورة المجادلة : ١ - ٤

(٣) إشارة إلى حديث خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها . أخرجه أحمد في المسند ، وأبو داود في السنن ، وابن المنذر في التفسير ، والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه ، والبيهقي في السنن الكبرى ، عزاه إليهم السيوطي في الدر المنثور : ٧٠/٨

مَسْكِينًا ﴿١﴾ . ولو خالف المظاهرِ وجامعَ قبل أن يُكفَّرَ كان عاصياً ووجبت عليه الكفَّارة .

ويَقَعُ الظَّهَارُ المؤقت بزمن وتجب الكفَّارة إذا جامعَ قبل أن تَنِمَ المدة لما روي أبو داود ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، واللفظ لأبي داود عن سليمان ابن يسار عن سلمة بن صخر قال : كنت امرأةً أُصيب من النساء ما لا يصيب غيري ، فلما دخل شهر رمضان خَفْتُ أن أُصيب من امرأتي شيئاً يتَّبع بي حتى أُصبح ، فظاهرتُ منها حتى ينسلخ شهرُ رمضان ، فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشَّف لي منها شيء فلم أثبت أن نزوتُ عليها ، فلما أصبحتُ خرجتُ إلى قومي فأخبرتهم الخبر وقلت : امشوا معي إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : لا والله ، فانطلقتُ إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال : « أنتَ بذاك يا سلمة ؟ » ، قلت : أنا بذاك يا رسول الله - مرتين - وأنا صابر لأمر الله عزَّ وجلَّ فاحكم فيَّ ما أراك الله ، قال : « حرِّ رقبه » ، قلت : والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها .. وضربتُ صفحة رقبتي ، قال : « فصم شهرين متتابعين » قال : وهل أصبتُ الذي أصبتُ إلا من الصيام ، قال : « فأطعم وسقاً من تمر بين ستين مسكيناً » ، قلت : والذي بعثك بالحق لقد بئنا وحشين ما لنا طعام ، قال : « فانطلق إلى صاحب صدقة بني زُرَيْق فليدفعها إليك ، فأطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر ، وكلُّ أنت وعيالُك بقيتها » ، فرجعتُ إلى قومي فقلتُ : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدتُ عند النبي ﷺ السَّعة وحسن الرأي ، وقد أمرني بصدقتكم (٢) . ويجب

(١) سورة المجادلة : ٤

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٧٨/٨ إلى عبد الرزاق في المصنف ، وعبد بن حميد في مسنده ، وأحمد في سنده أيضاً ، وأبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه في سننهم ، والطبراني في الأوسط ، والبغوي في معجمه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه ، ثم ذكر هذا الحديث بطوله ، وإسناده حسن .

التتابع في صيام الكفّارة ولا يقطعه فطر واجب ولا صيام واجب ، كأن يبدأ بصيام الكفّارة في النصف من شهر رمضان ، فيصوم رمضان ويفطر يوم العيد ويُتم بعد ذلك .

وكذلك إذا ابتداء صوم الكفّارة من أول ذي الحجة فإنه يفطر يوم العيد وأيام التشريق ، ويُتم بعد ذلك .

ولو شبّه رجل زوجته بإحدى محارمه غير الأم ، كالأخت والعمة والحالة ، بأن قال : أنتِ علىّ كظهر أختي ، فعند أكثر العلماء أنه ظهار .

أما إن شبّهها بأبيه ، فقال : أنتِ علىّ كظهر أبي ، فجمهور العلماء على أنه ليس بظهار .

وإذا قال الرجل لزوجته : أنتِ علىّ حرام ، ولم يشبّهها بإحدى محارمه ، فإن نوى بهذا التحريم ظهاراً ، فهو ظهار عند عامة العلماء ، وإن نوى طلاقاً فهو طلاق ، وإن لم ينو ظهاراً ولا طلاقاً فعليه كفّارة يمين على التخيير في الثلاثة الأولى ، وعلى الترتيب في الرابع : ﴿ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ (١) لقوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لَأَيْمَانِكُمْ ﴾ . فيخير بين الاطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة فإذا لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

وإذا قالت امرأة لزوجها : أنتِ علىّ كظهر أبي ، فليس بظهار . ورأى بعض العلماء أن تُكفّر احتياطاً ، ويكره أن يقول الرجل لامرأته : يا أختي ،

(١) سورة المائدة : ٨٩

(٢) سورة التحريم : ٢

أو يا أُخيّه ، وإن كان يعني في الإسلام . قال الخطابيُّ في شرح السنن : كره رسول الله ﷺ هذا لثلاثا يلحقه بذلك ضرر في أهل أو مال (١) .

وأما قول إبراهيم عليه السلام لما سأله جبار من الجيايرة عن زوجه من هي قال : إنها أختي ، فلأنه خشى عليها منه (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اجتنبوا الألفاظ المتشابهة ، وحافظوا على كرامة أزواجكم ، واحفظوا إيمانكم .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رَشْدَنَا ، وَقْنَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ .

* *

(١) أخرج الحديث أبو داود في السنن برقم (٢٢١٠) وبرقم (٢٢١١) ، وفيه كره النبي ﷺ أن يقول الرجل لزوجته : يا أختاه ، وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه برقم (١٣٥٨) كتاب « الأنبياء » : ٦ / ٣٨٨ - ٣٨٩ الفتح ، وأبو داود : برقم (٢٢١٢) : ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضانة الطفل قبل السبع لأمه ثم أمها

(الخطبة الثانية)

﴿ أَحْسَنْدُهُ رَبِّ الْقَلْبِ ﴾ (١) ، ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ
اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فمتى سقطت أحقية أم الطفل في حضانته لتزوجها أو لعدم صلاحيتها
للحضانة ، انتقلت الأحقية إلى أمها . لما روى البيهقي عن عبد الرحمن بن
أبي الزناد عن أبيه عن الفقهاء الذين ينتهي إلى قولهم من أهل المدينة أنهم
كانوا يقولون : قضى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لجدة ابنه عاصم بن عمر بحضانته حتى يبلغ ، وأم عاصم يومئذ
حية متزوجة (٣) .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة النحل : ٧٨

(٣) البيهقي في السنن الكبرى : ٥ / ٨ ، وإسناده جيد .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. لا تُضار والدته بولدها ولا مولود بولده ، ثم
اعلموا رحمكم الله أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكته
المسبحة بقدسه ، وثلث بالمؤمنين ، فقال جلّ من قائل : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى نَبِيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا
عَشْرًا » (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَالَاه .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح ، باب :
الصلاة على النبي ﷺ برقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥ - تفسير الآية (٢١) من سورة الحشر (١) عظمة القرآن وعلو شأنه

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ (٢) ﴾
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .
اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان ثم اهتدى .
أما بعد ..

فخير وصية المؤمن لأخيه المؤمن : وصية الله لعبادة المؤمنين . قال تبارك
وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٣) .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ (٤) وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٤) ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمِ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٥) .

(١) ألقى يوم

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) سورة النساء : ١٣١

(٤) سورة الطلاق : ٢ ، ٣

(٥) سورة الطلاق : ٥

ثم أنني أذكركم بآية من سورة الحشر تخبر عن صفة من صفات القرآن وتنوّه بعظمته وعلو قدره ، ومنها تفهم قسوة قلوب بني آدم ، فهي بنا تتأملها وتفهم معانيها . قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

إن للقرآن قوة ونفوذاً يحس بهما من له فطرة سليمة وبصيرة نقية ، له نفوذ في الأسماع ، فإذا وصل السمع نفذ إلى القلب ، وإذا وصل إلى القلب أحيأه وهداه ، وعرفه بنفسه وبمولاه .

القرآن له تأثير في الأبدان والمشاعر الحية يهزها هزاً ويشحذها فطنة واهتماماً ، ولكن قلوب بني آدم تختلف رقة وقوة ، وتختلف فهماً وغفلة ، وتختلف مشاعرهم حساً وركوداً ، ويختلف إيمانهم قوة وضعفاً ، فالذي يتأثر إذا سمع القرآن فينصعق من خشية الله ، أو يمرض خوفاً من عذاب الله . . . يختلف إيمانه عن الذي يسمع القرآن ويمر عليه ، فلا يتأثر خوفاً وطمعاً .

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الطور (٢) : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في ولايته يعس المدينة ذات ليلة ، فمرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي ، فوقف عمر يستمع قراءته

فقرأ : ﴿ وَالطُّورِ ١ وَكَتَبَ مَسْطُورِ ٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورِ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ ﴾ (٣) ، قال عمر رضي الله عنه : قسم ورب الكعبة حق ، ونزل عن

حمارة ، واستند إلى الحائط فمكث ملياً ، ثم رجع إلى منزله ، فمكث شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه رضي الله عنه .

(١) سورة الحشر : ٢١

(٢) ابن كثير : ٤ / ٢٤٠

(٣) سورة الطور : ١ - ٨

فالحلظات التي يكون فيها الذهن مفتوحاً لتأمل القرآن يفهم منه معاني يتأثر بها كأنه لم يسمعه من قبل ، فيتأثر المؤمن بالقرآن برغبة ورهبة ، وخوفاً ورجاءً .

ذلك أن هذا القرآن له قوة تنفذ إلى الأعماق ، فلو خوطب به غير الإنسان لكان كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُورَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْتَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

فلو أنزل هذا القرآن على جبل لحصل له ما أخبر الله عنه : ﴿ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ ، ولكن بني آدم أنزل عليهم القرآن وخوطبوا به فلم يتأثروا بوعده ووعيده ولا بترغيبه وترهيبه .

وإذا كان الجذع الذي كان يخطب بجانبه رسول الله ﷺ حنَّ كالبعير الصغير لماً جاوزه إلى المنبر الجديد ، فبنو آدم أولى أن يشتاقوا لذكر الله ومواعظه وأمر رسوله ﷺ (٣) .

فينبغي أن يؤخذ القرآن بالخشية الشديدة والتخشع ، وأن يُقرأ بالتأثر والخشوع .

والذي خلق الجبال الصلبة وأنزل القرآن مصدر الحياة هو الذي أخبر عن

(١) سورة الرعد : ٣١

(٢) سورة البقرة : ٧٤

(٣) ابن كثير : ٣٤٣/٤ إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري في الصحيح والمناقب ، الباب (٢٥) : ٦/٦٠١ حديث رقم (٣٥٨) الفتح .

تأثير القرآن في الجمادات لو خوطبت به ، وهو الذي خلق بني آدم ويعلم قابليتهم لمعاني القرآن .

وقلوب بني آدم أولى من الجمادات بهذا الإحساس ، ولكن الشهوات والأعداء من شياطين الإنس والجن صرفوا القلوب عن تدبر معاني القرآن ، ففي العالم قوى معادية لهذا القرآن ، ومعادية للمؤمنين ، تبذل جهودها في زعزعة المسلمين عن هذا المنهج وتشكيكهم في عقيدتهم ، وإذا تأملنا حال العالم المعاصر عرفنا أن أعداء الدين يصرفون كل طاقاتهم للحيلولة دون قيام دولة إسلامية ، ولمنع أي حركة أو صحوة دينية لأن الإسلام يسلبها كثيراً من الامتيازات التي تتحكم فيها الآن ، كما أن القوى الطاغية تستعجل ضعاف النفوس من المنتسبين للإسلام لضرب المسلمين بعضهم ببعض .

ومن مكر أولئك الظلمة أنهم يرفعون من شأن عملائهم المخربين للعقيدة والسلوك ، ويعطونهم ألقاباً وهمية مثل النجوم ومثل الزعيم ومثل الآية والحجة . وفي نفس الوقت يهزؤون ممن يتمسك بعقيدته ويأبى موافقتهم وينزلون أمام الجماهير من قدره يستهزؤون به .

ولكن الواقع والحقيقة ليست إلى ما يريده الشريرون المفسدون ، وإنما الأمر

الله ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورُ الْمَلِكِ نُورِي الْمَلِكِ مَنْ نَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ نَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

فمهما صال وجال الباطل ، ومهما تسلط الكثرة على المسلمين ، فإن العاقبة للتقوى ، وإنما يتلي الله عباده ويمتحنهم ويضربهم بسوط تربية لينتبهوا من غفلتهم ، وليتحركوا من ركودهم ، وليستيقنوا من أفتدتهم ، فالمسلم لم

يُخَلِّقُ لِلدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا خَلِقَ الْمُسْلِمَ لِلْآخِرَةِ ، خَلِقَ لِيَكُونَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ ،
وحزب الله هم اتباع نبي الرحمة ورسول الهداية صلى الله عليه وسلم .

فيتعين على حملة رسالة الدعوة ، ويجب على حرس العقيدة أن يكونوا
أقوياء في جانب الله ، فبالله القوة ﴿ وَبِاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ انصر المسلمين على أعدائهم .

اللَّهُمَّ وحد صفوف المسلمين وقوّ شوكتهم ، واجمع كلمتهم على الهدى ،
وألف بين قلوبهم على البر والتقوى .

اللَّهُمَّ وفقهم لإعداد ما أمرت ، وإتباع ما شرعت ، والعمل بما حكمت ،
وردهم إليك رداً جميلاً .

اللَّهُمَّ اخذل الكفرة والمشركين ، وفرّق جمعهم ودمر قوتهم ، وأبطل
كيدهم واجعل بأسهم بينهم ، واكف المسلمين شرهم ، واهدهم لاتباع الحق
والعمل به .

اللَّهُمَّ بارك لنا في القرآن ، وانفعنا بما فيه من الآيات والبيّنات ، وارحمنا
وتبّ علينا يا رحمن ، واغفر لنا ولآبائنا وأمّهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالمعروف أساس التناصح

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله

وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يحب له من الخير ما يحب لنفسه ، وأن يكره له من الشر ما يكرهه لنفسه ، وما أحوج المسلمين اليوم إلى التناصح والتعاون على البر والتقوى ؛ وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أساس التناصح ، فبه يُطهر المجتمع وبه تصان الحياة من الفساد والشرور ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الحصن الذي يحمي كيان الأمة وعزائمها من الفساد ويحفظها من تسرب السموم إليها ، وهو واجب على كل فرد على من تحت ولايته لا يختص به أحد عن أحد ، وإنما هو واجب من واجبات الإسلام ، وقاعدة من قواعده : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (١) .

(١) مسلم حديث رقم (١) كتاب « الإيمان » ، باب : النهي عن المنكر حديث

واجب على الأسرة في داخل البيت أن تتناصح وأن تتعاون على البر والتقوى ، والقيادة في ذلك لرب الأسرة .

يجب على المسلمين التناصح في مجتمعاتهم ، والقيادة في ذلك لصاحب المكان ، يجب على جميع المسلمين التناصح في جميع أحوالهم وأعمالهم والقيادة في ذلك للسلطان . كلكم راع وكلُّ مسؤل عن رعيته .

والعبرة في معرفة الخير والمعروف الذي يؤمر به وفي معرفة الشر والفساد الذي يُنهى عنه . المرجع في ذلك إلى مقاييس الإسلام ، وموازين شرع الله . العبرة في ذلك بالمقاييس والموازين التي أنزلت من السماء على نبينا محمد ﷺ .

أما الاصطلاحات ، وما تجري عليه عادات الناس ، فلا عبرة بها ولا يقاس عليها ، لأنها تتأثر بالمؤثرات ، فتختل موازينها وتضطرب مقاييسها ، ولا يُمنع إنسان أن ينهي من تحت ولايته عن خطأ وقع فيه .

كان رجل وقع في محذور ، فأراد ابنه أن يقلده ، فنهاه وضربه ، فقال الولد : كيف تنهاني عن شيء أنت تفعله ؟ فقال الأب : إنني أخشى أن تقع فيما وقعت فيه ، فقد ذُقت مرارته ووجدت حسرته ، ولم أجد فيه منفعة وقد كنت فيه مخدوعاً به ومغروراً ، فوجدت الندامة ولت من لم ينهني عنه ولم يأمرني بخير ، لذلك نهيتك .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه مراقبة من يؤمن أنه يعلم السر وأخفى . يعلم خائن الأعين وما تخفي الصدور .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ
لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾

وَصَلُّوا عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾ (٢)

* * *

(١) سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦ - تفسير الآية (١٤) من سورة التغابن (١)

﴿ إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله لا نحصي ثناءً عليه (٢) ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ﴾ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعلم السرائر وما تخفي
الضمائر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ،
شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستقام على
سبيله .

أما بعد ..

فإن في القرآن الكريم آيةً تعالج جانباً اجتماعياً عائلياً قد يغفل عنه بعض
الناس ، ولولا أن القرآن الكريم أخبرنا بما دلّت عليه هذه الآية لما انتبه له كثير
من الناس .

(١) ألقى يوم ١٤/٨/١٤٠٠ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح : الصلاة ،
حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) سورة سبأ : ١

هذه الآية في آخرة سورة التغابن هي قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) . بعض الناس يظن أن العدو هو الذي يُحب أن يضره في بدنه أو ماله ، ولا يتصور أن يكون الزوج أو الولد عدوًّا له ، وكيف يكون عدوًّا مع وجود المودة والرحمة ؟

ولكن الآية الكريمة تؤكد وجود حقيقة واقعية ، في حياة بعض بني آدم ، وتشير إلى الروابط المتشابكة في التركيب العاطفي بين الأسرة التي قد يكون سبباً للمرض بتلك الصفة المنحرفة ، والقرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد .. ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْسُومًا ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَيْدِي قَوْمٍ مُّشْرِكِينَ ۖ وَكَفَّوْا بِهِ عَن قَدْحِ الْعَذَابِ ۚ وَمِمَّا كَفَرْنَا لَنَعْلَمَنَّ أَلَمِنَّا بِهِ ﴾

﴿ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَيْدٍ ﴾ (٢) فما هذه العداوة التي ثبت وجودها في بعض الأزواج والأولاد ، أنها عداوة دينية ، والعداوة الدينية أشد خطراً من العداوة الدنيوية ، فمن صدَّ عن طاعة الله فقد أتى بمنكر فهو كما قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية في تأويل العداوة بمعنى أنه يُلهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ (٣) ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ ، قال ابن زيد : يعني على دينكم ، وقال مجاهد : يحمل الرجل على قطيعة الرحم ، أو معصية ربه فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه (٤) .

(١) سورة التغابن : ١٤

(٢) سورة ق : ١٦

(٣) سورة المنافقون : ٩

(٤) ذكر هذه الآثار كلها الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٠ / ٧

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية : قال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم (١) ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فهِمُّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٣) ، فنصوص القرآن الكريم تمتاز بالعموم والشمول وسعة الدائرة لمعالجة كل القضايا في جميع العصور .

والقرآن الكريم حينما يُنبه المؤمنين إلى هذه الحقيقة ويأمر بأخذ الحذر ، ثم يحث على العفو والصفح والمغفرة ، إنما يريد من المؤمن أن يكون حكيماً يقطعاً فاهماً عاقلاً ليأخذ سبيل الإصلاح لنفسه وأسرته وليرقى بهم سلم النجاة . يريد منه أن يكون مرابطاً في بيته في سبيل الله ، وأن يكون مجاهداً في بيته في سبيل الله ، لا أن يستسلم ويرُخى رأسه ولا أن ينزل ويترك الحبل على الغارب ، يريد منه أن يكون حكيماً في سياسته رحيماً في أسرته قوياً في جانب ربه .

والعداوة الدينية تختلف درجاتها باختلاف مقوماتها ، فقد يكون أحد أفراد الأسرة مشغلةً للآخرين عن ذكر الله وعن أداء الواجب ، مثل الصلوات المكتوبة في أوقاتها وأداء الزكاة المفروضة لأهلها ، فإذا هو يُعَوِّقُ وَيُثَبِّطُ .

كما يروي عن بعض الناس أنه أخرج زكاة ماله من الفضة وجمعه في مكنل ،

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب « التفسير » في تفسير سورة التغابن ، حديث رقم (٣٣١٦) : ٤١٨/٥ - ٤١٩ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٠/٧ نقلاً عن ابن أبي حاتم من تفسيره بإسناد صحيح .

(٢) سورة التغابن : ١٤

(٣) هذه قاعدة أصولية معروفة لدى الأصوليين من أهل التفسير .

فجاءته زوجته وقالت له : أكلُ هذا تعطيه للناس ؟ فجاءه الشيطان وقال :
زوجتك أحق به وأولادها ، فصار ينازعه الإيمان وقولُ الزوجة والشيطان ،
وأخيراً صعد على سطح بيته ونادى المسلمين يطلب الإغاثة فجاءه الجيران
وأخبرهم وأعطاهم الزكاة لتقسيمها على الفقراء فأنجاه الله .

وقد تكون العداوة في ترك مُستحب أو فعل مكروه فتكونُ درجاتها أخف ،
وقد تكون في صميم العقيدة والإيمان فتكون أشد ، أو تقول الأم أو الولد لرب
البيت : عندنا زوج ولدنا الأكبر أو ابنتنا الكبرى ، ونريد أن نفرح ونفرحه
ونحضر في حفل العرس مغنين ومطربين ، وهذه فرصة العمر مرة واحدة في
حياتنا ، ومن هذا القبيل حتى يستجيب ويحضر المطلوب ، هذه عداوة دينية
وعداوة اقتصادية تفتح باب شر على المسلمين . وخير النساء أيسرهن مئونة .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تفهموا كتاب الله ، واعملوا بأحكامه ، وخذوا
بتوجيهاته ونظامه في جميع شئونكم الخاصة والعامة .

﴿ قَدْ إِنْ كَانَءَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيََ اللَّهُ بِأَمْرٍ مِّنْهُ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

اللَّهُم بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد يكون الزوج عدواً لزوجه

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الزوج الذي يحمل زوجه على قطيعة الرحم مع الأبوين وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فتحمله المحبة على تلبية طلبه ، هذا عدو لأنه قد عرض له لمخالفة أمر الله بالبرِّ والصلة ، قد عرض له لسخط الله وعقابه ، وعرضه لمقت والديه وأقاربه وجميع الناس ، ألا يكون هذا الزوج عدواً للآخر بهذا العمل لأنه عمل ما يضر به في دينه ؟

الولد الذي يطلب من أبيه صرفَ المال في معصية الله في المحرمات ، فتحمل الأب الشفقة على إجابة طلبه ، ألا يكون قد جعل والده من المبذرين إخوان الشياطين ، أفلا يكون عدواً له بعمله هذا ؟

الزوج الذي يطلب من زوجه الوقاع المحرم في غير الحرث المعد للنسل

فتحمل الزوجة المحبةُ وحبُّ بقاء الحياة الزوجية على الموافقة ، أفلا يكون قد عرَّضها لوعيد الله وسخطه ، أفلا يكون عدواً لها ؟

إن جميع الأسرة يجب أن تكون متعاضدة متكاتفه على وفق نظام الإسلام وعلى منهج الإسلام ، يصلون ما أمر الله به أن يوصل (١) ، ويحرمون ما حرم الله ورسوله (٢) ، فمن خرج منهم عن منهج الإسلام ، فقد خرج عن دائرة المحبة والمودة الإسلامية بقدر خروجه عن منهج الدين . يجب الحذر منه ومعالجته بدواء الإسلام .

فاتقوا الله أيها المؤمنون (٣) ، ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) ، إنما هم ابتلاء واختبار فخذوا حذرکم وخذوا بأسباب النجاح في الابتلاء والاختبار ، فلا تقعوا في معصية الله .

أيها المؤمنون : إن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال جلَّ من قائل عليمًا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة الرعد .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٩ من سورة التوبة .

(٣) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ١١ من سورة الممتحنة .

(٤) سورة التَّغَابِن : ١٥

(٥) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ - تفسير الآية (٨) من سورة التحريم (١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ قَائِمِينَ ذَابَّةُ إِلهٍ إِلهٌ أَحَدٌ يَبْنِي بِنَاتِهِ إِن رَّبِّي

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ (٤)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿ (٥)

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد إمام المتقين وقائد الغرِّ

المجاهلين وسيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى ،

ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد ..

فالحافظ والواقى هو الله ، والهادى والموفق هو الله ، والواجب على

الإنسان فعل الأسباب وبذل الجهد ، والتوفيق بيد الله .

(١) ألقى في ٦/٤/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة هود : ٥٦

(٤) سورة التوبة : ١٢٩

(٥) سورة التوبة : ١٢٨

إن الناس يهتمون بأمور الدنيا أكثر مما يهتمون بأمور الآخرة ، فمثلاً إذا حصل حريق (كفى الله الشر) نرى الأهل والجيران وفرق الإنقاذ يسرعون بالآلات وأسباب الوقاية ويتعاونون لإطفاء النار ، وتؤخذ الاحتياطات لمحاصرتها للقضاء عليها ولثلاثاً تمتد إلى ما حولها ، ثم يجري التحري والبحث عن الأسباب لاجتنابها مستقبلاً . أخلاق إسلامية فاضلة ، وشعور إنساني نبيل ، وتعاون اجتماعي رفيع ، لكن هناك ما أهم وأفظح : فأمامنا الآن نداء إنذار وتهديد ، إنذار بحريق لا يُطفئهُ الماء ولا الرغوة ولا الأسباب المادية ، إنذار صادق ، ونار محققة ، لا تأكل البيوت والأثاث ، وإنما وقودها الناس والحجارة (١) .

اسمعوا نداء الخالق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (٢) .

نداء ترغيب وترهيب لكل مؤمن ومؤمنة ، دعوى إلى التوبة والإنابة إلى الله ، أمر لكل مسئول بأن يقوم على من تحت رعايته بالتربية وتعليم شعائر الإسلام وحملهم على شرع الله .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة

(١) إشارة إلى الآية ٦ من سورة التحريم .

(٢) سورة التحريم : ٦ - ٨

وَيُصْلِحُ أَهْلَهُ إِصْلَاحَ الرَّاعِي لِلرَّعِيَةِ . ففِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « كَلِمَتُكُمْ رَاعٍ ، وَكَلِمَتُكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » (١) ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ . وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَرُّوا أَوْلَادِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ) (٢) .

إِنَّ مَسْئُولِيَةَ الْمُسْلِمِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَخَدَمِهِ ، وَمَنْ تَحْتَ رَعَايَتِهِ مَسْئُولِيَةٌ ثَقِيلَةٌ وَمَوْقِفٌ رَهيبٌ ، فَالنَّارُ أَمَامَهُ ، وَهُوَ وَأَهْلُهُ مَعْرُوضُونَ عَلَيْهَا :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ آلٌ وَإِرْدَاهَا كَانَ عَلَى رَيْكِ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نَجِي الَّذِينَ أَنْقَرُوا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا حَيْثِيًّا ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣) ، فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَنْ تَحْتَ رَعَايَتِهِ وَبَيْنَ النَّارِ .

قَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ نَارَ الْآخِرَةِ مِثْلُ نَارِ الدُّنْيَا ، وَالْفَرْقُ بَعِيدٌ لَا يَتَصَوَّرُهُ أَحَدٌ ، لَكِنْ قَرَّبَهُ الْمُرَبِّيُّ الْمُعَلِّمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « نَارُكُمْ هَذِهِ مَا يُوْقَدُ بَنُو آدَمَ جِزْءٌ ، وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا) (٤) .

(١) إِشَارَةٌ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ ، الْأَحْكَامُ : ١٣ / ١٠٠ الْفَتْحُ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِمَارَةِ بِرَقْمِ (١٨٢٩) ، بَابُ : فَضِيلَةُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ .

(٢) إِشَارَةٌ إِلَى حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِرَقْمِ (٤٩٥) ، (٤٩٦) ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ : ١ / ١٩٧ ، انْظُرْ نَسَبَ الرَّايَةِ لِلزَّلِيلِيِّ : ١ / ٢٩٦ ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ : ٢ / ١٨٧ .

(٣) سُورَةُ مَرْيَمَ : ٧١ - ٧٢

(٤) الْبُخَارِيُّ فِي بَدَأِ الْخَلْقِ ، بَابُ : صِفَةُ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ : ١٦ / ٢٣٨ الْفَتْحُ ، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٢٨٤٣) كِلَاهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

إنها سوداء مظلمة متنتة حرها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعها حديد :

﴿ إِنهَاترْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١) فيها سلاسل وأغلال ،

﴿ إِنهَاعَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ ﴿٩﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِذَا ألقُوا مِنْهَا مَا كَانُوا صَبيحًا مُّقْرَنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿٣﴾ ﴾ ، ﴿ كَلِمَاتٍ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِنَّمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابُ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴿٥﴾ ﴾ (٥) ، طعامهم الزقوم والضريع ، وشرابهم الحميم والقيح والصديد ، ﴿ كَأَلْمُهْلِ يَسْوِي الْوُجُوهَ ﴿٦﴾ ﴾ (٦) ، ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٧﴾ ﴾ (٧) .

ولهذا كان الرحيم بأتمته صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمهم الاستعاذة من النار كما يُعَلِّمهم السورة من القرآن . روى مسلم وغيره رحمهم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يُعَلِّمهم هذا الدعاء كما يُعَلِّمهم السورة من القرآن : « قولوا اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم ، وأعوذُ بك من عذاب القبر ، وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذُ بك من فتنة المحيا والممات » (٨) . وكان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (٩) (رواه البخاري عن أنس) .

(١) سورة المرسلات : ٣٢ - ٣٣

(٢) سورة الهمزة : ٨ - ٩

(٣) سورة الفرقان : ١٣

(٤) سورة النساء : ٥٦

(٥) سورة فاطر : ٣٦

(٦) سورة الكهف : ٢٩

(٧) سورة الحج : ٢٠ - ٢١

(٨) مسلم في الصحيح السابق ، ومواضع الصلاة برقم (٥٩٠) من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما .

(٩) هو من حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند :

٤١١/٣ ، وأبو داود : برقم (١٨٩٢) ، وإسناده صحيح .

وكيف يقي المؤمن نفسه وأهله من النار ؟

أما وقاية نفسه فبطاعة الله ، يعمل بالمأمور وينهي عن المحرم المحظور ، وبكثرة الذكر والصلاة ، ويكف الأذى ويبذل الندى ، وبالبر والصلة وأداء الحقوق لأهلها ، والإحسان إلى الأيتام والأرامل والمساكين ، طاعةً لله ولرسوله ﷺ رغبة ورهبة ، خوفاً وطمعاً . قال صلى الله عليه وسلم : « فاليقين أحدم النار ولو بشق تمرة » (١) .

وأما وقاية الأهل من النار ، فبالتربية الإسلامية ، وتعليمهم شرائع الدين ، يعرفهم بالحلال والحرام والتسحب والمكروه ، وتعليمهم حسن الخلق ومكارم الأخلاق . ويملاً قلوبهم من محبة الله ومحبة رسوله ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (٢) ، ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (٣) ، فلا يتساهل المؤمن في شيء من أمر الدين وإن رآه صغيراً .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « كَخ ، كَخ ، ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة » ؟ (٤) ، وكان الحسن صبياً فزجره ونهاه .

وفي الحديث المتفق عليه عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في الأدب من صحيحه : ٣٧٥/١٠ الفتح من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه ، ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٦) باب : الحث على الصدقة .

(٢) سورة طه : ١٣٢

(٣) سورة مريم : ٥٥

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة ، باب : ما يذكر في الصدقة : ٢٨٠/٣ الفتح ، ومسلم في الزكاة برقم (١٠٦٩) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة . .

قال : كنت في حُجر النبي ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحيفة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا غلام ؛ سَمَّ الله تعالى وكلُّ بيمينك ، وكلُّ مما يليك » (١) .

ويجب التعاون على فعل الخير والطاعات . فكان صلى الله عليه وسلم إذا أوتر يوقظ أهله للوتر (٢) . ورُوي أن النبي ﷺ قال : « رحم الله امرؤ قام في الليل فصلَّى فأيقظ أهله (٣) ، فإن لم تقم رشَّ وجهها بالماء . رحم الله امرأة قامت في الليل تُصلِّي وأيقظت زوجها فإن لم يقم رشَّت في وجهه من الماء » .
إن المؤمن مكلف هداية أهله وتعليمهم الدين والخير وإصلاح بيته ، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه .

إن البيت المسلم قلعة من قلاع الإسلام فلا بد أن يُبنى على العقيدة الصحيحة ، ولا بد أن تكون متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها ، كل فرد يقف على نُصرة لا يُنفذ إليها من جهته ، فلا بد من الأب المسلم الصالح والأم المسلمة الصالحة ليقوما على الأبناء والبنات . يجب الاهتمام بالمرأة المسلمة لتكون داعية مجاهدة مُصلحة في بيتها لتُنشئ البيت المسلم والجيل المسلم ، وأي امرأة لا تكون كذلك لا تستحق أن تكون سيدة وراعية في بيت مسلم ، وأي رجل لا يكون كذلك فليس بكفء لأن يكون قيماً على بيت مسلم .

(١) البخاري في الأطعمة ، باب : التسمية على الطعام : ٤٥٥/٩ ، ٤٥٧ ، ومسلم في الأشربة برقم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوتر ، باب رقم (٣) ، باب : إيقاظ النبي ﷺ أهله بالوتر ، حديث رقم (٩٩٧) ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومسلم في الصحيح : صلاة المسافرين برقم (عام ٧٣٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن برقم (١٣٠٨) ، باب : قيام الليل ، وابن ماجه برقم (١٣٣٦) في إقامة الصلاة وإسناده حسن ، وصححه الحاكم في المستدرک : ٤٠٩/١ ، ووافقه الذهبي على تصحيحه وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (١)

التوبة النصوح : هي الصادقة التي تُطهِّر القلب وتنظفه ، وهي ما اشتملت على ثلاثة شروط : الندم على فعل المعصية ، والإقلاع عنها ، والعزم الصادق على أن لا يعود إليها أبداً .

ويرى بعض العلماء أنه إذا كانت المعصية في حق من حقوق الآدميين فلا بد من شرط رابع وهو : رد الحق إلى صاحبه إن كان مالا ، أو تمكينه من أخذه إن كان قصاصاً ، أو طلب المسامحة منه إن كان عرضاً . هذه هي التوبة

النصوح التي يُكفِّر الله بها السيئات ويثيب عليها بالجنات : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢)

إنه لشرفٌ عظيم وإغراءٌ مُطْمَعٌ وتكريمٌ كبير أن يضم الله المؤمنين إلى النبي ﷺ في صف واحد ، يتلقون الكرامة معه يوم العرض الأكبر ، وأي كرامة أحسن من الأمن يوم الفزع ، ثم دخول الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر (٣) ؟

يدخلونها في عنفوان الشباب أبناء ثلاث وثلاثين سنة (٤) ، لا يبولون

(١) سورة التحريم : ٨

(٢) سورة التحريم : ٨

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة . في البخاري رقم (٨٤٩٨) التوحيد ، ومسلم

في الإيمان (٣١٢) .

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك عند أحمد : ١٥٢/٣

ولا يتغطون (١) ، عَرَقَهُمْ كالمسك ، لهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ، ولهم عند ربهم مزيد (٢) ، إذا تجلَّى لهم الرب نسوا ما هم فيه من النعيم (٣) .

فأين هذا من النار التي وقودها الناس والحجارة ؟ (٤)

إن هذا الثواب ، وكذلك العقاب ، كلاهما يُصوَّرُ تبعاً للمؤمن في وقاية نفسه وأهله من النار .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ، لا تنسوا أنها أمامكم لا مفر عنها ولا محيد إلا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ ، ﴿ إِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالنَّجَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ زَحْزَحْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلْنَا الْجَنَّةَ .

اللَّهُمَّ تَعَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ وَعَمَّنَا بِعَفْوِكَ ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ ، وَوَقْنَا لِمَا يَرْضِيكَ ، وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ ، وَحَبِّبْنَا فِي لِقَائِكَ ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا مِنْ مَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رَسُولِكَ ﷺ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

* *

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة عند البخاري رقم (١٣٢٧) تفسير سورة الأنبياء ، ومسلم في صفة الجنة رقم (١٥) ، (١٦) .

(٢) إشارة إلى حديث صهيب ومسلم : ١٨١/١٢

(٣) إشارة لحديث أبي سعيد ، البخاري : التوحيد : ٤٠٧/٣ ، ومسلم برقم (٢٨٢٩) .

(٤) إشارة إلى الآيات : ٦ - ٨ من سورة التحريم .

(٥) سورة الأعراف : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة زوج وزوجة

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَفِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فواجب على أفراد الأسرة أن يؤدي كل واحد منهم للآخر ما يجب عليه من الحقوق ، ويجب أن يعرف كل واحد منهم مسؤوليته ، يجب التعاون على البر والتقوى ، يجب الاحترام والرحمة ، وبذلك يستقيم البيت ويتفرغ للتربية والإصلاح ، أما إذا حصل الشقاق والمنازعات ، ضاع الأولاد وأخذوا تصورات تؤثر في سلوكهم وعقلياتهم ، بل في حياتهم كلها .

شكت امرأة زوجها بأنه يسهر في الليل مع أصدقائه على معصية الله ، وإذا كان في بيتها يأمرها بالمباشرة عليهم بالطعام والشاي ، وهي تخاف على نفسها

فإذا وعظته هدها بالطلاق ، فنعم المرأة وبئس الزوج . وأخرى تشكو من زوجها بأنه يأمرها بالجلوس مع أبناء عمه متبرجة ، فإذا امتنعت أدخلهم عليها في غرفتها ، فإذا أقفلت الباب دونهم هدها بالطلاق ، فنعم المرأة وبئس الزوج . وبعض الأزواج يشكو من زوجته كثرة الخروج من بيته بدون إذنه ، وكثرة الطلبات التي تشق عليه ، وبعضهم يشكو إهمال البيت والأولاد واشتغالها بالملهيات والمسليات وإشغال التليفون بالمكالمات ، وبعضهم يشكو منها ترك الصلاة وله منها أولاد يخشى إن طلقها أن يضيعوا .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتقوا الله أيها الأزواج ، اتقن الله أيهتا الزوجات ، ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (١) ، اعرفوا واجباتكم وأدوها كما أمركم الإسلام ، وراقبوا ربكم في أولادكم ، ولا تنسوا الفضل بينكم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة التحريم : ٦

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٨ - تفسير سورة الانفطار (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴿٤﴾ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ ﴾ (٣)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد ..

فكثيراً ما يتحدث القرآن الكريم عن أحوال الساعة ومشاهد يوم القيامة ، بأسلوبه الخاص ونظمه الرائع بآيات قصيرة لها وقع في النفس الواعية كوقع السهام ، بل كوقع القنابل على الأجسام الحية ، وتُخلخل الكيان ، وتهز المشاعر ، وتنبه الغافل ، وتحث على الاستعداد والتحرك والإقلاع عما يضر ، والتوجه إلى أماكن القوة والدفاع والحصانة والنجاة . وفي القرآن العظيم سورة قصيرة تشتمل على خمسة مواضع في طيات آياتها .

(١) أُلقيت يوم ١٤٠٠/٢/٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٦

(٣) سورة الحديد : ٣

الأول : في أحول هذه المخلوقات وما يحصل لها إذا انتهت مدة هذه الحياة وأذن الله بفنائها ، وما يجده الإنسان بعد ذلك ، وهذا المعنى في خمس آيات .

والثاني : نداء من رب الناس لابن آدم بالصفة التي تميز بها على سائر المخلوقات وفُضِّلَ بها وأصبح أهلاً لخطاب الله ومحلاً لتكليفه وفي طيَّاته توبيخ وتهديد ، وتوجيه وإرشاد وذلك في ثلاث آيات .

والثالث : بيان لما عليه الإنسان من الغفلة عما يحيط به وعمما هو فيه وعن مآله في أربع آيات .

والرابع : بيان نتائج الأعمال وثمارها مذكور في أربع آيات .

والخامس : التنويه بهول يوم القيامة وحال الناس فيه وجهالة الإنسان بهذه الحقائق في ثلاث آيات (فهذه تسع عشرة آية) .

هل عرفتم هذه السورة ، إنها سورة الانفطار . فتعال أخي المسلم ، تعال أيها الإنسان ، أحضر قلبك من غفلته ، وأحضر ذهنك من مشاغله ، وأحضر فهمك عن صوارفه ، وتخلَّص من وسوسة عدوك ، واستمع لهذه السورة العظيمة ، وتعقل بفهمك مدلولاتها ، وانظر بعين رأسك في مسمياتها ، وانظر بعين قلبك في تحولاتها ، ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْفُثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا

كٰذِبِيْنَ ﴿١١﴾ يَعْمَلُوْنَ مَا تَفْعَلُوْنَ ﴿١٢﴾ اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِيْ نَعِيْمٍ ﴿١٣﴾ وَاِنَّ الْفٰجِرَ لَفِيْ جَحِيْمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُوْنَهَا يَوْمَ
الَّذِيْنَ ﴿١٥﴾ وَمَا مِنْ عِنَّا بِغَآيِبِيْنَ ﴿١٦﴾ وَمَا اَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّيْنِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا اَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّيْنِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ سِتِيًّا وَاَلَا مَرِيْبٌ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ ﴿١٩﴾ ﴿ (١) .

الله أكبر . . . إن قلوب بني آدم أقسى من الحجارة ، وأصلبُ من الجبال
الشامخات ، كيف لا تتفطر وكيف لا تخشع إذا تليت عليها آيات الله ﴿
لَوَ اَنْزَلْنَاهَا هٰذَا الْقُرْءَانَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاٰتِهٖ خَشِيْعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشِيْعَةِ اللّٰهِ ﴿ (٢) .
﴿ اِذَا السَّمَآءُ اَنْفَطَرَتْ ﴿ (٣) : أي انشقت . ﴿ وَاِذَا الْكٰوٰكِبُ اَسْتَرَّتْ ﴿ (٤) :
أي تفرقت واختل نظامها بقدرة القادر القاهر ، وهو تغير لجميع المخلوقات
في السماء . ﴿ وَاِذَا الْيَحٰٓزُ فُجِّرَتْ ﴿ (٥) : تفجيرها يحتمل عدة معان
متنوعة : منها يفجر بعضها على بعض بإزالة الحاجز بينها فيختلط مالها
بحلوها ، أو فُجِّرَتْ فذهب ماؤها وييست وصارت حرارتها ملتهبة ، أو
فُجِّرَتْ كتفجير القنابل الفتّآكة فصارت مواداً مدمرة وناراً مستعرة . ﴿
وَاِذَا الْقُبُوْرُ بُعِثِرَتْ ﴿ (٦) : أي بحثت وأخرج ما فيها من الأموات ، وهو إيذان
بتغير كل المخلوقات في الأرض . وعلى كل حال فإن هذه المخلوقات إذا
انتهت مدة هذه الحياة المسخرة لأهلها لم يبق فيها انتفاع للمخلوقين ، وإنما
تُبَدَّلُ اَرْضُ الدنْيَا بِاَرْضِ الْآخِرَةِ ، وسماء الدنيا بسماء الآخرة . ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ

(١) سورة الانفطار كاملة .

(٢) سورة الحشر : ٢١ .

(٣) سورة الانفطار : ١ .

(٤) سورة الانفطار : ٢ .

(٥) سورة الانفطار : ٣ .

(٦) سورة الانفطار : ٤ .

الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴿١﴾ : فيحصل لها من التغير ما لا يخطر على قلب بشر ولا يدركه فهم إنسان ، وليس للإنسان فائدة في البحث عن كيفية التغير ، وإنما فائدته في معرفة وقوعه والإيمان به للاستعداد لما بعده ، ولذلك قال تعالى بعد ذلك ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ ﴿٢﴾ : ما قَدَّمَتْ في أول حياتها وما أَخَّرَتْ في آخرها ، أو ما قَدَّمَتْ لآخرتها وما أَخَّرَتْ في دنياها بسبب الإهمال والتفريط ، علمت النفس ابتداءً من أول مراحل الآخرة عند الموت إذا بلغت إلى الحلقوم : علامات السعادة أو الشقاء ، وتعلمه عين اليقين إذا استلمت كتابها يمينها أو شمالها وقرأته ونظرت فيه . فتأمل أخي المسلم حال الإنسان وتصور شعوره وانزعاجاته وخوفه واضطراب حاله إذا حصلت تلك التغيرات الكونية في المخلوقات ، وإذا علم ما قَدَّم وأخَّر .

ولا شك أن في تغير الآيات الكونية الأرضية تغير الجميع ، ما على الأرض حتى الإنسان ، وفي تغير الآيات الكونية السماوية تغير لما فيها من المخلوقات : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ﴾ ﴿٣﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴾ ﴿٤﴾ : نداء من رب العالمين لجميع أفراد بني آدم ، بلقب الإنسان فيه المشتمل على الفطرة والفضل على المخلوقات المكمل بالإيمان والتقوى ، إنه نداء للإنسان الكافر ، ونداء للمسلم العاصي ، وكلُّ بني آدم خطأؤون وخير الخطائين التوابون . ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ﴿٥﴾ : استفهام

(١) سورة إبراهيم : ٤٨

(٢) سورة الانفطار : ٥

(٣) سورة الزمر : ٦٨

(٤) (٥) سورة الانفطار : ٦

توبيخ وتقريع واستنكار ، بمعنى أي شيء خدعك وصرفك عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فلم تطع الله ولم تخشهُ ولم تتق عقابه ، فلسان الحال من الكافر ، يقول غرّه الشيطان ، واللائق من المؤمن أن يقول : غمرني فضل الله وجوده وكرمه وعفوه ، وفي هذا السؤال توبيخ وتقريع على الصدود والإهمال في جانب الله . وفي قوله : ﴿ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (١) : بيان لفضل الله على الإنسان وأن هذا الفضل إنما هو من كرم الله وإحسانه على الإنسان ، وفي طيات ذكر صفة الكريم للخالق تبارك وتعالى توجيه للإنسان إلى الطمع في عفو الله ولطفه ، فيتوب ويرجع ويعمل صالحاً ما دام في دار العمل .

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴾ (٢) : تفصيل لبعض نعم الله تعالى على الإنسان ، فأوجده من العدم وجعله في أحسن تقويم ، وفي أجمل اعتدال ، وفي أحسن صورة ، كل عضو من أعضائه وكل جهاز في جسمه قائم بوظيفته أتم قيام دون تكلف من الإنسان ودون مشقة . وفي هذا بيان لإمكان البعث والنشور ، لأن الذي خلق الخلق الأول قادر على أن يعيده وهو أهون وأيسر ، والكل على الله سبحانه يسير .

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٣) : من صور الآباء والأمهات والأجداد ، وفي أي صورة شاء ، حسنة كانت أو قبيحة . فالله تعالى قادر على أن يجعل الإنسان على أي صورة أو شكل ، فاختر له أجمل الصور وأحسنها تكريماً له وتفضيلاً ، وهو قادر على أن يغيّر هذه الصورة بصور أخرى .

(١) سورة الانفطار : ٦

(٢) سورة الانفطار : ٧

(٣) سورة الانفطار : ٨

﴿ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ (١) : أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيباً بالمعاد والجزاء والحساب . وهذا صادر عن جهالة وحمق ، فكيف يُقابل بالإساءة ويقابل الخالق بالإنكار لمقدرته على المعاد والبعث والنشور ؟ ، وهذا في منتهي السفه والقسوة ، فما يكذب قلب بالحساب والجزاء ثم يستقيم ، لا على هدى ولا على خير ولا على طاعة ولا رحمة ، ولن يشتمل قلبٌ كذَّبُ بالبعث والجزاء على أدب ولا على طاعة ولا على نور ، ولن يحيا القلب ولن يستيقظ الضمير حتى يؤمن بالبعث ويصدق بالجزاء .

ولا شك أن منتهى الجهل أن ينكر الإنسان شيئاً هو صائر إليه ، وأن يغفل عن شيء يُحصى عليه ، وهي حال تدعو إلى العجب ، ولهذا قال سبحانه :
 ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿٢﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢) :
 حافظين لأعمالكم يحصونها .

مع كل إنسان ملك عن اليمين يكتب الحسنات ، وملك عن الشمال يكتب السيئات ، وتُجمع هذه السجلات اليومية في خزائن حتى إذا جاء يوم القيامة أخرجت له ملفاته يراها بنفسه ويقرؤها ويشهد على نفسه بما فيها .

ووصفُ الملائكة بكونهم « كراماً » استدعي إكرامهم ، فالكريم يستحق التكريم فلا يسوغ عملٌ فيه قبح بحضرة الكرام ، ولا يسوغ عمل فيه الإساءة للكريم ، والملائكة الكرام مع الإنسان لا يفارقونه أبداً إلا في حالين : عند دخول الخلاء ، وعند الجنابة . ولهذا أرشدنا نبينا محمد ﷺ بالتحرز من الشيطان والاستعاذة منه في هاتين الحالتين .

(١) سورة الانفطار ، آية : ٩

(٢) سورة الانفطار : ١٠ - ١٢

وفيد وصف الملائكة بهذه الصفة اطمئنان النفس إلى عدلهم وتأييدهم في الكتابة وتثبيتهم ، فذلك من لزوم صفات الكرام .

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝۱۳ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حِمِيمٍ ۝۱۴ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝۱۵ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝۱۶ ﴾ (١) : هذا هو الغاية والمنتهي ، وهذه ثمار الأعمال ونتائجها . فالأبرار الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويطيعون الله ورسوله ويعملون الخيرات والمبرات مسكنهم في جنات النعيم ينعمون في ملذاتها ، وأما الفجار ، وهم الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويعصون الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، فمأواهم نار جهنم وساءت مصيراً لا يستطيعون الفرار عنها ولا الخروج منها ، وهذا هو الغبن وهو الربح أو الخسارة .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝۱۷ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝۱۸ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝۱۹ ﴾ (٢) : السؤال لتفريغ وقوعه وتجهيل المكذب بيوم الدين ، وتكريره لبيان شدة هوله وإزعاجه وخوفه وعبوسه ، وقمطيرية كل نفس مشغولة بما أمامها فلا ينظر أحد إلى أحد ولا ينفع أحد أحداً .

استغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الانفطار : ١٣ - ١٦

(٢) سورة الانفطار : ١٧ - ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اليقين جنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الجوادِ الكريمِ الرؤوفِ الرحيمِ .
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قيومُ السموات والأرضين .
 وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، صلى الله
 وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .
 أما بعد . .

فإن الإنسان في غفلة وصدود عن واقع أمره ومستقبله ، فلو عرف الكافر ما
 في طيات المستقبل لما كفر بالله ، ولو أيقن المسلم بحقيقة ما آمن به لما عصى
 الله ، فلو أن مانع الزكاة أيقن بأنه سيكوى بماله ويُعذَّب به لما منع حق الله فيه
 ، ولو أيقن العاق بوالديه أن أبناءه سيفعلون به مثل ما فعل بأبويه لوصلهم ،
 ولو آمن شارب الخمر أنه ملعون مطرود من رحمة الله ، وأنه سيسقى من طينة
 الخبال عصارة أهل النار لما شربها (١) ، ولو علم آكل الربا وأيقن بأنه يقوم
 يوم القيامة كالمجنون يتخبطه الشيطان من المس (٢) أمام

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي برقم (١٢٩٥) البيهقي وابن ماجه برقم (٣٣٨١) ، وقال الحافظ في التلخيص الكبير :
 رواه ثقات وله شواهد كثيرة .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٧٥ سورة البقرة .

الأشهاد وأمام العالم كله لما تعامل بالربا ، ولو يعلم الزاني أنه سيُجعل في
تنور يُسعر عليه لما زنى ، ولو أيقن تارك الصلاة أنه سيلقى غياً وأن بصلاح
صلاته يصلح عمله (١) ، وبفسادها يفسد عمله لما تركها .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة مريم ، وإشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله
عنه ، أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه والفریابی ، وسعيد بن منصور في سننه ،
وابن أبي حاتم في تفسيره ، وكذا ابن جریر الطبري ، وابن المنذر وكذا عبد بن حمید
في مسنده والبيهقي في البعث والنشور ، كما عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥٢٧/٥
إلى هؤلاء ، ثم ذكر الحديث بطوله ..

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ - تفسير سورة القدر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، أكرمنا بشهر الصبر ، وفيه ليلة خير من ألف شهر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٣) .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أجود من الريح المرسلة ،
وأجود ما يكون في رمضان .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .
أما بعد ..

فإن مما يبشر بالخير تسابق المسلمين إلى فعل الخيرات وعمل الطاعات المقربة
من الله .

(١) ألقيت يوم ١٩/٩/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة مريم : ٦٥

إن أماننا ليلةً مباركةً تُكفَّرُ فيها السيئات ، وتقال فيها العثرات وتُرفع فيها الدرجات ، وتضاعف فيها الحسنات .

من أحياء ليلها يعبدُ الله غُفْرَ له ما تقدَّم من ذنبه . العبادة فيها أفضل من العبادة في ألف شهر ، أثنى الله عليها ومدحها في محكم التنزيل ، وأنزل فيها سورة سميت بها ، وذكرها في سورة الدخان ، ونوّه عنها في سورة البقرة .

قال الله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٣﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَرِيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٤﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٦﴾ ﴿١﴾

فالليلة التي تتحدث عنها السورة : هي الليلة التي ورد ذكرها في أول سورة

الدخان : ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ﴿٢﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴿٢﴾ .

وأول نزول القرآن الكريم على النبي المطهَّر صلى الله عليه وسلم كان في شهر رمضان : ﴿١﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ .

فليلة القدر هي الليلة المباركة وفي شهر رمضان لها فضل كبير وشأن جليل .

(١) سورة القدر كاملة .

(٢) سورة الدخان : ٣ - ٦

(٣) سورة البقرة : ١٨٥

وإذا تأملنا سورة القَدْر عرفنا شيئاً من مدلولاتها ..

يَرْجِع الضمير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ (١) إلى القرآن الكريم ، ولم يصرح بذكره لعظمته وعلو قدره وشهرته ، وقيل : يرجع إلى القرآن المذكور في سورة العلق : ﴿ أَقْرَأَ بِأَسْرَرِكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ (٢) أي أول ما أنزل القرآن على قلب محمد ﷺ كان في شهر رمضان في الليلة المباركة : ليلة القدر .

وسميت تلك الليلة بـ « ليلة القدر » لعظم قدرها وجلالة أمرها وكثرة بركتها ، ولأنه يُقَدَّر فيها كل أمر حكيم ، وكرّر في السورة قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ﴾ (٣) مع الاستفهام في المرة الثانية لبيان شرفها وعِظَم قدرها وتعدّد خيراتها وعظم ما أنزل فيها .

وجاء التعبير في قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ (٤) بلفظ الماضي للتنبؤ به بأن رسول الله ﷺ أرى ليلة القدر (٥) .

قال بعض العلماء : ما كان في القرآن : « وما أدراك » فالمخاطب يعلمه كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٧ ﴾ (٦) ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ ﴾ (٧) ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِمُونَ ۝١٩ ﴾ (٨) ،

(١) سورة القدر : ١

(٢) سورة العلق : ١

(٣) سورة القدر : ١

(٤) سورة القدر : ٢

(٥) البخاري : ٥٩/٣ عن ابن عيينة .

(٦) سورة الانفطار : ١٧

(٧) سورة المرسلات : ١٤

(٨) سورة المطففين : ١٩

يَعِينُ ﴿٨﴾ (١) . فإن الرسول ﷺ قد أخبره ربه بيوم الدين ، ويوم الفصل ، وبالجنة والنار .

وأما ما كان بلفظ المضارع كقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ يَتَذَكَّرُ ﴾ (٣) ، فقد استأثر الله بعلمه .

فعلم الساعة عند الله وحده ، وما يعلم خفيات الصدور إلا الله .

وقوله سبحانه : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٤) . ذكر ابن كثير رحمه الله عن مجاهد قال : عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر .

فتزول القرآن في تلك الليلة لإنقاذ البشر من الخطر ، ولرفع الظلم والبطر ، ولربط العالم السفلي بالملا الأعلى ، وتصحيح التصورات والاعتقادات ، وتطهير المعاملات ، وتنظيم الشهوات ، والربط بين الدنيا والآخرة .

ومضاعفة ما يحصل في تلك الليلة من الأعمال الصالحات ، واستجابة الدعاء ووفرة ثواب الصدقات والبركة ، وتنزل الملائكة مع جبريل عليه السلام ، وانتشار السلامة في الأرض من جميع الآفات . هذه الوقائع في تلك الليلة تجعلها خيراً من آلاف الشهور التي ليست فيها ليلة القدر ، فتفضيل الأزمنة بحسب ما يحصل فيها ، وليست بالكثرة والطول ، وعدد الألف يستعمل في وفرة التكميل لا للحصر ، كقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَذُ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٥) .

(١) سورة المطففين : ٨

(٢) سورة الأحزاب : ٦٣

(٣) سورة عبس : ٣

(٤) سورة القدر : ٣

(٥) سورة البقرة : ٩٦

وذكر بعض المفسرين عن موطأ الإمام مالك رحمه الله أن رسول الله ﷺ أرى أعمارَ أُمَّته ، وأرى ما شاء الله من أعمار الناس قبله ، فكأنه تقاصر أعمار أُمَّته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ، أي العمل فيها مضاعف فيكون ثوابه أكثر من الذي يعمل طول حياته أعمالاً صالحة حتى لو كان عمره ألف سنة . وهذا إكرام من الله لنبيه ﷺ وإكرام لأُمَّته .

والقرآن الكريم أثبت أن ليلة القدر في شهر رمضان ، لكن لم يُعَيَّن أي ليلة من ليالي الشهر ، إلا أن النبي الكريم رحمةً بأُمَّته وشفقةً عليهم وحرصاً على نجاتهم وسعادتهم حثَّ أُمَّته على تحري ليلة القدر في أفراد العشر الأواخر من رمضان .

روى البخاري رحمه الله في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » . وروى أيضاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان - أي ليلة القدر - في تاسعة تبقى في سابعة تبقى » .

وأخفيت ليلة القدر مع الحث على تحريها ليجتهد المسلم ويكثر من الطاعات في عدد من الليالي تحرياً لليلة القدر .
والسورة الكريمة تحث المسلمين على طلب ليلة القدر لينالوا من خيرها وبركتها .

وحث النبي ﷺ بقوله وفعله على إحيائها بالعبادة . روى البخاري (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من صام رمضان إيماناً

(١) البخاري

واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، ومَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه .

وللبخاري عن عائشة (١) رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدّ مثزره وأحيا ليله وأيقظ أهله .

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان للتفرغ للعبادة والذكر وتلاوة القرآن ومناجاة الملك العلام .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، أيعجز المسلم أن يجتهد في العبادة عشرَ ليالٍ ؟

أيعجز أن يجتهد في خمس ليالٍ يلتمس ليلة القدر المباركة ؟

اللَّهُم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وشفاء أمراضنا وقائدنا إلى

جنات النعيم .

اللَّهُم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور

الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفضيل ليلة القدر بالعمل

(الخطبة الثانية)

﴿ الْعَزَّوَجَلَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، اللَّهُمَّ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ وَعَلَىٰ عِبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد ..

فإن الله تعالى جعل فضيلة ليلة القدر في الاشتغال بطاعته ، ونزول الملائكة فيها ليعبدوا الله في أرضه كما عبدوه في سمائه ، وليروا أنواعاً من العبادات والطاعات لم تكن عندهم مثل : إطعام الطعام ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والجار والصديق والغريب والرفيق والأرامل والأيتام وابن

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة البقرة : ٢٦١

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

السبيل ، واستغفار المذنبين ، وتضرع التائبين ، وغير ذلك من الطاعات ،
والقرب التي يختص بها بنو آدم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنَّ يَأْسَؤُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ وَمَا ذَلِكُ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ﴿١﴾ .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . تداركوا ما بقي من أيام شهركم ، وتعرضوا
لنفحات ربكم ، وأروا الله منكم ما يرضيه عنكم .

أخي المسلم : إذا توجه الناس إلى المحبوب من الشهوات فتوجه إلى فاطر
الأرض والسموات ، فستجد عنده خيراً مما عند أولئك : ﴿ قُلْ أُوْنِيْتِكُمْ
بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالْقَنِينِ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْزِعِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴿ (٢) .
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴿٥﴾ ﴿ (٣) .

* * *

(١) سورة فاطر : ١٥ - ١٧

(٢) سورة آل عمران : ١٥ - ١٨

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠ - تفسير سورة العصر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَّانِ ﴾ (٢) ، اللَّهُمَّ لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما

أثنت على نفسك (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته ، واحد في ألوهيته ، واحد في أسمائه وصفاته ، واحد في شرعه وقدره ، واحد في أمره ونهيه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم به صراطاً مستقيماً (٤) .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه ودعى بدعوته .

أما بعد ..

فإننا نقرأ في كتاب الله العزيز ، سورة قصيرة آياتها ثلاث ، كلماتها قليلة ، ومدلولاتها شاملة كثيرة ، محكمة المعنى واسعة المجال ، إنها ترسم للأمة

(١) ألقى يوم ١١/٥/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ، أخرجه مسلم في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها ، الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٤) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الحديد في هذا المعنى ، والآية ٥٢ من سورة

الشورى .

الإسلامية منهج الحياة الكامل ، ونظام المسيرة الناجح ، ترسم طريق النجاة والسعادة ، وما عداه فطريق هلاك وضلال . قال الإمام الشافعي في شأنها : لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم (١) . إنها سورة العصر :
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (٢) .

ما أعظمها من سورة ، وما أجمله من إيجاز فيه الإعجاز .

الآية الأولى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ (٣) : قَسَمَ من الكبير المتعال ، الذي خلق العصر وخلق الإنسان ، ويديه السعادة والشقاوة ، ويديه العز والذل ، والنصر والخذلان .

أقسم بالعصر وهو الزمن الذي يعيش فيه الإنسان ويعمل فيه ، وبه تنقضي حياة الإنسان وأيامه ، والله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته كقوله تعالى : ﴿ والفجر ﴾ ، ﴿ والشمس ﴾ ، ﴿ والليل ﴾ ، ﴿ والنجم ﴾ ، و ﴿ الطور ﴾ .

والآية الثانية : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (٤) : جواب القسم ، أمر عظيم له أهميته وخطره ، وفيه الخوف والفرع ، يثير المشاعر ويحرك الهمم ويوجب القلق ، ويحث على طلب الربح والنجاة .

والآية الثالثة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (٥) : استثناء من مدلول الثانية، وهي ترسم طريق الربح

(١) هذا قول الشافعي ، نقله الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٦٥/٧

(٢) سورة العصر كاملة .

(٣) سورة العصر : ١

(٤) سورة العصر : ٢

(٥) سورة العصر : ٣

ومنهج السلامة ، وتوضح معالم طريق السعادة بعلامات أربع : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

الإيمان هو قاعدة المنهج وأساسه ، يربط بين الإنسان وبين خالقه ، وبهذا الارتباط الرفيع يُمنح الإنسان أنساً في الحياة ، وراحة نفسية في الوجود ، وأملاً مشرقاً في المستقبل ، فهو دائماً في تطلع وارتقاء ، دائماً في حركة وعمل ، بواصل مسيرته إلى الله .

الإيمان هو الذي يُقوم الإنسان ويصحح اتجاهه وينظم مسيرته ، فلا تتحقق الإنسانية الرفيعة الزكية إلا بالإيمان .

الإيمان هو الذي يحدد الجهة التي يتلقي الإنسان منها نظامه وتصوراتهِ ومقاييس الأمور وموازن الأحوال ، فلا يقبل سواه ولا يستوحش من الوحدة إذا انفرد في الطريق ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

الإيمان هو الذي يُحدّد معالم الربوبية والألوهية ويُعرّف بحقها ، ويُحدّد معالم العبودية وواجباتها ومسئولياتها .

الإيمان يرفع كرامة الإنسان عند الله تعالى ، فإذا أحس المؤمن بهذه المنزلة عند الخالق ارتفعت معنويته ، وقويت شكيمته ، وعزّت نفسه ، فلا يرضى بمقام الإهانة والخمول ، ولا ينزل إلى الوضاعة والذلة ، فلا ينساب خلف عُروض الحياة الدنيئة بما لا يتفق مع عزّته وكرامته عند الله .

الإيمان يعطي الموازين السليمة والمكاييل الصحيحة والمقاييس الحية ، فلا

يختلط الطيب والخبيث ، ولا يتساويان ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (١) .

فالإيمان هو أصل الحياة ، تنبثق منه فروع الخير والبرِّ والإحسان ، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره ، فإذا لم يكن كذلك فهو كالغصن المقطوع مآله إلى الذبول والجفاف .

الإيمان دليل على صحة الفطرة وسلامة التصور ، فالآيات الكونية الموجبة للإيمان مُرتبطٌ بعضها ببعض والإنسان جزء منها : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) ، فالإنسان الذي لا يتجاوب مع الآيات الكونية التي تحيط به ، فلا يؤمن ولا يتدبر ولا ينظر ولا يفكر ، ذلك في تصوره خلل وفي فطرته انحراف وفي نفسه التواء ، وذلك دليل الفساد والخسران . والخسران لا يصلح معه عمل ولو كان ظاهره الصلاح ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (٤) .

والعمل الصالح ثمرة الإيمان ، فالإيمان نور روحاني له شعاع يظهر إلى خارج القلب ، تُرسم حورته على الجوارح والأعمال ، فالإيمان قوة إيجابية متحركة ، فإذا لم تظهر آثار الإيمان على الجوارح ، فهو إما ميت وإما متزيف ، فالعمل الصالح دليل الإيمان وثمرته .

والعمل الصالح المطلق لا يقف عند حد في الكم والكيف ، وإنما بحسب

(١) سورة المائدة : ١٠٠

(٢) سورة الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) سورة الفرقان : ٢٣

(٤) سورة إبراهيم : ١٨

استطاعة الإنسان وما في وسعه ، وشرطه أن يكون مطابقاً لما جاء من عند الله على لسان خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ، فهو امتثال المأمور ، واجتناب المنهي عنه ، والتقربُ بالتواصل والتواصي بالحق ، أمرٌ بمعروف ونهي عن منكر ، دعوة إلى الله وإلى دين الإسلام ، أمر بالعدل ونهي عن الظلم ، بسطُ القسط ورفع الجور ، بذل الندى وكف الأذى .

والتواصي بالحق ضرورةٌ ، فالنهوض به عسير إلا بتيسير الله ، والمعوقات عن الحق كثيرة : هوى النفس ، وما يسمى بمنطق المصلحة الخاصة ، وتصوراتُ البيئة ، وظلمُ الظلمة ، وجورُ الجائرين .

والتواصي بالحق تعاون وتقارب للغاية ، وحمل عبء الأمانة ، وفيه حث على مضاعفة الجهود ، ولا يقوم الحق إلا بالتواصي به . والتواصي بالصبر ، صبر النفس على طاعة الله ، وصبرها عن محارم الله ، تواصي بتحمل الأذى في جانب الله ، وتحمل المشقة في سبيل الله ، بذل النفس والمال في سبيل الله ، تواصي بتحمل المسؤوليات والقيادة العامة . . بهذه الصفات الأربع ، تبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة والجماعة المسلمة ، ذات الكيان الخاص والرابطة المميزة والوجهة الموحدة ، تلك الأمة التي تشعرُ بكيانها كما تشعر بواجبها ، تلك الأمة المتضامنة المتحاببة الخيرة الواعية ، وهكذا يريد الإسلام من الأمة المسلمة ، يريدها أمة قوية خيرة واعية فاهمة عاملة متعاونة متعاطفة قائمة على حراسة الخير ونشر العدل ورفع الظلم والجور .

اللَّهُم اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وألّف بين قلوبهم على البر والتقوى .

اللَّهُم أقم علم الجهاد ، واقمع أهل الزيف والفساد ، وانشر رحمتك على العباد . . يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه وأطيعوا أمره وأنيبوا إليه .

اللَّهُم إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ فَاغْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تكملة سورة العصر

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يخلق ما يشاء ، ويحكم ما يريد (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

إذا تأملنا الآية الأخيرة من سورة العصر ، وما اشتملت عليه من قواعد لنظام الأمة المسلمة التي ربّأها نبينا محمد ﷺ على العلم والحكمة والتزكية والزهد والورع والعفاف والأمانة والإيثار والإخاء ، ربّأها على التقوى والإيمان ، على العدل والإنصاف ، تلك الصفات العالية التي أرادها الخالق تبارك وتعالى لأمة الإسلام ، الأمة الناجية الرابعة .

وإذا نظرنا إلى واقع العالم اليوم ، نرى الخسر يحيق بالبشرية في كل مكان ، نرى الضياع الذي يعانیه الإنسان في الدنيا قبل الآخرة ، نرى إغراض الناس عن الخير الذي أفاضه الله عليهم ، نرى كثيراً ممن يدعي الإسلام بعيداً عن أخلاق الإسلام وعن معاملات الإسلام وعن عبادة الإسلام ، فصار

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه ، أخرجه البخاري في الصحيح الأذان ، باب (١٢٦) حديث رقم (٧٩٩) : ٢٨٤/١٢ الفتح .

(٢) إشارة إلى الآيتين ٣ ، ١٧ من سورة المائدة .

المسلمون غثاءً كثفاء السيل ، هان الإسلام عليهم فهانوا على الله ، تسلط عليهم أعداؤهم وجعل بأسهم بينهم .

تُسفك الدماء البريئة ويُعتدي ظلماً وعدواناً على الحقوق المعصومة :
 ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١)
 أحدث كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة على قراءة سورة العصر وتأملها وتدبرها والعمل بمنهاجها . قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه السورة : ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الله بن حفص قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يُسَلِّم أحدهما على الآخر (٢) .

اللهم اسلك بنا طريق النجاة والسعادة ، وجنبنا طريق الخسران والهلاك .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

* * *

(١) سورة البقرة : ٢٥١

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٦٥/٧ ، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦٢١/٨ إلى الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مليكة الدارمي - كانت له صحبة ، ثم ذكر هذا الحديث .

وقد وقع خطأ في نسخة ابن كثير ، طبعة دار الأندلس - بيروت - إذ فيه ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حفص ثم ذكر الحديث ، والصحيح حفص بن عبيد الله كما قال الحافظ في التقريب رقم الترجمة (٤٤٩) : ١٨٦/١ ، وهو صدوق من الثالثة ، فالرواية هذه مرسلة ، ولكن عزاه السيوطي متصلة كما ترى ، ووجد خطأ مطبعي في الدر المنثور إذ جاء فيه أبو مليكة الدارمي والصحيح (التميمي) وهو زهير بن عبد الله بن جدعان أبو مليكة التميمي ، قال الحافظ في التقريب برقم (٧٥) : ٢٦٤/١ : صحابي له صحبة ، وله في الكتابين حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو من رهطه .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ - تفسير سورة الهُمزة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْعَتَدَةُ رَبِّ الْعَلَمَاتِ ﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فاتقوا الله تعالى وراقبوه في السر والعلانية ، واعلموا أن بعض الناس يتصف بصفة حقيرة لثيمة قد ابتلى بها المجتمع المسلم وصارت هي حلية المجالس وهي روضة النفوس الدنيئة ، ومنتزه العقول المغرضة ، إنها مرض اجتماعي متغلغل في أعضاء المجتمع ، وهي لا تأتي بخير ولا تدفع شراً ولا تشفى غليلاً ولا تردع عدواً ، إنها الغيبة والنميمة ، وإنما تزرع الضغينة وتُفرِّق المحبين ، وتورث الشقاق والعداوة والبغضاء ، ليست من صفات المؤمنين ، ولا من أخلاق أهل الفضل والشيم ، ولا من سمات أهل الرفق والشمم ، وإنما هي من صفات اللئام الذين يُفرِّقون بين الأحبة ، ويبغون للبراء العنت :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا كَسَبُوا فَقدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْمًا

(١) ألقيت في ٢٩/١/١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية : ٢

مُيِّنًا ﴿ (١) ، إنها من صفات كل عتُل زنيم (٢) باعثها الحقد والحسد ، وضعف الإيمان .

الغيبة هي ذكر المسلم بما يسوءه في حال غيبته (٣) ، سواء بالغمز واللمز ، أو بالكلام والإشارة ، وسواء بذكر المصائب ، أو تحقير الصفات ، أو بحكاية الأصوات والحركات ، أو بأي نوع يوحى بالسخرية والاستهزاء .

والنميمة هي نقل الحديث بين الناس وإفشاء الأسرار لقصد الإفساد والتفريق ، أو التزلف بها إلى المحكي عليه ، أو لغرض دنيوي يناله النمام بنميمته .
الغيبة والنميمة كبيرة من الكبائر ، حرام بنص كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين .

أنزل في المنام سورة كاملة : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ ﴿١﴾ لَمَزَةٍ ﴿٢﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَوْ عَدَّدَهُ. ﴿٣﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. ﴿٤﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٦﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٧﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٨﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٩﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿١٠﴾ ﴿ (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة نمام » (٥) .

الإسلام يريد أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً له أدب دافع ، ولكل فرد فيه كرامة لا تُمس ، يُريده أن يكون كالجسد الواحد يحس كل عضو بما يحس

(١) سورة الأحزاب : ٥٨

(٢) إشارة إلى الآية ١٣ من سورة القلم .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح البر والصلة حديث رقم (خاص ٧٠) ، و (عام ٢٥٨٩) ، باب : تحريم الغيبة .
(٤) سورة الهمة كاملة .

(٥) مسلم في الصحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه : الإيمان ، حديث رقم (خاص ١٦٨) ، و (عام ١٠٥) .

به الآخر (١) . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه (٢) .
 الإسلام وَضَعَ للمجتمع الإسلامي قواعد وأسساً بُنِيَ عليها ، ولا يسمح لأحد
 أن يعبت بها ولا أن يلطخها بما يشوهها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ
 فَاسِقٌ مُّبِينًا فَتَيَبْنَاكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ وَلَا يَجْتَسِسُوا وَلَا يفتَبْ
 بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ (٤) ، فليست العبرة بما يجده الرجل في نفسه ، ولا ما تجده
 المرأة في نفسها ، وليست هذه الصفات الفردية هي ميزان الحقيقة .

فلا يجوز للغني أن يحقر الفقير ، ولا للقوي أن يستهين بالضعيف ، ولا للشاب
 أن يسخر من الشيب ، ولا للسوي الجميل أن يستقبح الدميم . فليست هذه
 القيم الفانية والأعراض الزائلة هي مقياسُ الأمور ، وإنما العبرة بمقاييس رسالة
 رب العالمين : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » (٥) .

كثير من الناس يتهاون بالغبية ، ويظنها مجرد تسلية وأضحوكة يتلهى بها ،
 ويضحك بها الآخرين ، ولكن الأمر عظيم ، والناس عنه غافلون : ﴿ أَيَجِبُ
 أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٦) ، فما بال أقوام يأكلون لحوم

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، أخرجه البخاري
 برقم (٦٠١١) الأدب ، ونحوه مسلم البر والصلة ، حديث رقم (خاص ٦٦) ،
 (و عام ٢٥٨٦) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : البر والصلة
 حديث (خاص ٣٢) ، (و عام ٢٥٦٤) .

(٣) سورة الحجرات : ٦

(٤) سورة الحجرات : ١٢

(٥) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أخرجه البيهقي
 في السنن الكبرى ، وابن مردويه في تفسيره ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥٧٩/٦
 إليهما وفيه هذا اللفظ .

(٦) سورة الحجرات : ١٢

إخوانهم وهم أحياء ؟ روى أن امرأتين على عهد رسول الله ﷺ صامتا وكادتا أن تموتا من العطش ، فدعا بهما صلى الله عليه وسلم ، وقال لإحدهما : « قيني » ، فقالت من قيح ودم وصديد نصف القدرح ، وقاءت الثانية كذلك حتى ملأت القدرح ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن هاتين صامتا عما أحلّ الله وأفطرتا على ما حرمّ الله ، جلست إحدهما إلى الأخرى وجعلتا تأكلان لحوم الناس » (١) .

فاتقوا الله أيها الناس ، واحذروا حصائد ألسنتكم ، فإنما يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهما - حصائد ألسنتهم (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٣) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



(١) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٨٣/٦ - ٣٨٤ نقلاً عن البيهقي بإسناده عن عبيد مولى رسول الله ﷺ ، ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٢١/٥ ، وإسناده حسن ، وفيه : « وهل يكب الناس ؟ »

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عامة عذاب القبر من الغيبة والنميمة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادي إلى سواء الصراط .
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
 وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .
 صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ .
 أما بعد ..

فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا الغيبة والنميمة فإنهما تزرعان الحقد والحسد بين الناس ، وتقطعان الأرحام وتحلقان الدين ، وهما حسرة في الدنيا لأن مَنْ يتتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، وَمَنْ تتبَع الله عورته فضحه في جوف بيته (١) ، وهما ندامة في الآخرة ، وعامة عذاب القبر من الغيبة والنميمة . ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين يُعذَّبَان فقال : « إنهما يُعذَّبَان وما يُعذَّبَان في كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » (٢) .

(١) إشارة إلى حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٤٢٠ / ٤ - ٤٢١ ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (٢١٦) الوضوء ، باب (٥٥) ، باب : من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، ونحوه مسلم في الصحيح : الطهارة ، حديث رقم (خاص ١١١) .

وفي حديث أبي أمامة الذي رواه الإمام أحمد قالوا : يا نبي الله ؛ حتى متى يعدّبان ؟ قال : « غيب لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ ، ولولا فزع قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع » (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، احفظوا ألسنتكم من قبيح القول وفضول الكلام ، واشغلوا الفراغ بالقول السديد ، بذكر الله والتسبيح وقراءة القرآن والقول المباح ، فإن كل ما ينطق به المرء يُحصى عليه ويُدون في ديوانه ، فليُنظر الإنسان ماذا يقول وماذا يُسجّل في صحيفته .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند بهذا اللفظ : ٢٦٦/٥ ، قال في التقريب :

٤٦/٢ برقم (٤٣٠) : له شواهد كثيرة في هذا المعنى . والله أعلم .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ - تفسير سورة الكوثر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، أكمل ديننا وأتم علينا نعمته ، وهدانا للإسلام ، فله الحمد وهو أهل الحمد ، فلا يحمد أحد سواه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بعث فينا رسولا بالهدى ودين الحق ، بشر المؤمنين وأنذر الكافرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه وكرمه وشرح صدره ورفع ذكره واتخذه خليلاً وكلمه تكليماً ، وأعطاه الكوثر والمقام المحمود .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

ففي القرآن الكريم سورة آياتها ثلاث ، قصارٌ محكمات ، تين جانباً من عناية الله بنبيه ﷺ والدفاع عنه ، وتشبث فؤاده ، إنها سورة الكوثر :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (٣) فالكوثر مشتق من الكثرة ، وهو مُطلقٌ غيرُ

محدود ، ولهذا اختلف المفسرون في معنى الكوثر على قولين :

(١) ألقى يوم ٢٠/٥/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكوثر كاملة .

الأول : وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف ، أنه نهر في الجنة .
 الثاني : أنه عامٌ شامل لكل ما أعطاه الله نبيه ﷺ ، فهو الكوثر الذي لا
 نهاية لفيضه ولا إحصاء لمدلوله يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد .

فأدلة الجمهور .. ما رواه مسلم (١) رحمه الله عن أنس بن مالك رضي
 الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفَى إغفاءً ثم
 رفع رأسه متبسماً ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « لقد أنزلت
 عليّ أنفاً سورة » فقرأها ، ثم قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : الله
 ورسوله أعلم ، قال : « فإنه نهر وعدنّيه ربي عزّ وجلّ ، عليه خير كثير هو
 حوضي ترد عليه أمّتي يوم القيامة ، آنيته عددُ النجوم في السماء فيُخلَج العبد
 منهم ، فأقول : يا رب إنه من أمّتي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدث
 بعدي » (١) .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « أُعْطِيتُ الكوثرُ فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقاً ، وإذا حافاته قباب اللؤلؤ ،
 فَضْرَبْتُ يَدِي فِي تَرَبْتِهِ ، فَإِذَا هُوَ مَسْكٌ أَذْفَرُ ، وَإِذَا حَصْبَاؤُهُ اللَّوْلُؤُ » (٢) .

وروي البخاري (٣) عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : « حَوْضِي
 مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَأْوَهُ أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه
 كنجوم السماء ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً » .

وفي الصحيح عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما
 قالت : قال النبي ﷺ : « إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ،
 وَسِيُوْخِذُ نَاسٌ دُونِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ مَنِي وَمَنْ أُمَّتِي ، فَيَقَالُ : هَلْ شَعَرْتَ

(١) مسلم : ٣٠٠/١ في كتاب الصلاة ، تفسير ابن كثير : ٥٥٦/٤

(٢) ابن كثير : ٥٥٦/٤

(٣) فتح الباري : ٤٦٣/١١

ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم » ، فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نقتن عن ديننا (١) .

والأحاديث في الصحيحين والسنن والمسانيد كثيرة ، ولعله سمي النهر كوثرًا لكثرة ما فيه من المنافع ، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أنس عند مسلم المتقدم : « عليه خير كثير » .

وأدلة أصحاب القول الثاني : ما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه إياه . وقال سعيد بن جبير : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (٢) . وقال بذلك ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد بن دثار والحسن البصري حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة (٣) ، فيدخل تحت هذا التفسير كل ما أعطاه الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ من الكرامات والمعجزات ، فيشمل النهر ، والحوض ، والشفاعة ، والنبوة ، والقرآن ، والسنة ، والنصر والتمكين ، وإخياره ببعض الغيبات ، والنصر بالرعب ، وحل الغنائم ، وجعل الذلة والهوان على من خالف أمره ، وذكر اسمه صلى الله عليه وسلم مع اسم الله والصلاة والسلام عليه ، وجعل طاعته طاعة الله ، واتباعه دليل محبة الله ، وشمول رسالته وهيمتها على ما قبلها ، وكونه آخر الأنبياء بعثة ، وهو أولهم ذكراً ونعيماً .

وقد جمع الله تعالى لنبينا محمد ﷺ من الفضائل والمزايا والخصوصيات ما كان لجميع الأنبياء (٤) ، وكل هذه من الكوثر .

(١) فتح الباري : ١١ / ٤٦٦

(٢) فتح الباري : ١١ / ٤٦٣

(٣) ابن كثير : ٣٠ / ٥٥٨ ، تفسير مجاهد (٧٩٠) .

(٤) التفصيل للرازي : ٣١ / ١٢٥

لَقَدْ وَجَدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النُّبُوَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَفِي كَثْرَةِ
الْأَتْبَاعِ ، وَفِي الْفَضَائِلِ وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ الْعَظِيمِ ، وَفِي الْعِلْمِ وَفِي عِلْمَاءِ أُمَّتِهِ
الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَتَهُ وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى شَرِيعَتِهِ ، وَسَيَجِدُهُ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ
إِنْ شَاءَ اللهُ .

والسورة دليل على أن شكر النعم يكون بالتوحيد والإخلاص والتمسك بما
جاء به النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان .

ولهذا عقب بفاء السببية بعد نعمة الكوثر : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ (١) ،
فإخلاص العبادة لله واجب سواء في العبادات البدنية وأعظمها الصلاة ، أو
في العبادات المالية الاعتقادية ، وأهمها النُّسُكُ والنحر ، فالذبح إذا عبادة
وقربة يُتقرب بها إلى الله ، مثلُ الصوم والحج والصلاة ، فحرام على المسلم
أن يذبح لغير الله ، وحرام عليه أن يُقرب الكبش للسدنة قرباناً لموتى
الصالحين ، وحرام على المسلم أن يذبح على أساس البناء لطرد العين أو لدفع
الشیطان ، فإن الشيطان يتغاضم ويشيط إذا ذُبح من أجله ، وإنما يُطرد بذكر الله
وبالتوحيد وإخلاص العمل لله .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۝ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) والذبح عند القبور والأنصاب من
عادات المشركين .

وتخصيصُ الصلاة والنحر في السورة بالإخلاص والوحدانية لله ، لأنهما
دالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة
القلب إلى الله وإلى وعده .

والذي يذبح لغير الله مطرود من رحمة الله .

(١) سورة الكوثر : ٢

(٢) سورة الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

روى مسلم عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض . فاللعن من الله والطرده الإبعاد من مظان الرحمة ، واللعن من الخلق السبب والدعاء (١) .

والخالق جلّ وعلا يلعن من يستحق اللعن ، كما يصلى على من يستحق الصلاة .

قال عزّ وجلّ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٢) ، ﴿ نَحِيَّتَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٣) .
وقال العزيز الحكيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٤) ،
﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقُتِلُوا أَتَفْتِيلًا ﴾ (٥) .

وما يُذبح لاستقبال السلطان تقريباً إليه مُحَرَّمًا لا يحل له حتى لو ذُكر عليه اسم الله ، فإنه مما أهّلّ به لغير الله ، وكذلك ما ذبح من أجل الولي أو الصالح أو من أجل الجن أو الكواكب ، فهو حرام أهّلّ به لغير الله وإن ذُكر عليه اسم الله ، فهو حرام لا يؤكل ، وقوله في السورة : ﴿ إِنَّكَ شَانِئُهُ ﴾ هو الأبتَرُ أي مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به . ﴿ هو الأبتَرُ ﴾ : الأذل الأقل المنقطع ذكره ، فكل أعداء الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم انقطع ذكرهم وذلت نفوسهم وأصابهم من الحقارة والمهانة ما يليق بهم ، أما

(١) فتح المجيد ص ١٤٥

(٢) سورة الأحزاب : ٤٣

(٣) سورة الأحزاب : ٤٤

(٤) سورة الأحزاب : ٦٤

(٥) سورة الأحزاب : ٦١

نبينا محمد ﷺ فقد بقي ذكره خالداً دائماً عالياً ، والحق الذي جاء به ممتد
الفروع عميق الجذور .

إن الدعوة إلى الله وإلى الحق والخير والإصلاح ، لا يمكن أن تكون بتراء ،
ولا أن يكون صاحبها أتر ، لأنه موصول بالحي الباقي الذي لا يحول ولا
يزول ، فهو باق ذكره باق ثوابه ، وإنما الأتر هو الكفر والباطل وأهله ، فمن
اتبع الموصول فهو موصول ، ومن رضى بالمتور فهو مبتور .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، والتمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ ، ولا
ينبغي للمسلم أن يستوحش إذا رأى قلة السائرين وكثرة التائهين ، فإنه متوجه
إلى رب العالمين .

اللهم بارك لنا في القرآن ، وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان ، واغفر لنا
ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإنسان له رسالة

(الخطبة الثانية)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، هداانا لهذا الدين القويم ، يجزي
الحسنة بعشر أمثالها (٢) ، ولا يجزي السيئة إلا بمثلها (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٣) إشارة إلى الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

فيجب على الإنسان أن يعلم أنه مخلوق لهدف ، فليعمل من أجله ،
فليس الأمر وقت لعب ولهو وإهمال وتكاسل وغفلة ، إنما هو الابتلاء
والاختبار ، فليستعد للحساب والجزاء ، فليأخذ من حياته لموته ، ومن صحته
لمرضه (١) ، ومن غناه لفقره ، ومن فراغه لشغله .

اتقوا الله أيها المؤمنون ، ماذا ينتظر الإنسان في هذه الدنيا ؟ هل ينتظر إلا
مرضاً مقعداً أو هرمًا مفنداً أو غنىً مطغياً أو فقراً ملهياً أو موتاً مجهزاً . أم
الدجال ؟ فسر غائب ينتظر أم الساعة ، والساعة أدهى وأمر (٢) .

اتقوا الله يا إخواني في الله . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم
(١٦٤١٦) الرقاق ، باب (٣) بهذا اللفظ .

(٢) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة القمر .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ - تفسير سورة النصر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، فضله واصطفاه وأعطاه
فأرضاه (٥) ، وأظهر دينه على ما سواه (٦) ، أكمل به الدين وأتم به
النعمة (٧) ، ثم توفاه وفي الرفيق الأعلى أدناه (٨) .

(١) ألقى يوم ١٦/٩/١٤٠٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم
(١٧٩٧) العمرة ، باب (١٢) ، ونحوه مسلم في الحج رقم الحديث الخاص (٤٢٨)
من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة الإسراء : ٨١

(٥) إشارة إلى الآية ٥ من سورة الضحى .

(٦) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، والآية ٢٨ من سورة الفتح ، والآية ٩
من سورة الصف .

(٧) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٨) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في وفاة النبي ﷺ ، وقالت

فاطمة هذا القول . أخرجه البخاري برقم (٤٤٦٢) المغازي .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد ..

فإن في القرآن الكريم سورةً من قصار المفصلٍ تشتمل على ثلاث آيات تنبيء عن أمر عظيم حصل في شهر رمضان ، وتحدث عن تحول كبير في دعوة النبي ﷺ ، وترسم له ولأمته منهج الإسلام عند الانتصار ، وتخبر الصفة المختار - صلى الله عليه وسلم - بانتهاء مهمته في تبليغ الرسالة وقرب أجله ، فالرسول إذا انتهت مهمته رجع إلى مرسله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ (١)

النصر هو العون ، والمراد به نصر الرسول ﷺ على معانديه ومنكري رسالته وعلى قومه الذين ائتمروا على قتله وأخرجوه من بلده (٢) .

والمراد بالفتح فتح مكة ، وكانت العرب تتلوم في إسلامها يقولون : دُعا محمدًا وقومه ، فإن ظهر عليهم وتمكّن من أهل الحرم - وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل - فهو نبي (٣) .

(١) سورة النصر كاملة .

(٢) إشارة إلى ما ذكره ابن كثير في السيرة : ٢٢٦/٢ - ٢٨٥ بما حصل لرسول الله ﷺ من الأذى ، ثم أمره الله تعالى بالهجرة . ثم راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه السورة الكريمة : ٩٩٤/٧ - ٩٩٨ ، وأثبت موت النبي ﷺ بإيراد النصوص الكثيرة من القرآن والسنة .

(٣) إشارة إلى حديث عمرو بن سلمة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٢) المغازي ، باب (٥٣) وفيه هذا اللفظ .

فلما حصل الفتح وأظهر الله دينه وأعلى كلمته ، ونصر نبيه ومكّن له في مكة أقبل الناس على الإسلام ، فكانوا يدخلون في دين الله أُمّةً أُمّةً ، جماعاتٍ جماعاتٍ (١) .

ووى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سأل الصحابة وفيهم ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٢) ، فقال ابن عباس : أجلُّ أو مثلٌ ضُربٌ لمحمد ﷺ نُعيّت له نفسه (٣) .

وفي رواية : قال ابن عباس : قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له (٤) .
﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، فهو علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول (٥) .

ولما نزلت هذه السورة أخذ صلى الله عليه وسلم بأشدّ ما كان قط في أمر الآخرة حتى تورّمت قدماه ونحلّ جسمه . وقلّ تبسمه وكثر بكأؤه ، وكان يكثر التسبيح والتحميد والاستغفار .

روى البخاري في الصحيح بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان

(١) إليه يشير قوله تعالى في سورة النصر : ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴾ .

(٢) سورة النصر : ١

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عزاه الحافظ ابن كثير إلى النسائي وبعض أصحاب السنن إلا الترمذي وإسناده صحيح .

(٤) عزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٣٩٥/٧ إلى الإمام أحمد وقال : تفرد به أحمد .

(٥) عزاه ابن كثير في تفسيره : ٣٩٥/٧ إلى الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ وبرقم (٤٩٧٠) .

رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن (١) .

أما احتفال المسلم بالنصر . فنظام الإسلام في الانتصارات هو الخضوع لله ، والاستغفار مما قد يدخل في حديث النفس أو يمس القلب عند النصر من الفخر والاعتزاز والزهو والإعجاب بالنفس ، فالنصر من عند الله وحده ، فهو الذي يأتي به ، وهو الذي يحدد وقته ، فقد دخل رسول الله ﷺ مكة خاضعاً لله مطاطئاً رأسه مهلاًً مكبراً مُسبِحاً وحامداً وخاشعاً لله ، وصلى لله ثمان ركعات (٢) .

وهكذا كان أنبياء الله وأتباعهم ، احتفالهم بالنصر الصلاة لله ، والخضوع لله والحمد لله ، والبراءة من الحول والقوة . كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾ . . . الآيات (٣) . وقال سليمان لما حضره عرش ملكة سبأ ، قال : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ (٤) ، وهكذا نبينا محمد ﷺ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾ (٥) .

وأما قصة الفتح وسببه ، فمن المعلوم لدى من يعرف سيرة النبي ﷺ ما وجدته - عليه الصلاة والسلام - من قومه في مكة من المعاندة والمكابرة

(١) إشارة إلى ما عزاه إليه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٩٦/٧ - ٣٩٧ إلى سنن أبي داود ، قلت : وأخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٩٦٨) التفسير وهو من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٩٦/٧ . قلت : أخرجه مسلم في الصحيح ، صلاة المسافرين ، حديث رقم (خاص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥) ، و(عام ٧١١) .

(٣) سورة يوسف : ١٠١

(٤) سورة النمل : ٤٠

(٥) سورة النصر : ٣

والتكذيب ، وصدُّ الناس عن دعوته ، ثم آذوه وحاصروه حصاراً أديباً واقتصادياً وسياسياً ، وكان يأخذهم بالصبر والبرِّ والإحسان لعل الله أن يُخرج من ظهورهم من يعبد الله (١) ، ثم تمالؤا على قتله : ﴿ وَتَمَكَّرُونَ وَتَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ (٢) .

فعصمه الله من أعدائه وأمره بالهجرة إلى المدينة ، ثم رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو في المدينة أنه دخل مكة وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه ، فلما ساروا عام الحديبية سنة ست من الهجرة (٣) طمعوا في تحقيق رؤيا النبي ﷺ ، إلا أن حابس الفيل حبسهم ، فمنعهم المشركون من دخول مكة وصدوهم عن المسجد الحرام : ﴿ وَأَلْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مِحْلَهُ ﴾ (٤) ، ثم تصالح الرسول ﷺ مع قريش على وضع الحرب عشر سنين ، وعلى أن يعتمر من العام القادم ، وكان في الصلح أن من أراد أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه (٥) .

دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر بن عبد مناة من كنانة في عهد قريش ، وكان بين بني بكر وخزاعة ثأر في الجاهلية منعهم من أخذه اشتغال الناس بالدعوة المحمدية ، فلما وُضعت الحرب بصلح الحديبية أرادت بنو بكر أن تتأثر من خزاعة ، فخرج جماعة منهم وبيتوا خزاعة على ماء لهم قرب مكة يسمى الوتير ، فلجأوا إلى الحرم فلحقوهم (٦) ، وقتلوا منهم

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) بدء الخلق ، الباب (٧) ، ونحوه مسلم في الصحيح : الجهاد ، حديث رقم (١١١) بسياق طويل ، وفيه هذه اللفظ .

(٢) سورة الأنفال : ٣٠ .

(٣) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٣٢١ - ٣٢٢ نقلاً عن مصادر كثيرة موثوقة .

(٤) سورة الفتح : ٢٥ .

(٥) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٣٢١ - ٣٢٤ نقلاً عن مصادر موثوقة .

(٦) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٢٦ - ٥٢٨ نقلاً عن مصادر موثوقة .

رجالاً ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والتحريض ، وبعض قريش قاتل مع بني بكر متخفياً .

وبذلك نقضت قريشُ العهدَ وخالفت العقد ، فأرسلت خزاعة عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ بالخبر ، فوجده جالساً في المسجد ، فأخبره وأنشده شعراً يستنصره فيه ويقول : « أسلمنا وقتلنا رُكعاً وسُجداً » ، فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كأنكم بأبي سفيان وقد جاء ليشدَّ العقدَ ويزيدَ في المدة » ، فجاء أبو سفيان ، فلم يُلقِ له الرسول ﷺ بالاً ، ولم يشفع له أحد من الصحابة ، فعاد أبو سفيان (١) إلى مكة ، وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالاستعداد والجد والتجهز لفتح مكة ، لأن قريشاً نقضت العهد (٢) ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش » ، وجاءت امرأة مولاة لبعض بني هاشم تطلب الإعانة على حاجتها ، وحثَّ الرسول ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها ، فجاءها حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وأعطها كتاباً لقريش يخبرهم مسير رسول الله ﷺ إليهم ، فأخفت الكتاب في ضفائر شعرها ، ونزل الخبر من السماء بما فعل حاطب ، فأرسل إليها رسول ﷺ علي بن أبي طالب ومعه رِفقة ، فأنكرت الخطاب ، فقال عليُّ : والله ما كُذِّب رسول الله ، ولا كُذِّبنا ، وسلَّ السيف عليها ، فأخرجت الخطاب من ضفيرتها (٣) ، وسأل رسولُ الله ﷺ حاطباً ، فقال : يا رسول الله ، والله إنني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرتُ ولا بدلتُ ، ولكن كنت امرأةً ليس لي في قريش أهلٌ ولا عشيرة ، وكان لي بين

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٣٢/٣ - ٥٣٥ نقلاً عن مصادر موثوقة .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٣٥/٣ - ٥٣٦ نقلاً عن مصادر موثوقة .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧) الجهاد ، باب (١٤١) الجاسوس ، وهو من

حديث علي رضي الله عنه ، ونحوه مسلم في الصحيح : فضائل الصحابة برقم (١٦١) .

أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ، فاستأذن عمر في قتل حاطب . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، ففاضت عينا عمر ، وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحنة ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (١) .

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة لعشر مضين من رمضان سنة ٨ هـ صائماً ، ومعه عشرة آلاف ، فلما بلغ قديداً أفطر (٢) ، وعمى الله الأخبار عن قريش .

وكان العباس عم رسول الله بقي في مكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ (٣) ، فخرج إلى الهجرة ، فلقى رسول الله ﷺ في الطريق ، ولما نزل عليه الصلاة والسلام « مرَّ الظهران » عند حدود الحرم أمر بإيقاد النيران لإرهاب عدوهم بكثرتهم ، فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وخاف العباس رضي الله عنه على قريش فركب بغلة الرسول ﷺ لعله يجد بعض الخطابة فيرسله إلى أهل مكة يحثهم على المجيء إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليستأمنوه قبل أن يدخل مكة ، فسمع صوت أبي سفيان جاء يتحسس الأخبار يكلم من معه يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً ، فلما سمعه العباس ناداه ، وأخبره بأن هذا رسول الله ﷺ ، وأركب أبا سفيان معه على البغلة ليستأمن له من رسول الله (٤) .

(١) سورة الممتحنة : ١

(٢) أورده الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٣٩/٣ - ٥٤٢ نقلاً عن عدة مصادر موثوقة ومنها الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله تعالى .

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٤٣/٣ - ٥٤٤

(٤) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٤٦/٣ - ٥٥٤ نقلاً عن مصادر متعددة

موثوقة ، ومنها البخاري صاحب الجامع الصحيح ، والبيهقي بالدلائل بإسناده .

وكُلِّمًا مَرَّ العباس على قوم سألوه مَن هذا ، فإذا رأوا العباس وبغلة النبي ﷺ ، قالوا : عم رسول الله على بغلته ، حتى مرَّ بنار عمر بن الخطاب ، فقال : مَن هذا ، وقام إليه ، فلما رأى أبا سفيان قال : الحمد الذي أمكن منك يا عدو الله بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد إلى رسول الله ﷺ (أي ليستأذنه في قتل أبي سفيان) . قال العباس : فركضت البغلة فسبقته ودخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال عمر : يا رسول الله هذا أبو سفيان أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : قد أجرته يا رسول الله ، فقال : « خذه إلى رحلك وأت به في الصباح » (١) .

وفي الصباح أتى العباس بأبي سفيان ، وقال له : قل للرسول ﷺ كما قال إخوة يوسف : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴾ (٢) فقالها ، فقال الرسول ﷺ : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ اَلْيَوْمَ ﴾ (٣) ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله وإني رسول الله » ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . فأسلم وشهد شهادة الحق ، ثم حسن إسلامه (٤) .

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : ٥٤٨/١ - ٥٤٩ نقلاً عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى .

(٢) سورة يوسف : ٩١

(٣) سورة يوسف : ٩٢

(٤) أورده ابن كثير في السيرة : ٥٤٩/٣ نقلاً عن سيرة عروة بن الزبير رحمه الله

ودخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها غير مُحْرِمٍ وعلى رأسه المغفر ، وضربت له قبة في الأبطح (١) .

وأمر خالد بن الوليد أن يدخلها من أسفلها وأمرهم ألا يقاتلوا إلا مَنْ قاتلهم حتى يلقاه على الصفا (٢) .

ثم نهض رسول الله ﷺ من الأبطح ، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله ، وحرّضت قريش أخلاطاً من سفهائها وأوباشها وقالوا : نُقدّم هؤلاء فإن كان لقريش شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئنا ، فدعى صلى الله عليه وسلم الأنصار وأمرهم بقتال الأوباش وكف شرمهم وقطع دابرههم (٣) .

فلما دخل المسجد أقبل على الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت على الراحلة وفي يده قوس ، وحول البيت (٣٦٠) صنماً (٤) ، فجعل يشير إليها بالقوس ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٥) والأصنام تتساقط (٦) ، فلما أكمل الطواف دخل الكعبة ودار فيها وكبر في نواحيها ووحد الله وصلّى فيها (٧) ، وكانت قريش قد ملأت المسجد صفوفاً ،

(١) قال الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٥٤/٣ : صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة ، ثم أورد عليها الروايات الكثيرة ، ومنها عن الشيخين في صحيحهما .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير مفرقاً في السيرة : ٥٦٠/٣ ، ٥٦٣ نقلاً عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٨١/٣ - ٥٨٣ نقلاً عن مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده ذكرها ابن كثير في السيرة : ٥٨٢/٣

(٥) سورة الإسراء : ٨١

(٦) إشارة إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٣٢٩/٥ عن ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنووي ، وابن جرير رحمهم الله تعالى ، ثم ذكره بهذا المعنى مطولاً ..

(٧) إشارة إلى ما أخرجه مسلم في الصحيح : الجهاد حديث رقم (خاص ٨٤) ، و(عام ١٧٨٠) ، باب : فتح مكة ، باب رقم (٣١) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسياق طويل .

فقال رسول الله ﷺ : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده (١) ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم ، فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج (٢) ، ألا وقتل الخطأ وشبيه العمد بالسوط والعصا فيه (٣) الدية مغلظة مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها (٤) . يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب » ، وتلا هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٥)

ثم قال : « يا معشر قريش ؛ ما ترون أنني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : فأني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٦) .

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٥) الدعوات ، ونحوه مسلم : الحج برقم (٤١٨) .

(٢) إشارة إلى حديث محمد بن إسحاق بن يسار ، أورده الإمام ابن كثير في السيرة :

٥٧٠ / ٣

(٣) هو نفس هذا الحديث ، فيه هذا اللفظ ، وقد رواه الإمام أحمد في المسند من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) المسند : ١١ / ١ بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفيه الدية المغلظة ، كما

ذكر الخطيب .

(٥) سورة الحجرات : ١٣ ، وأما اللفظ : « هذا أذهب عنكم ... » : ابن كثير في

السيرة : ٥٧٠ / ٣

(٦) أورده ابن كثير في السيرة : ٥٧٠ / ٣ نقلاً عن سيرة محمد بن إسحاق بن يسار

المطلبي رحمه الله تعالى إذ قال : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال (ثم ذكره) .

وأخذت خزاعة تتأر لنفسها ، فقام عليه الصلاة والسلام ثاني يوم الفتح خطيباً فقال : « أيها الناس ؛ إنَّ الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمأ ، ولا يعضدَ فيها شجراً ، لم تحلِّ لأحد كان قبلي ولا تحلُّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلِّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، إلا ثم رجعت كرامتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلَّها لرسوله ولم يحلِّها لكم (١) . يا معشر خزاعة ؛ ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتهم قتيلاً لأدينه ، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاؤوا فدمَّ قاتله ، وإن شاؤوا فعقله » (٢) .

ثم قالت الأنصار بعضهم لبعض : أترون أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قُلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « معاذ الله ، المحيا محياكم ، والمماتُ مماتكم » (٣) .

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه . أخرجه البخاري برقم (٤٣١٣) المغازي (٥٣) ، وهي خطبته عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة ، ورواها مسلم في الصحيح الحج نحوه (٤٤٥) .

(٢) إشارة إلى حديث أبي شريح الخزاعي ، أورده الإمام ابن كثير في السيرة :

٥٧٨/٣ - ٥٧٩

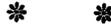
(٣) إشارة إلى ما علقه ابن هشام ، ونقله ابن كثير في السيرة : ٥٨١/٣ ، ثم قال رحمه الله تعالى : وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد في المسند .

قلت : نعم ، هو أسنده الإمام أحمد في مسنده : ٥٣٨/٢ بسياق طويل ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد أخرجه مسلم في الصحيح بسياق طويل : الجهاد ، حديث رقم (خاص ٨٤) ، و (عام ١٧٨٠) مثل حديث الإمام أحمد ولم يذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

وهكذا قُودتْنا وإماننا وشفيعنا صلي الله عليه وسلم جعل هذا الشهر المبارك ، شهر رمضان ، ميداناً للدعوة إلى الله ، وإصلاح خلق الله ، وإنقاذ عباد الله من مهالك الضلالات ومصائد إبليس وأعوانه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . الواجب على المسلم أن يصلح نفسه وسلوكه ومعاملاته ، وأن يؤدي الحقوق التي عليه لله ولخلق الله على وجهها ، وأن يحرص على نفع البشر ، وإنقاذ من تردى في هاوية البدع والوثنية وعبادة غير الله ، وأن يأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم أسوة بسيد الأولين والآخرين (١) .

اللَّهُم بارك لنا في القرآن العظيم .



(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب : ٢١ : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ... ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحطيم الأوثان

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِئِعْ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذْ أَوْمَأْتُمْ
الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٤) .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فلما تم الفتح الأكبر بعث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان فكسرت كلها

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة غافر : ٦٤

(٣) سورة غافر : ٦٥

(٤) سورة الأنعام : ٥٦

منها : اللآت والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره (١) .

فبعث خالد بن الوليد إلى العزى لخمس بقين من شهر رمضان ومعه ثلاثون فارساً من أصحابه فهدهما ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : « هل رأيت شيئاً ؟ » قال : لا ، قال : « فإنك لم تهدهما ، فارجع إليها فاهدهما » ، فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه ، فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء نائرة الرأس ، فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فقتلها ، وأخبر الرسول ﷺ ، فقال : « نعم تلك العزى » ، ثم بعث عليه الصلاة والسلام سعد بن زيد بن الأشهل إلى مناة ومعه (٢) عشرون فارساً ، فلما أقبل عليها خرجت امرأة سوداء عريانة نائرة الرأس تدعو بالويل والثبور ، فقال لها السادن : دونك مناة دونك بعض عصاتك ، فضربها سعد فقتلها وكسر الصنم (٣) ، وهكذا كل مكان يُعبد فيه غير الله يكون حوله بعض

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة في عدة مواضع : ٥٧١/٣ - ٥٩٧
(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٦٧/٣ - ٥٦٨ نقلاً عن البيهقي بإسناده عن أبي الطفيل رضي الله عنه .

(٣) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة : ٣٨٩/٤ - ٤٣٧ ، وذكره أيضاً ابن كثير في التفسير مختصراً : ٤٥٤/٤ - ٤٥٥ نقلاً عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى . قال الإمام ابن كثير في تفسيره : ٤٥٤/٦ - ٤٥٥ : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان دينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، فبعث إليها رسول الله ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب فهدهما - ويقال علي بن أبي طالب . اهـ .

وقال الحافظ في الإصابة : ٢٨/٢ رقم (٣٥١٨) بعد ما ذكر اسمه ونسبه ، ثم قال : وله ذكر في السيرة ، وأنه الذي هدم المناة الذي كان بالمشلل ، ثم ذكره . والصحيح - والله أعلم - هو الذي هدم المناة وكسر الصنم وقتل المرأة السوداء العريانة . والله أعلم .

شياطين الإنس والجن يُزَيِّنون للناس تعظيمه وتقديسه وعبادته وتقريب القرابين ،
وتخويف ضعفاء الإيمان من تلك الطواغيب والأصنام ، ولربما تسلط الشيطان
على بعض الناس فيضروه في ماله أو يغمزه في جسده ، وقد يصادف قدراً فيظنه
من ذلك المعبود ، وذلك لضعف إيمانه (١) . وما هو إلا ابتلاء من الله
واختبار: ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، انظروا إلى حال كثير من المسلمين كيف يعكفون
على القبور ويدبحون لها الذبائح والندور ، وكيف يطلبون منها العون والمدد
والنصرة بما لا يقدر عليه إلا الله ولا يُطلب إلا من الله (٣) .

إخوتي في الله : قد انتصف شهركم وأخذ في النقصان ، فكونوا خير
خَلْفَ لخير سَلَفَ ، كونوا أنصار الله وأنصار رسوله ﷺ ، ولا تغلبنكم العادة
وما كان عليه الأسلاف ، ولا يغرّنكم دعاة الضلال ، هذا كتاب الله واضح
طري ، وهذه سنة نبيه ﷺ غضةٌ سمحة ، فقيسوا الأعمال عليها ، فما وافقها
فعلى العين والرأس ، وما خالفها مما يعتقده بعض الناس أو يستحسنونه لما
يجدون فيه من المصالح الدنيوية أو يظنون وجودها ، فهو عمل باطل مردود
على صاحبه (٤) .

(١) قد يكون هذا من سحر الساحر كما سحر النبي ﷺ ، سحره لبيد بن الأعصم
اليهودي ، كما عند البخاري في الصحيح برقم (٥٧٦٣) الطب ، وهو من حديث
عائشة رضي الله عنها .

(٢) سورة المائدة : ٤١

(٣) إشارة إلى ما وقع فيه المسلمون من الشرك الأكبر بحسن الظن في كثير من البلاد
الإسلامية وغيرها على القبور والضرائح .

(٤) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، المتفق عليه ، البخاري : ٢٢١/٥ =

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

= (الصلح) : الفتح ، ونحوه مسلم في الصحيح برقم (١٧١٨) الأفضية كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .
(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ - تفسير سورتي المعوذتين (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ﴾ (٢) ، ملجأ الضعفاء ، ومستعاذ الخائفين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها (٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، دلنا على طريق النجاة وأمرنا بالاعتماد على الله والدخول في حماه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد ..

فإن الإنسان محفوف بالشهوات ، ومحاط بالأعراض ، ومهدد من الأعداء ، فلا بد له من قوة تحميه ، ولا بد من ملجأ يؤويه وحمى يحفظه ، ومن يقدر على خلق الله إلا الله ، ومن يعلم الخفيات إلا خالقها ، ومن يدرك العواقب إلا باريها ، ومن يحرس في الليل والنهار فلا يغفل إلا الحي القيوم ، ومن يعتني بالإنسان إلا أرحم الراحمين ، ومن الذي يعين إلا القوي

(١) ألقى يوم ١٣/٥/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة هود .

العزیز ، وهو رب الخلائق ، ورب الناس ، ورب الليل والنهار ، ورب
الإنس والجن ، ورب كل نافع وضار .

فها هو يدعوكم للعياذ بكنفه واللياذ بحماه من كل مخوف ظاهر أو باطن
معلوم أو مجهول ، ها هو يفتح حماه لكم وكأنه يقول في تودد ورحمة
وعطف : تعالوا إليّ ، تعالوا إلى هنا إلى الحمى الحصين ، هلموا إلى
مأمنكم الهاديء ، فأنا أعلم ضعفكم وأعلم أن لكم أعداءً وأن حولكم
مخاوف ، فقال تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ (٢) .

إن هاتين السورتين شأنهما عظيم ومنفعتهما كبيرة ، والإنسان في أشد
الحاجة إليهما فلا يستغنى عنهما أحد ، وحاجة العبد إليهما والاستفادة بهما
أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس ، فلهما تأثير في دفع
السحر والعين وسائر الشرور .

روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : قل أعوذ برب الفلق ،
وقل أعوذ برب الناس » . (رواه مسلم) (٣) .

(١) سورة الفلق كاملة

(٢) سورة الناس كاملة .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٨٤ / ٨) إلى مسلم في الصحيح والترمذي

والنسائي ، ثم ذكر الحديث .

وعند الإمام أحمد رحمه الله قال : « يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : فأقراني : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مرَّ بي فقال : « كيف رأيت يا عقب ؟ اقرأ بهما كلما نمتَ وكلما قمتَ (١) » . وفي رواية : « فما قمتَ تصلي بشيء مثلهما » (٢) .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند الإمام مالك رحمه الله قالت : إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالعوذتين وينث (٣) .

وإذا تأملنا سورة الفلق وجدنا المُستعاذ به صفة واحدة من صفات الله ، والمُستعاذ منه أربعة شرور . وسورة الناس المُستعاذ به ثلاث صفات من صفات الله ، والمُستعاذ منه شر واحد . وذلك - والله أعلم - أن سورة الفلق فيها حماية البدن والدنيا ، وسورة الناس فيها حماية الدين والعقل ، وهذا يدل على أن حماية الدين أهم من حماية الدنيا ، وأن حماية العقل أهم من حماية البدن ، ويدل أيضاً على أن التأثير في الدين أشد خطراً على الإنسان من التأثير في الدنيا ، وأن التأثير في العقل أشد خطراً من التأثير في البدن ، وتصدير السورتين وأمثالهما بصيغة الأمر من القول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (٤) ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (٥) ، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٦) ،

(١) أحمد في المسند : ١٤٤/٤ ، وإسناده صحيح .

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (٤١٥/٧) للإمام أحمد .

(٣) عزاه ابن كثير (٤١٧/٧) إلى الإمام مالك وإسناده صحيح .

(٤) سورة الفلق : ١

(٥) سورة الناس : ١

(٦) سورة الإخلاص : ١

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ (٢) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ (٤) ، ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٥) ، فهكذا أنزلت على رسول الله ﷺ فقرأها كما أنزلت . روى البخاري في صحيحه عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ - أي عن ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ - فقال : « قيل لي ، فقلت » : فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ، فالأمر : « قل » جزء من السوتين وجزء من القرآن (٦) ، والواجب التلقي عن رسول الله ﷺ كما تلقى عن ربه تبارك وتعالى . والنبي ﷺ يُبَلِّغُ عن الله فلا ينشيء شيئاً من قبل نفسه ولا يزيد ولا ينقص ، وإنما قال عليه الصلاة والسلام : « قيل لي ، فقلت » ، فمن زعم أن القرآن الموجود ليس هو كل القرآن المنزَّل فهو كاذب ، مُفْتَرٍ على الله ورسوله ، ومن أراد أن يحذف حرفاً فيما أنزل على محمد ﷺ فهو ظالم معتد أئيم .

لقد اشتملت السورتان على استعاذة ، ومستعاذ به ، ومستعاذ منه .

والاستعاذة تدل على التحرز والتحصن وطلب النجاة . فمعنى « أعوذ » : التجيء وأعتصم وأتحرز . والاستعاذة القائمة في قلب المؤمن وهي التعلق بالله ، والالتجاء إليه ، والاعتصام به ، والانطراح بين يديه ، والافتقار إليه ،

(١) سورة الكافرون : ١

(٢) سورة يونس ، آية : ١٠٤

(٣) سورة يونس ، آية : ١٠٨

(٤) سورة آل عمران : ٦٤

(٥) سورة الرعد : ٣٠

(٦) عزاه ابن كثير في تفسيره (٥١٤ / ٧) إلى البخاري بهذا اللفظ .

والتذلل له ، والاعتراف بالحاجة إليه . وهي تختلف باختلاف قوة الإيمان وشدة الحاجة .

والمستعاضُ به هو الله رب الفلق ، رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، الذي لا ينبغي لأحد أن يستعيز إلا به ، فهو الذي يعيد المستعيزين ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره ، وهو المنعم المتفضل القادر الحافظ الواقفي ، والاستعاذة بالموصوف بتلك الصفات - الربوبية ، والملك ، والألوهية - يتوافق مع معنى السورتين . والفلق : هو الصبح .

والمستعاضُ منه جميع الشرور ، والشر : هو الألم وما يفضي إليه الألم النفسي والألم البدني سواء وقع لرفعه ، أو لم يقع لدفعه .
لقد اشتملت السورتان على الاستعاذة من خمسة شرور :

- ١ - من شر المخلوقات التي لها شر .
- ٢ - ومن شر الغاسق إذا وقب .
- ٣ - ومن شر النفاثات في العقَد .
- ٤ - ومن شر حاسد إذا حسد .
- ٥ - ومن شر الوسواس .

فالأول عام يدخل فيه جميع المعاصي ، فأعمال الخلق خلق الله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعَمَلُونَ ﴾ (١) ، فهي شر ، وإن كان فيها نوع لذة للعاصي فهي مؤقتة يعقبها الألم كالطعام المسموم ، وما زالت النعم عن أحد إلا بشؤم معصية ، فإن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه

حتى يكون هو الساعي في تغييرها : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ (١) .

وإذا تأمل ذو بصيرة ما قصَّ الله في كتابه عن أحوال الأمم الذين أزال عنهم النعم وأحل بهم النقم ، وجد ذلك كله مخالفة أمر الله وعصيان رسله . وكذلك إذا تأمل أحوال هذا العصر وما يحصل فيه من كوارث ونقم وشرور وتسليط الأعداد وتسليط الفسَّاق ، وتسليط بعضهم على بعض ، وجد السبب عواقب المعاصي ، فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعة الله ، ولا حصلت فيها زيادة بمثل شكر الله ، ولا زالت نعمة عن عبد ولا عن بلد ولا عن أمة ولا عن دولة بمثل المعاصي ، إن المعاصي نار النعم تعمل فيها كما تعمل نار الوقود في الحطب اليابس .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، استعيذوا بالله ، وتحصنوا به من شرور الأنفس وسيئات الأعمال .

المستعادُ منه الثاني : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾ (٢) : كلمة « غاسق » تطلق على عدة معاني وأقربها لمعنى السورة وإلى الدليل أنه الليل إذا أظلم ، ففي ظلمة الليل تنتشر بعض المخلوقات المؤذية وينتشر المفسدون يستترون بظلمة الليل ويستغلون خلو الطرق من الناظر والماشي .

المستعادُ منه الثالث : **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** (٣) : أي السواحر الباغيات الأذى اللواتي يعقدن الخيوط وينفثن فيها للتأثير والإيذاء بخداع الأعصاب والتمويه على العيون ، والمراد بـ « النفاثات » - والله أعلم - : الأنفس والأرواح الخبيثة سواء أكانت ذكوراً أم إناثاً . والنفث : النفخ مع

(١) سورة الرعد ، آية : ١١

(٢) سورة الفلق : ٣

(٣) سورة الفلق : ٤

شيء خفيف من الريق ، فإذا تكيفت النفس الخبيثة بالخبث واستعانت بالأرواح الخبيثة من الجن خرج من الساحر نفس يمازجه الشر والأذى : ﴿ **وَمَا لَهُمْ بِصَكَارَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (١) ، والسحر : تخييل لا يغير شيئاً من الحقائق : ﴿ **يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ مَا تَسْتَعْتَبُونَ** ﴾ (٢) ، وأما قدرة الله وإرادته فتحوّل الأشياء إلى حقائق أخرى ، فالذين مسخهم الله تحوّلت ذواتهم قردة حقيقية ، كما حوّل سبحانه عصى موسى عليه السلام حية تسعى لها إرادة وتمييز ، فإذا هي تلقف جبالهم وعصيتهم (٣) وعظيم سحرهم وتخييلاتهم ، فلما انتهت مهمتها أخذها موسى فأعادها ربها سيرتها الأولى ، فإذا هي عود يابس جماد يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ويقضي بها مآربه .

الشر الرابع المستعاذ منه ، ﴿ **وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ (٤) : قد دل الكتاب والسنة والوقائع على أن حسد الحاسد يؤدي المحسود ، فالحسد شر يتصل بالمحسود من نفس الحاسد وعينه ، وإن لم يؤذ به بيده ولسانه ، والحسد انفعال نفسي على نعمة الله على بعض عباده مع تمني زوالها ، وسواء اتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة عن المحسود ، أو وقف عند حد الانفعال فإن شراً سيعقبُ هذا الانفعال ، ومسمى الحاسد يشمل كل حاسد من الإنس والجن فإن الشيطان يحسد المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله .

والحسد ثلاث مراتب : اثنان مذمومان ، وواحد محمود :

١ - شرها تمني زوال النعمة وإن لم يصب الحاسد منها شيئاً .

٢ - تمني انقطاع الخير عن المحسود .

(١) سورة البقرة : ١٠٢

(٢) سورة طه : ٦٦

(٣) إشارة إلى معنى الآية ٢٤٥ من سورة الشعراء .

(٤) سورة الفلق : ٥

٣ - هو الغبطة ، فيتمنى الحاسد أن يكون له مثل المحسود من غير تمني زوال النعمة عنه ، وهذا لا بأس به ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » (رواه مسلم) (١) .

الشر الخامس المستعاض منه : ﴿ شَرُّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (٢) .

نحن لا ندرك كيف تتم وسوسة الشيطان ، ولكننا نجد آثارها في واقع النفوس ، ونعرف أن المعركة بين بني آدم وإبليس قائمة من أول ما خلق الله آدم عليه السلام ، وأن إبليس قد أعلنها حرباً شعواء على بني آدم ، حرباً تنبتق من جبلة الشر في إبليس ومن كبرياته وحسده وحقده على آدم وذريته ، ونعلم أن إبليس قد استأذن الله في هذه الحرب فأذن لحكمة بالغة ، ولم يترك الله الإنسان لهذه الحرب مجرداً من العُدَّة ، فقد جعل الله له من الإيمان جنة ، ومن الذكر عُدَّة ، ومن الاستعاذة بالله سلاحاً ، ومن التوبة ملاذاً ، ومن الاستغفار نجاة .

روي البخاري رحمه الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس » (٣) .

(١) رواه البخاري : العلم : ١٥١/١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨١٦) صلاة المسافرين .

(٢) سورة الناس : ٤ - ٦

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره : ٤٢٣/٧ إذا قال : وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، ثم ذكر هذا اللفظ ، قلت : عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦٩٤/٨ إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه ثم ذكر هذا اللفظ .

أما وسواس الناس فهم كثيرون ، أليس منهم رفيق السوء الذي يدس الخبث إلى قلب صاحبه ويتحرى غفلاته ويتبع ميولاته ، وحاشية السوء التي تُزِين لكل ذي سلطان الأذى والتسلط ، والنمام الواشي الذي ينمق الكلام ويُزيِّنه حتى يظهر وكأنه هو الحق الصريح ، وبائع الشهوات الذي يدس في منافذ الغريزة ويُغري بدسائسه ، ودعاة السوء الذين يسمون المحرّمات بغير اسمها ويفتون بحلّها ، وأهل الأهواء الذي يتربصون بالعقيدة الدوائر ، والأئمة المُسلّون الذين لا يأمرّون بمعروف ولا ينهون عن منكر ويتبعون رغبات العامة في غير حق ، وغير أولئك من الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها ويدخلون بها في منافذ القلوب ، وإنما يتسلط الوسواس من الصنفين على الذين يغفلون عن ذكر الله ويتعدون عن شريعة الله ، فليس لهم حافظ من الله ولا هادي من شريعة الإسلام ، فيجد الوسواس من غفلتهم وجهلهم منافذ إلى قلوبهم ، ووسواس الناس أشد خطراً لأنه يظهر بمظهر الناصح الأمين والرفيق المطيع والصاحب النصوح فيحصل على ثقة عمياء فيدس السم في الدسم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، ينبغي لكل مسلم أن يتخذ من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ورداً يتحصن به من شياطين الجن والإنس ، ومن شر كل ذي شر ، وأن يعتصم بالله وبأسمائه وصفاته وكلماته التامة من شياطين الجن والإنس ، فيقرأ آية الكرسي والمعوذتين وسورة الإخلاص صباحاً ومساءً ، وإذا أوى إلى فراشه ، ويلزم الاستغفار وذكر الله ، ويلزم اجتناب المعاصي وغض البصر وحفظ الفرج واجتناب أكل لحوم الناس وأموالهم .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، ونعوذُ بك من شياطين الجن والإنس ، ومن شر ما يستخفي في الليل ويسرب في النهار ، ونسألك الرحمة والمغفرة لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف السحر

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، واعلموا رحماني الله وإياكم أن مسمى

السحر يُطلق على كل ما خفى ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث : « إنَّ

من البيان لسحراً » .

قال في فتح المجيد : قال محمد المقدسي في الكافي : السحر عزائم ورقبيّ

وعقد يؤثر بإذن الله . قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ

الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (٤) ولولا

أن السحر له حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١ من سورة الملك .

(٣) سورة البقرة : ١٠٢

(٤) سورة الفلق : ٤

وقال القرطبي : وعندنا أن السحر له حقيقة يَخْلُقُ اللهُ عندها ما يشاء ، ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة ، ومنه ما يكون كلاماً يُحفظُ ورُقياً وطلاسم ، وقد يكون من إلقاء الشياطين ، ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك ، والسحر من السبع الموبقات . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وعن جندب بن عبد الله البجلي قال : « حدُّ الساحر ضربُهُ بالسيف » .
(رواه الترمذي) .

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : بجالة ابن عبدة التيمي ، فقتلنا ثلاث سواحر .
وقد اختلف العلماء في حلِّ السحر عن المسحور ، والقول الذي تطمئن إليه النفس ما قاله ابن القيم رحمه الله .

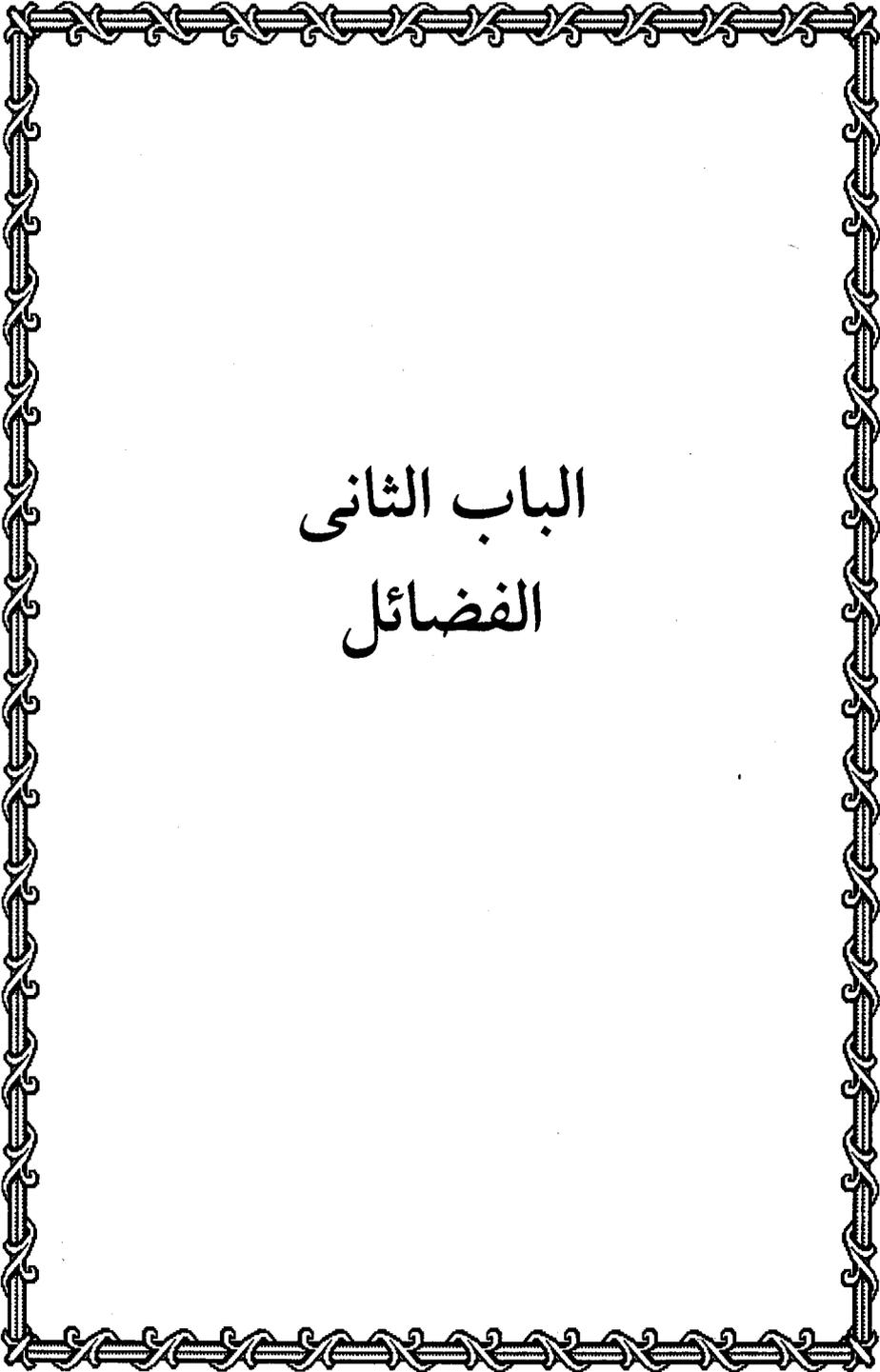
قال : النشرة حلُّ السحر عن المسحور وهي نوعان ، أحدهما : حل السحر بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يُحمل قول من قال : لا يحل السحر إلا ساحر .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فاتقوا الله أيها المسلمون

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

A decorative border with a repeating geometric pattern of interlocking lines, forming a rectangular frame around the text.

الباب الثاني
الفضائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »
٤٥ - القرآن حياة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) ، اللهم لك الحمد ، لا إله إلا أنت
المنان ، بديع السموات والأرض ، ذو الجلال والإكرام ، بك نحيا وبك نموت
وإليك النشور (٣) .

لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٤) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ
سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٥)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اتخذه الله خليلاً وكليماً ،
وأرسله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً .

(١) ألقيت يوم ١٧ / ١٠ / ١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . أخرجه أبو داود :

برقم (٥٠٤٩) ، وإسناده صحيح .

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه مسلم : برقم (خاص

(٢٢٢) ، و (عام ٤٨٦) .

(٥) سورة البقرة : ٢٥٥ (آية الكرسي) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد ..

فإن القلوب تحيا وتموت ، كما تحيا الأجسام وتموت ، ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، كما أن لها أمراضاً وآفات كما للأبدان : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

فحياة القلوب تستمدّها من خالقها بكثرة ذكره وقوة صلتها وإيمانها بربها .

وشفاء أمراضها في العلاج الروحاني الذي أنزله ربُّها على طبيب الأرواح والأبدان ، نبينا محمد ﷺ ، فمتى انقطعت صلتها بخالقها انقطعت عنها مادة الحياة ، ومتى انصرفت عن شريعتها أصابتها الأمراض والأسقام ، فيظل القلب فارغاً ، أو لاهياً ، أو تائهاً وحائراً .

والنفس تظل عابسةً كثييةً نكدة حتى تتصل بمصدر حياتها ، وحتى تعود إلى قرآنها الذي فيه قوتها ونشاطها ، فيتبدل الفراغ بمعرفة تملأ القلب حيوية ونوراً ، ويتبدل اللهو والغفلة بالانتباه والتفكير والعمل خوفاً وطمعاً ، وتبذل الحيرة بالاتجاه القويم على صراط الله المستقيم ، وتجد النفس آفاق الأمل والرجاء فسيحة أمامها ، فيتحوّل الحزن والعبوس راحةً واطمئناناً ورضاً بقدر الله ، لأنها عرفت أنها من الله وإلى الله وفي قبضة الله ، وأن لا ملجأ لها من الله إلا إليه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣) .

(١) سورة الأنعام : ١٢٢

(٢) سورة الحج : ٤٦

(٣) سورة الرعد : ٢٨

والإنسان في هذه الدنيا يخوض معركة مستمرة مع عدوه المبين من شياطين الجن . والمسلم يخوض معركة مع الشيطان ومع أعدائه من شياطين الإنس الذين يصدونه عن دينه وعقيدته ، فلا بد له من قوة يُعدها ، ولا بد له من حصن يتحصن به ، وإن قوة الإيمان بالله وكثرة ذكره عُدَّة للمؤمن وحصن له حصين :

﴿ وَإِمَائِرَ غَنَّاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) ،
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢) ،
 ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَامُوا فَكَلِمَاتٌ قَالُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

من أجل ذلك حثَّ القرآن العظيم على كثرة ذكر الله . قال تبارك وتعالى :

﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ (٤)

كما حثَّت السنَّة المُطَهَّرَة على الذكر وبيَّنت منزلته وتأثيره في الحياة . روى البخاري رحمه الله عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » (٥) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من أعطيهن فقد أعطى خيري الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً

(١) سورة فصلت : ٣٦

(٢) سورة الأعراف : ٢٠١

(٣) سورة الأنفال : ٤٥

(٤) سورة الأحزاب : ٤١ - ٤٢

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٧) الدعوات ، باب رقم (٦٦) : فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ ، وهو من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : ٢٠٨/١١ (الفتح) .

ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تُتبعه حُوباً في نفسها وماله «
(رواه الطبراني بإسناد جيد (١) ، وروى نحوه ابن ماجه (٢) .

ولما كان النبي ﷺ هو أعرف الناس بربه كان أكثرهم ذكراً لله عزَّ وجلَّ ،
فكان يذكر الله في كل أحيانه راقداً وقاعداً وقائماً ، ماشياً وراكباً ، مقيماً أو
مسافراً ، في مسيره ونزوله ، وعند أكله وشربه ، وعند نومه واستيقاظه ،
وعند قضاء حاجته ، وعند دخوله المنزل وخروجه ، ودخوله المسجد وخروجه ،
وعند دخول الخلاء وخروجه ، وعند غسله ووضوئه ، وعند لبسه الثوب
والنعل وغيرهما وخلعه ، وفي صباحه ومساءه ، وعند سماع المؤذن ، وفي
الصلاة والتهجد ، وفي مجلسه وقيامه ، وكلما استجد أمر أو تغيرت حال ذكر
الله بما يناسب المقام ، ولا يشغله ذلك عن تبليغ رسالته ، ولا عن
تعليم أمته ، وتفقد أحوالهم وتدبير شئونهم .

والمقام لا يتسع لذكر نماذج من الأذكار والأدعية الماثورة عن النبي ﷺ
فليرجع إليها في مظانها .

ذكر ابن القيم رحمه الله في الجزء الثاني من « زاد المعاد » طائفة منها ،
كما ذكر الإمام النووي رحمه الله في كتابه « الأذكار » جملة منها (٣) .

(١) أورده العلامة الهيثمي في المجمع : ٢٧٣/٤ ، وقال : رواه الطبراني في الكبير
والأوسط ، ورجال الأوسط رجال الصحيح ، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ابن ماجه برقم (١٨٥٦) ، باب رقم (٥) : أفضل النساء ، وهو من حديث
ثوبان مولى رسول الله ﷺ بسياق طويل وفيه هذا اللفظ وإسناده حسن .

(٣) هو كتاب قيم نافع في هذا الباب للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف
المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، نشر مطبعة البابي الحلبي بمصر - الطبعة الرابعة - عام ١٣٧٥ هـ ،
وقد خرّج الحافظ ابن حجر أحاديثه وسماه « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار »
مخطوط في المحمودية بالمدينة برقم (١١٧) ويوجد مخطوطاً بالخزانة المكية بالرباط
برقم (٢٢٥٤) .

وفي « الورد المصطفى المختار » مجموعة من الأدعية والأذكار المأثورة جمعها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمة الله عليه ، وكان يدعو بها في صباحه ومساءه .

وأفضل الذكر : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » خالصاً من القلب ، ومتى تكون خالصة من القلب ؟ إذا حجزت عن محارم الله .

وأفضل الدعاء « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » (١) .

وجماع الذكر : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » (٢) .

فاتقوا الله عباد الله ، اجعلوا ألسنتكم رطبة من ذكر الله (٣) ، وأحيوا قلوبكم بذكر الله ، فما قابل العبدُ ربَّه بشيء أفضل من ذكره ، ولا يدخل النار رجل ذكر الله خالياً (أي ليس عنده أحد) ففاضت عيناه (٤) بالدمع خوفاً وطمعاً خشية ورغبة .

اللَّهُمَّ أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك (٥) .

* *

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦٦٨/٥ إلى أحمد في المسند ، والترمذي في جامعه ، والنسائي في سننه ، والحاكم وصححه ، وذكر غيرهم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ثم قال : لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له .

(٢) أبو داود : برقم (١٢٩) وابن ماجه برقم (١٣٨٧) ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وإسناده حسن مع الشواهد . والله أعلم .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه : أحمد في المسند : ١٨٨/٤ ، وإسناده حسن .

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري : برقم (٦٦٠) : ١٤٣/٢ (الفتح) .

(٥) أحمد في المسند : ٢٩٩/٢ من دعاء النبي ﷺ وهو من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وإسناده صحيح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 « من فضائل الذكر »
 كل عمل صالح من الذكر

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ،
 ومن اتبع سبيله ثم استقام .

أما بعد ..

فإن فضيلة الذكر ليست محصورة في التسييح والتحميد والتهليل والتكبير ،
 ونحوها ، بل كل عامل لطاعة الله تبارك وتعالى - أيأ كان نوعها ومنزلتها -
 فهو ذاكراً لله ، والصلاة على النبي ﷺ من ذكر الله . قال النووي عن عطاء :
 إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف يبيع ويشترى ، وكيف
 يصلى ويصوم ويحج ، وكيف ينكح ويطلق ، ونحوها ، وكيف يُربي

(١) سورة فاطر : ١

(٢) سورة الحديد : ٣

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

الأولاد ويصِل الأرحام ، ويكفل اليتيم ويبر بالوالدين ، فكل طاعة لله ذكر الله (١) .

وأفضل الأعمال والأذكار ما ورد عن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ، وأئمة الهدى المتقين العارفين بالكتاب والسنة .

أما الأذكار والتسابيح التي لا تتفق مع قواعد الشريعة وأهدافها ، مثل أوراد التيجانية وأشباههم ، وأذكار منحرفي الصوفية ورقصاتهم ، والاقتصار على ضمير الغائب ، فليست مما وردت النصوص بفضلها وأجرها ، وإنما هي من ضلالات البدع .

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

والذكر لا يتغير بزمن ولا صفة ، إلا ما رد الشرع باستثنائه ، فيجوز للجنب والحائض والنفساء أن يذكروا الله دون تلاوة القرآن ، فإنه يحرم عليهم قراءته حتى يغتسل الجنب وحتى ينقطع دم الحائض والنفساء وتغتسل بعد الطهر ، ويجوز الذكر في كل مكان إلا في الخلاء والمزابيل ، فلا يدخل الخلاء بشيء فيه ذكر الله ولا يتكلم من دخله .

ويجوز الذكر على كل حال ، إلا حال قضاء حاجة الإنسان من بول أو غائط ، أو جماع ، ولكن يكون قبل هذه وبعدها .

(١) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٥

والمراد من الذكر حضور القلب وتفهم معنى ما يقول الذاكر ، واستحضار المقصود الذي من أجله أتى بالذكر ، فلا بد من توافق القلب مع اللسان .

وإذا أراد الإنسان أن يعرف منزلته من ربه ، فلينظر منزلة الله عنده :

﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلُّوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٥٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »

٤٦ - القرآن شفاء (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْمَكْتُوبَةِ نَبِيِّ السَّلْوِينَ ﴾ ﴿ (٢) ، ﴿ لَكَ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ (٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق بني آدم حنفاء فاجتالهم الشياطين (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، طيب القلوب والأبدان .
اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .
أما بعد ..

فإن الله تبارك وتعالى أعطى آدم وذريته فضائل ومكارم ومميزات لم تكن لغيرهم من المخلوقات ، خلق آدم عليه السلام بيده ، وأسجد له ملائكته ، وكلمه وعلمه ، وأسكنه جنته وغفر له زلته وجعله خليفة في أرضه ، وأعاز من

(١) ألقى يوم ١٩/٨/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة التغابن : ١

(٤) إشارة إلى حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح

برقم (خاص ٦٣) ، و (عام ٢٨٦٥) .

استعاذ به من ذُرِّيَّتِهِ ، وهدى من شاء من عَقِبِهِ ، وأخبرهم بأنه لا صلاح لهم ولا فلاح إلا بولايته ، وأرسل إليهم مبشرين ومنذرين لإصلاح معاشهم ومعادهم ، وعَرَفَ ضعفهم فرحمهم ، وعرف عَجَلَتَهُم فأمهلهم ، وتودد إليهم بأنواع النعم ، ولطف بهم في خطابه ، ورفق بهم في تشريعه ، يدعوهم إذا أدبروا ، وينادبهم إذا عنه انصرفوا : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ (١) ، ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤَارِيكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٤) ، ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (٦) ، ﴿ قُلْ يَعْبادي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (٧) .

﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكْمَ وَرِيشًا وَ لِبَاسَ الثَّقَوٰى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٨) ، ﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ ثِيَابِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩)

(١) سورة البقرة : ٢١

(٢) سورة الحج : ١

(٣) سورة فاطر : ٣

(٤) سورة فاطر : ١٥

(٥) سورة النساء : ١٧٠

(٦) سورة البقرة : ١٦٨

(٧) سورة الزمر : ٥٣

(٨) سورة الأعراف : ٢٦

(٩) سورة الأعراف : ٢٧

﴿ يَبْقَىٰ آدَمُ إِمَامًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَذَلِكُمُ الَّذِي تَلَذَّذْتُمُ بِهِ وَلَكِنْ لَمَّا بَيَّنَّاهُمْ أَنْ هَٰذَا صُلْحٌ لِّمَنْ آمَنَ وَلَمْ يَلْمِزْ يَاقِينًا وَلَا تَلْمِزْ يَوْمَ الْفُرْقَانِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَإِنَّ صُلْحَ الْإِنسَانِ لَهُ غَنَمٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿ ﴿ فذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُّكُمْ الْعَلِيُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٧﴾ ﴿ ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴿ ﴿ (١) ، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿ ﴿ (٢) . ﴿ فذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُّكُمْ الْعَلِيُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٧﴾ ﴿ ﴿ (٣) ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴿ ﴿ (٤) .

وهل شكر بنو آدم هذه النعم وهل أدوها حقها ؟

لكن إذا اختلت الموازين عند الإنسان ، واضطربت المقاييس ، وانعكست التصورات ، فرأى القبيح حسناً والحسن قبيحاً ، ويأخذه الغرور فيعمى قلبه ويطمس على بصيرته ، فلا يرى حقيقة عمله ، ولا يصلح من شأنه لأنه مطمئن إلى أن عمله حسن وإن كان عمله سيئاً ، ولا يتراجع عن خطئه لأنه واثق بأنه لا يخطيء ، ولا يقف عند حد لأنه يتصور كل خطوة يخطوها إصلاح ، وهذا مرض معنوي ، وهو أخطر الأمراض على الإنسان لأن نتائجه تلازمه في الدنيا والآخرة .

أما المرض الحسي فقد تكون نتائجه في صالح الإنسان في عاجل أمره وأجله .

إذ الأمراض التي تصيب بني آدم نوعان : مرض القلوب ، ومرض الأبدان . وكلاهما ذكرا في القرآن .

(١) سورة الأعراف : ٣٥

(٢) سورة الأعراف : ٣٦

(٣) سورة يونس : ٣٢

(٤) سورة الأنعام : ١٠٢

ومرض القلوب نوعان : مرض شك وريب ، ومرض شهوة وغى .

قال تعالى في مرض الشك والريب : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١) ، ﴿ أَلَمْ نَقُلْ لَهُمْ مَرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تبارك وتعالى مُحذراً من مرض الشهوة والمصابين به : ﴿ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ

لَسَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِن تَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٣) .

وأما مرض الأبدان فقال جلَّ شأنه : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ﴾ (٤) ، ﴿ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٥) .

وعلاج أمراض القلوب لا يحصل إلا بالوحي الذي جاء به نبينا محمد ﷺ ، فإن شفاء القلوب وصلاحها في معرفتها بربها وبأسمائه وصفاته ونعمه وإحسانه حال كونها ، مُمثلة أوامره مُجتنبه مناهيه ، فكل قلب آمن بالله وبرسالته وبرسالة محمد ﷺ وأنها خاتمة لها ناسخة فهو قلب سليم ، وكل قلب فقد الإيمان أو شك ، فلم يعمل المأمور ولم يتنه عن المزجور فهو قلب مريض ، ويجب أن يُعالج بالدواء الذي جاء به نبينا محمد ﷺ .

وأما علاج مرض الأبدان فيتوقف نجاحه على معرفة أسبابه ، فالطبيب الماهر يتعرف أولاً على سبب المرض ، فيعمل على قطع السبب ، ثم ينظر في المرض وصفته ، ثم ينظر في العلاج الذي يتلاءم معه ويزيله بلا ضرر .

(١) سورة البقرة : ١٠

(٢) سورة النور : ٥٠

(٣) سورة الأحزاب : ٣٢

(٤) سورة المزمل : ٢٠

(٥) سورة البقرة : ١٨٤

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يُعدل عنه إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا تعدل عنه إلى المركب . ولا ينبغي للطبيب أن يُكثر من أنواع العلاج للمريض ، ويقول : إن لم ينفع هذا نفع هذا ، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء أخذ من البدن أو أحدث داء آخر أو يزيد في المرض ، فإن الأدوية مثل الأغذية ، فإذا أكل الإنسان طعاماً دون حاجة إليه يسبب فساداً في المعدة وتعفنأ ويتحول إلى مادة تؤذي الجسم وأجهزته . وأخذ الأسباب والتداوي مباح ، فإن المرض من مخلوقات الله وكل مخلوق له ضد ، وكل داء له دواء .

روى مسلم رحمه الله في صحيحه بسنده عن جابر بن الله عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواءُ الداءِ بريء بإذن الله عزَّ وجلَّ » (١) ، وروي الإمام أحمد رحمه الله في المسند قال : جاءت الأعراب إلى النبي ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله أنتدأوي ؟ فقال : « نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عزَّ وجلَّ لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحد » ، قالوا : ما هو يا رسول الله ؟ قال : « الهرم » (٢) .

والأخذُ بالأسباب المباحة لا ينافي التوكل على الله كما لا ينافيه تناول الطعام لدفع الجوع ، والشراب لدفع العطش ، أو الأخذ بأسباب الوقاية من الحر والبرد ، والاستعداد للعدو بالقوة ، بل هي أسباب مأمور بها ، والله

(١) رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح كتاب « السلام » حديث رقم (خاص ٦٩) ، و(عام ٢٢٠٤) بهذا اللفظ ، والبخاري برقم (٥٦٧٨) الطب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بغير هذا اللفظ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢٧٨/٤ ، وإسناده جيد ، وهو من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه . ونحو هذا اللفظ أخرجه أبو داود في المسند برقم (٣٨٥٥) كتاب الطب .

تعالى هو الذي قدّر المرض وخلقه ، وهو الذي قدّر الشفاء ، فاستعمال الأسباب التي جعلها الخالق تعالى سبباً لحصول مسبباتها مثل التوحيد والتوكل .

رُوي في الأثر أن إبراهيم عليه السلام قال : يا رب ممن الداء ؟ قال : مني ، قال : فممن الدواء ؟ قال : مني ، قال : فما بال الطبيب ؟ قال : رجل أرسل الدواء على يديه .

وفي استعمال الأسباب المباحة تقوية لنفس المريض ومعنويته ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « لكل داء دواء » (١) حث على طلب الدواء وتقوية لمعنوية المريض ورجائه ومعنوية الطبيب واجتهاده ، فإذا قويت معنوية المريض وتعلق قلبه بروح الرجاء بردت عنه مرارة اليأس وقهرت نفسه المرض ، وإذا قوى رجاء الطبيب اجتهد في تحصيل الدواء المناسب .

والقرآن الكريم أرشد إلى أنفع الأدوية وأقربها وأسهلها تناولاً : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) ، ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ (٤) ، هذه الأدوية القلبية الروحانية أنفع علاج وأسرع ، فاعتماد القلب على الله ، والتوكل عليه والالتجاء إليه ، والانكسار بين يديه والتذلل له ، والدعاء والتوبة والاستغفار ، والصدقة والإحسان إلى الخلق ، وإغاثة

(١) قد مضى الحديث وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ، البخاري (٥٦٧٨) الطب من حديث أبي هريرة ، ومسلم في الصحيح كتاب « السلام » حديث رقم (خاص ٦٩) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما .

(٢) سورة يونس : ٥٧

(٣) سورة الإسراء : ٨٢

(٤) سورة فصلت : ٤٤

الملهوف ، والتفريج عن المكروب (١) لها تأثير في علاج القلوب وعلاج الأبدان ، قد عرفه من جرّبه ، ولكن إبليس يصد ابن آدم عن ربه وينسيه مصدر قوته وعلاجه . وإليكم هذه القصة لأحد الموحّدين أقوياء التوحيد :

أصيب مسلم قوي الإيمان بالله بمرض في المرارة ، وقرر مجموعة من الأطباء ضرورة إجراء عملية لاستئصالها خشية أن تنفجر ، وكان الحج على الأبواب ، فقال ذلك الرجل الفاضل : نحن الآن في استقبال الحج ، والعملية تُعيقنا وسنحج إن شاء الله ولا يقدر الله إلا الخير ، فشفاه الله وحج بصحة وراحة ولم يعد يحس بمرضه .

وشاب أصيب بمرض ، فصار لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ، وقرر الأطباء أن هذا المرض خطير وليس له علاج ، فأخذ أهله في التضرع إلى الله والدعاء والقرآن فشفاه الله ، فقال الأطباء : هذه قدرة الله أنقذته .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، علّقوا آمالكم بالله ، وقوا صلّتكم بالله ، واطلبوا حوائجكم من الله : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، البخاري برقم (٢٤٤٢) المظالم باب (٣) وفيه هذا المعنى ، ومسلم في الصحيح كتاب « البر والصلة » من هذا الوجه واللفظ برقم (خاص ٥٩) .

(٢) سورة يونس : ١٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 « من فضائل الإنسان تنظيم غذائه »
 مراتب الغذاء

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَسْبُ لِلَّهِ رَبِّ السَّلْمِينَ ﴿١٠﴾ الْأَمْنُ الْأَجِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، ثم لا يخفي أن الإنسان خلق من الماء

والتراب ، وقد جعل الله قوام حياته على الغذاء والماء والهواء بالتساوي ،

وإلى هذا أرشد النبي ﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام : « ما ملأ ابن آدم وعاء

شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فاعلاً ،

فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » (٢) .

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) أحمد في المسند : ١٣٢/٤ من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه ،

والترمذي برقم (٢٣٨١) في الزهد ، وابن ماجه في السنن برقم (٣٣٤٩) في

الأطعمة ، وحسنه الحافظ في الفتح : ٤٦١/٩ قاله المحقق على البغوي : ٢٤٩/١٤ ،

وإسناده حسن .

فمراتب الغذاء ثلاث : مرتبة الحاجة ، ومرتبة الكفاية ، ومرتبة الفضلة ، فأرشد النبي ﷺ إلى المرتبة العليا وهي مرتبة الحاجة ، ورخص في الثانية وهي الكفاية ، وأما الثالثة فقد نهى عنها صلى الله عليه وسلم في أول الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن » .

وتقسيم البطن أثلاثاً من أنفع الأسباب للبدن والقلب ، فإن البطن إذا مليء من الطعام ضاق عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس ، وعرض له التعب والمشقة والكسل بمنزلة من يحمل حملاً ثقيلاً ، والشبع المفرط يضعف القوي ويُنْهك البدن وإن أخصبته ، وإنما يقوي البدن بحسب ما يقبل من الغذاء لا بحسب كثرته .

﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ حُدُودًا زِينَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١)

﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ يَصَلِّ عَلَيْكُمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

* * *

(١) سورة الأعراف : ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ « من فضائل القرآن »

٤٧ - القرآن يعالج النفوس (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع ملته .

أما بعد ..

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وانظروا ما حولكم وما في العالم من فتن واضطرابات وزعازع ، وتأملوا أسبابها وبواعثها ، ثم انظروا في واقع الفرد والجماعة فيما بينكم ، واتقوا الله في أنفسكم وفي أمتكم وفي أوطانكم :

﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣)

إن سعادة الأمة وكرامتها وعزتها ، بل وحياتها وبقاء سلطانها ، يعتمد على عقيدتها وعلى أخلاقها وفضائلها ، فمتى استقامت العقيدة التي أسست عليها ، ومتى كملت أخلاقها وفضائلها ، استقامت الأمة واجتمع شملها وتوحدت كلمتها ، وارتصت صفوفها وقوى سلطانها ، أما إذا تزعزعت العقيدة ، وهي

(١) ألقى يوم ١٣٩٩/٣/٥ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

(٣) سورة الأنفال : ٢٥

القاعدة الأساسية للإسلام ، وهي الركن الأساسي لبناء صرح الأمة المسلمة ،
وأما إذا تدهورت الأخلاق وزهبت المكارم وتدهورت الشيم والغيرة ، وهي
الصرح الشامخ والحصون التي تحمي الأمة وتصون عزتها وسيادتها .

حينئذ يوشك أن ينهار الصرحُ ، وتذهب الهيبةُ ، ويتشتت الشملُ ،
وتفترق الكلمةُ ، وتُستباح البيضةُ وتُغمط الحقوقُ ، وتحل الذلة بعد العزة
والإهانة بعد الكرامة .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن المعاصي إذا ظهرت فلم تُغيّر ، لا تقف عند
حد ، بل تسري في الأمة إلى كل بيت وإلى كل أسرة ، تسري فيها كما
تسري النار في هشيم الوقود ، إن المعاصي هي أمراضُ المجتمع وضررها
أخطرُ من أمراض الأبدان . فكما أن الناسَ أفراداً وجماعاتٍ ودولاً ومنظماتٍ
يهتمون كل الاهتمام بعلاج الأبدان ووقايتها من الأمراض ، ويهيئون المحاجر
والمستشفيات ، ويعدون لها العلاج والمتخصصين ، يجب أيضاً الاهتمام
بأمراض الأرواح وأمراض المجتمع ، يجب على المسلمين في كل مكان ، على
كل فرد وشعب ودولة ومنظمة ، أن تهتم بأمراض الأرواح والعقيدة كما
يهتمون بأمراض الأبدان ، وأن تُهيأ لها الإمكانيات كما هيئت لتلك ، وأن
يُوَكِّى عليها أهل الاختصاص والنصح للإسلام .

إن القلب المؤمن ينعصر إذا رأى أو سمع ما يستورده بعض الناس - ومع
الأسف من المسلمين ومن أبناء المسلمين - يستوردون من الشرق والغرب ومن
أوكار الفساد معاول هدامة ، وانحرافات شرسة تهدم الإسلام وتسحق
الأخلاق . عادات وتقاليد لا تتفق مع ديننا ، لباس خليع وحفلات غريبة
وأشرطة سجل فيها أقوال غير مشروعة وأفلام تصف ما يجب أن يستر ،
وأشرطة مسموعة ومرثية تُعلِّم الفساد وتثير الغرائز وتدعو ضد الإسلام ،
أضف إلى ذلك كتب الزندقة والبدع ، أفكاراً متسمة وآراء منحرفة ، وسماً مدسوساً
في دسم يراد منه التفرقة وتصدع الصف وفتح ثغرات يدخل منها المخربون .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، يجب على كل مسلم أن يصلح من شأنه ومن شأن أولاده وأهله ، وأن يصلح ما يستطيع إصلاحه من جيرانه وعشيرته ، يجب التكاتف والتعاون وتحرم الغفلة والإهمال والاستسلام لعوامل الشر :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

أعود بالله من الشيطان الرجيم ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (٣) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وأنفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

اللهم إنا نستغفرك فاغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الأعراف : ٢٠٤

(٢) سورة المائدة : ٧٨ - ٨١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب « الإيمان » ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأبو داود (١١٤٠) ، وأحمد : ١٠ / ٣ ، ٢٠ ، ٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكافحة جريمة الزنا

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ..

فإن الزنا جريمةٌ كبرى ، ومرضٌ اجتماعي خطيرٌ أخطر من أي جريمة
أخرى ، لأنه أكبر فساداً وأعظم ذنباً بعد الشرك وقتل النفس ، بل الزنا قتل
للنفس ، قتل للنطفة التي وضعت في غير موضعها الشرعي ، يتبعه غالباً
الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق ، قبل
مولده أو بعد مولده ، فإن تُرك الطفل للحياة تُرك في الغالب للملاجيء ،
حياة مضيعة في المجتمع ، وهو قتل في صورة أخرى ، قتل للجماعة التي
يفشو فيها الزنا ، فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة في العرض
والولد ، وتتعلّل الجماعة وتفكك روابطها ، فتنتهي إلى موت الإيمان وموت
الضمير وموت الإنسانية .

ومن ناحية أخرى فهو قتل للجماعة ، إذ أن سهولة قضاء الشهوة عن
طريق الزنا أو اللواط يجعل الحياة الزوجية لا ضرورة لها ، ويجعل الأسرة
تبعه لا داعي لها ، والأسرة هي المعمل الذي يُصلح النشأ ورجال المستقبل ،
ولا تصلح فطرة الطفل ولا تسلم إلا بتربية الأسرة ، وما من أمة فشت فيها
الفاحشة إلا صارت إلى الانحلال منذ التاريخ القديم إلى الوقت المعاصر ،

فالقُرآن الكريم يحذّر من مجرد مقارنة الزنا ، وهي مبالغة في التحذير لأن الزنا تدفع إليه شهوةٌ عنيفةٌ تُثوّرُ عند المقاربة ومُقدّماته الأولى ، ولذلك حرّم الإسلام الأسباب المؤدية إلى الزنا ، حرّم اختلاط الذكّر والأنثى الأجنيين عن بعضهما ، إلا في حالة ضرورة وعلى هيئة معينة ، ونهى عن التبرج بالزينة ، وحث على الزواج للقادر عليه ، وأوصى غير القادر بالصوم ، وكره الإسلام الحواجز التي تعرقل الزواج المشروع كالمغالة في المهور ، ورثب عقوبة الزنا على الذكّر والأنثى ، وما إلى ذلك من الأحكام الاجتماعية في الإسلام ليحمي المجتمع الإسلامي من التردّي والانحلال .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

وصلّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

اللّهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

(١) سورة الإسراء : ٣٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ آمِنَا فِي أَوْطَانِنَا ، واحفظ إمامنا وولاية أمورنا واجعلهم للإسلام
ناصرين ومؤيدين .

اللَّهُمَّ أصلح جميع أئمة المسلمين ، واهداهم سبل السلام ، وأخرجهم من
الظلمات إلى النور ، وآمن جمع المسلمين في أوطانهم يا حي يا قيوم .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللَّهُمَّ نورٌ على
أهل القبور قبورهم ، وارحم الأحياء ويسر لهم طرق الخير والسعادة ، وافتح
بصائرهم لها ، واشف مرضى المسلمين ، واقض الدين عن المدينين يا أرحم
الراحمين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لِمَا كُنتُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ، فاذكروا الله العظيم
يذكركم واشكروه على نعمه يردكم : ﴿ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »

٤٨ - القرآن يأمر بالصدق (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) ، واعلموا أن الله تبارك وتعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وآتاه مثله معه (٤) ليكون أمة مسلمة تبقى ما بقيت الدنيا ، تؤمن بربها وتعمل برسالة نبيها ، وتتخلق بأخلاق قرآنها ، فاهمة واعية متعقلة ، فأسس صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام كما أمره ربه ، ورباها كما شاء ربه ، وترك لها نظاماً تسير عليه في جميع مرافق حياتها ، وحتى في

(١) ألقى يوم ٦/١١/١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الأعراف : ٤٣

(٣) سورة التوبة : ١١٩

(٤) إشارة إلى حديث المقدم بن معديكرب رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في

المسند : ٤ / ١٣٠ - ١٣١ ، وأبو داود في السنن وإسناده صحيح .

سلوكها ، وأخبارها ، وستبقى هذه الأمة إن شاء الله تعالى لا يضرهم من خذلهم ، ثابتة على الحق منصوره بإذن الله حتى تقوم الساعة (١) .

فيجب على أمة الإسلام أن تكون كما ربَّأها رسولها ﷺ قوية الإيمان ، رفيعة الشأن ، صادقة القول ، سليمة الفطرة ، يجب أن تكون أخلاقها وأقوالها وأفعالها صادرة عن إسلامها ، يجب أن تكون أمة أدبها رفيع وطموحها شامخ ، تستمد أحاسيسها ومشاعرها وحركاتها من وحي ربها ، تبارك وتعالى ، ومن سنة نبيها ﷺ .

والصدق هو الفارق بين المؤمن والمنافق ، فالصدق علامة الإيمان ، والكذب علامة النفاق ، بل الكذب هو قاعدة النفاق ، وقُطبه الذي يدور عليه ، فالمؤمن صادق الإيمان ، قلبه يستنير بنور الإيمان ، ولسانه يصدق في القول ، وجوارحه تُصدقُ قوله وتعكس بعملها صورة الأعمال الحقيقية في العمل والسلوك ، فأقواله تطابق أفعاله .

وأما المنافق فإنه كاذب في دعوى الإيمان ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) فأفعالهم تخالف أقوالهم ، وجوارحهم تظهر خفيات سرائرهم . ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) .

قال رسول الله ﷺ : « أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه

(١) إشارة إلى حديث معاوية بن قرة المزني عن أبيه قرة بن إياس بن هلال رضي الله عنه أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، البخاري في المناقب باب (٣٨) ، ومسلم الإمارة حديث رقم (١٧٠) ، (١٧٤) ، والترمذي في جامعه : الفتن باب (٣١) ، (٥١) ، وابن ماجه في مقدمة السنن باب (١) والإمام أحمد في المسند : ٤٣٦/٣ .

(٢) سورة البقرة : ٨

(٣) سورة النساء : ١٤٢

خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أئتمن خان .. وإذا حدث كذب .. وإذا عاهد غدر .. وإذا خاصم فجر « (٤) .

فالكذب علامة النفاق ومورد من موارد النار ، فيه فساد المعاملات والسلوك ، وما انتشر الكذب في أمة إلا انهارت اقتصادياتها ، وانحطت أخلاقها ، وتدهورت جميع أمورها ، وحلَّ بها سخط الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٣) .

والذي يروج الكذب ويشيع الكذب ويتلقى الأخبار الكاذبة ويذيعها وهو يعرف مصدرها وأنه لا صحة لها . هذا من المرجفين ، الذين يتبعون كل زاعق وناعق ، ليس لديهم ثبات الإيمان ، ولا تعقل العقلاء ، أفئدتهم تلعب بها الأعاصير : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » (٤) .

وإننا نسمع بين حين وآخر أنواعاً من الإشاعات ليس لها أصل من الصحة ، بل ينفيها العقل السليم ، وتطردها الفطرة ولا يقرها الإسلام ، مثل المنشورات

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أخرجه الشيخان البخاري : ٧٧/٥ المظالم ، ومسلم في الصحيح : العلم ، باب : الألد الخضم ، حديث رقم (٢٦٦٨) .

(٢) سورة غافر : ٢٨

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : البر والصلة برقم (١٠٤) ، (١٠٥) ، والإمام أحمد في المسند : ٣٨٤/١ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح في المقدمة : ١٥/١ معلقاً ، وأبو داود في السنن : ٢٩٨/٤ برقم (٤٩٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورجح أبو داود إرساله .

التي تُوزع في كل عام باسم شخص مجهول يتسمى باسم الشيخ أحمد (١) ،
ومثل ما شاع في هذه الأيام بأن امرأة ماتت ودُفنت في البقيع وبعد ثلاثة أيام
أخرجت فإذا هي حية وفيها آثار العذاب بالنار ، وكل مرجف يزيد فيها ما
يشاء ، هذه كلها وأمثالها ليس لها مصدر حقيقي وليس لها أساس من الصحة ،
وإنما ينشرها بعض المنافقين بقصد تشكيك المسلمين في أخبارهم ونزع الثقة
بينهم ، فإذا شكَّ المسلمون في أخبارهم شكُّوا في دينهم لأنهم تناقلوه
بالأخبار ، وإذا شكُّوا في دينهم انصرفوا عنه ، وإذا انصرفوا عنه هلكوا
وضُربت عليهم الذلة والمسكنة والهوان وصاروا ألعوبة للأعداء ولقمة سائغة
للأكلين ، وغرضاً ثابتاً للعابثين .

إنني لا أستغرب خروج هذه الإرجافات والأكاذيب في هذا الزمن الذي
غُزي فيه الإسلام في عقر داره من كل جهة ، وإنما أستغرب سرعة قبول
الناس لهذه الأخبار وتلقيها بالقبول والتصديق ، وهم مسلمون .

والواجب على المسلم العاقل ألا يُصدِّق بأي خبر حتى يعرف مصدره وحتى
يتأكد من صحته ، أما الإشاعات التي تُبَثُّ باسم يقولونه ، فلا ينبغي
تصديقها ولا الاستماع لها ، يجب على المسلم الثبوت فيما يسمع وألا ينقل إلا
ما ثبت عنده أنه صدق .

وإذا كان كثير من الناس ذهب إلى المستشفى للاطلاع على المرأة صاحبة
القصة المكذوبة ويلح ويدَّعي بأنها مخفية ، وبعضهم يتساءل بالتليفون . إذا
كانت قلوب هؤلاء من الخفَّة والرعاة بهذه المثابة ، فكيف إذا قيل إن شخصاً
يدَّعي الربوبية ومعه جنة ونار ، ويأمر السماء أن تمطر فتجيب ، ويأمر الأرض
أن تنبت فتخصب ، وينشر الشاب بالمنشار ثم يأمره بالقيام فيقوم حياً

(١) وقد وصلت هذه الوصية المكذوبة إلى أقطار العالم في جميع اللغات ، ومنها
اللغة السنديّة ، وكنا نقرأها على الناس في المساجد أيام الجمع والأعياد والمناسبات
البدعية . . ولم يتمكن أحد أن يطلع على الأفك الأثيم إلى يومنا هذا . والله أعلم .

يضحك ، يُخشى أن هؤلاء وأمثالهم يسرعون إليه وهو فتنة يفتتن بها الناس ، إلا من حماه الله وحفظه ، وهو المسيح الدجال الكذاب .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ولا تتساهلوا بالأمر تظنونها أحاديث مجالس ونكتاً ومقالب تتداولونها بينكم ثم تذهب مع الرياح ، ولكنها أعظم مما تظنون ، أهدافها سيئة ، ونتائجها خبيثة ، وهي تُحصى عليكم وتُسجَل في دواوينكم : ﴿ مَا لِفِظٍ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَقِيبٍ عَيْنٌ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فَتْنَةِ الْمَحْيَا وَمِنْ فَتْنَةِ الْمَمَاتِ وَمِنْ فَتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ (٢) .

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ .
اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرَّهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ (٣) .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

* *

(١) سورة ق : ١٨

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري في الصحيح : صفة الصلاة : ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ ، ومسلم في المساجد برقم (٥٨٩) باب : ما يستعاذ منه في الصلاة .

(٣) هذا حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤٢٤/٣ ، وذلك من حديث عبيد ابن رفاعة الزرقني رضي الله عنه بسياق طويل ، وفيه هذا الدعاء وإسناده هكذا . قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكبي ، عن عبيد الله بن عبد الله الزرقني ، عن أبيه ، قال : وقال الفزاري مرة ، عن ابن رفاعة الزرقني عن أبيه ، قال : قال أبي ، وقال غير الفزاري : عبيد بن رفاعة الزرقني ، قال : لما كان يوم أحد ، وانكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أثنى على ربي » ، فصاروا خلفه ، ثم ذكر الحديث الطويل وفيه هذا الدعاء .

قلت : إن هذا الحديث مرسل ، وقد تكلم الحافظ في التهذيب : ٦٥/٧ رقم الترجمة (١٣٣) ، وقال : هو عبيد بن رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الأنصاري الزرقني ، وقيل فيه : عبيد الله أرسل عن النبي ﷺ .
قلت : كان في عهد النبي ﷺ وكان صغيراً لم يرو عنه والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 « الصدق من فضل هذه الأمة »
 الرسول ﷺ يحذر من الدجال

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد ..

« فإن للشيطان نفوذاً على ابن آدم فهو يجري فيه مجرى الدم » (٢) ،
 ولكن الإيمان يطرده ويدافعه ، وإن الشيطان حريص على إغواء بني آدم
 والإضرار بهم بأي نوع من الضرر ، وإن إشاعة الكذب وترويجه من أعمال
 الشيطان ووسوسته ، ليصدق الناس بالكذب ويقبلوه تمهيداً للتصديق بالمسيح
 الدجال الذي أئذرنه عنه النبي ﷺ وحذرنه منه .

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر لنا رسول الله ﷺ
 الدجال ذات غداة فحفض فيه ورقع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رُحنا

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها . أخرجه البخاري
 في مواضع عديدة منها الأحكام رقم الباب (٣١) ، ومسلم أيضاً ، والإمام أحمد في
 المسند : ٣٣٧/٦ ، وقد مضى تخريجه في خطبة الرقي والتمايم .

إليه عَرَفَ ذلكَ فينا ، فقال : « ما شأنكم » ؟ قلنا : يا رسول الله ؛ ذكرتَ الدجالَ الغداةَ وخفَّضتَ فيه ورَفَعْتَ حتى ظنناه في طائفةِ النخل ، فقال : « غيرُ الدجالِ أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم » .

« إنه شابٌ قَطَطٌ عينه طافيةٌ كأنني أشبهه بعبد العزى بن قَطَنَ ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق ، فعاتِ يميناً وشمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا » ، قلنا : يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟

قال : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » ، قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال : « لا أقدرُوا له قدره » ، قلنا : يا رسول الله ؛ وما إسراعه في الأرض ؟

قال : « كالغيثِ استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطرُ والأرض تنبت ، فتروحُ عليهم سارحتهم أطولَ ما كانت ذُرَى ، واسبغَهُ ضُرُوعاً ، وأمدَّهُ خواصِرَ ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصيحون محللين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمِيَّة الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك » .

والحديث طويل ذكره الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين ، في

كتاب « الملح والمنثورات » ، وعزا روايته إلى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (١) ذكر فيه نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ، وخبر يأجوج ومأجوج ومن بعدهم ، وفيه مواعظٌ وعبرٌ فليُرجع إليه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واعلموا أن ترويح الكذب وإشاعته وتصديقه من الشيطان تمهيداً للتصديق بالدجال الكذاب ، فاثبتوا أيها المؤمنون ، وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ووقفهم لما فيه صلاح العباد والبلاد واجعلهم هداة مهتدين .

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الفتن » ، باب (٢٠) ، وعقد عليه النووي بقوله : باب ذكر الدجال وصفته ، وما معه حديث رقم (خاص ١١٠) ، (و عام ٢٩٣٦) : ٤ / ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ بسياق طويل ، وذلك من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وأخرجه أيضاً من هذا الوجه الترمذي في جامعه باب (٥٩) ، وابن ماجه في السنن : الفتن باب (٣٣) ، والإمام أحمد في المسند : ٤ / ١٨١ - ١٨٢ ، وذلك من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه .

اللَّهُمَّ اصْلِحْ جَمِيعَ وِلَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَاهْدِهِمْ سَبِيلَ السَّلَامِ وَأَخْرِجْهُمْ مِنْ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ ، وَفَرِّجْ لَهُمُ الْمَهْمُومِينَ ، وَاقْضِ
الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ ، وَاشْفِ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ
أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »

٤٩ - القرآن يُحذِّرُ من المعاصي (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلَكُمْ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فأوصيكم أيها الناس وإياي بتقوى الله ، فاتقوا ربكم وراقبوه ، وتوبوا إليه جميعاً واستغفروه ، واعلموا أن الذنوب تؤثر في الأرواح والأبدان كما تؤثر في الأهل والولد ، وتفسد الحرث والنسل . وهي سبب للحرمان والهلاك والخسران .

(١) ألقى يوم ١٨/٥/١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة الأنعام : ١ - ٢

(٣) سورة الأنعام : ٣

وكل ما في الدنيا من أضرار وشور وأمراض إنما سببها الذنوب والمعاصي ،
وكل ما في الآخرة من عقوبات فبسبب المعاصي ، فما الذي أخرج الأبوين
آدم وحواء عليهما السلام من الجنة ، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى
دار الهموم والأحزان والمصائب والآلام ؟ إنه الذنب .

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السموات وطرده وأبدله بالقرب بعداً
وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحاً وبالجنة ناراً تلتظى وبالإيمان كفراً ؟ إنه المعصية .

وما الذي أغرق أهل الأرض قوم نوح حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ،
فلم ينج إلا نوح ومن معه في السفينة ؟ إنها المعاصي .

وما الذي سلط الريح العقيم على عاد قوم هود ، فجعلهم صرعى كأنهم
أعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحرثهم وزروعهم
ودوابهم : ﴿ مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ ﴿١﴾ ؟ إنه
معصية الله .

وما الذي أرسل الصيحة على ثمود قوم صالح فقطعت قلوبهم في
أجوافهم ، فأصبحوا في ديارهم جائمين كأن لم يغنوا فيها وأبعدهم الله من
رحمته بسبب معصية الله ؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمع الملائكة نباح كلابهم ثم قلبها ربها
عليهم وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك وما هي من الظالمين ببيعد ؟

وما الذي أرسل على مدين قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فأمطر
عليهم ناراً تلتظى فحمستهم حمساً ؟

وما الذي أغرق فرعون وجنده في البحر : ﴿ يَفْقَهُمْ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسَّ
الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾ (١) ؟ إنها المعاصي .

وما الذي خسف بقارون وبداره الأرض ؟ إنه طغيانه وجحده لنعم الله .

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً ؟ إنها
سيئات أعمالهم .

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولى بأس شديد ؟ فقتلوا الرجال
وسبوا النساء والذراري .

وما الذي ضرب عليهم الذلة والمسكنة واللعنة إلى يوم القيامة ؟
إنه معصية الله .

روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال :
لما فتحت قبرص فرّق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء
جالساً وحده يبكي فقلت : يا أبا الدرداء ؛ ما يبكيك في يوم أعز الله فيه
الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك يا جبير ، ما أهون الخلق على الله عزّ وجلّ
إذا أضاعوا أمره ، بينما هم أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا
إلى ما ترى .

وعن ابن عمر يرفعه : « والذي نفس محمد بيده لئن قضى الإسلام عروة
عروة حتى لا يقال : الله الله ، » لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو
ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا

يُستجاب لهم» (١) ، « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو لبيعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يُوقر كبيركم » .

إن من غفلة الإنسان عن نفسه وإعراضه عن الله أن يرى ما يسخط الله فيتجاوزه ولا يأمر فيه ولا ينهي عنه خوفاً ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .
ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نُزِعَت منه الطاعة ، ولو أمر ولده أو بعض خدمه لاستخف بحقه .

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » ، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل القوم نزلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق ، فيجيء بالعود والرجل يجيء بالبعرة حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها (٢) .

وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر وإنّا كنا لنعدها على زمن رسول الله ﷺ في الموبقات (٣) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « عُدِّت امرأة في هرة سجننتها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض ، فدخلت النار » (٤) .

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٧) : رواه الطبراني والبخاري وفيه حبان بن علي وهو متروك ، وقد وثقه ابن معين في رواية ، وضعفه في غيرها .

(٢) حديث حسن ، أخرجه أحمد في مسنده : ٤٠٢/١ ، والطبراني : ٢٦١/١٠ .

(٣) صحيح البخاري : ١٢٨/٨ كتاب « الرقاق » باب (٣٢) .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري : ٣٧٩/٦ - ٣٨٠ ، ومسلم (٢٧٥٦) . ولفظ البخاري : دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض .

إن تأثير المعصية قد يتأخر فيُنسى ويظن العبد أن هذا الذنب لا يغير شيئاً ، وهذا خطأ فإن آثار المعاصي قد تتأخر سنين ، بل قد تكون آثار بعض المعاصي لا تظهر إلا في الذرية إذا لم يتب العاصي إلى الله ويستغفره .

وللمعاصي من الأضرار ، الآثار القبيحة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله .

فمنها حرمان العلم ، ووحشة بين العاصي ونفسه وبينه وبين الصالحين ، وتعمير أمور العاصي ، وإضعاف إرادة القلب ، إنها تسبب الهوان على الله ، وتورث الذل والصغار والحقران ، توجب الطبع على القلب ، واللعنة من الله ، تحرم العاصي دعاء النبي ﷺ واستغفار الملائكة ، تسبب عذاب القبر ووحشته ، وتطفيء الغيرة من النفس وتذهب الحياء ، تزيل النعم وتسبب النقم ، وتمحق بركة العمر وتجعل صاحبها من السفلة المحتقرين ، تهلك الحرث والنسل ، وتسلب الأعداء .

فاتقوا الله يا عباد الله ، راقبوا ربكم وتوبوا إليه ، واستغفروه :

﴿ فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾ (١)

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله يغار على حرماته

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (١)

. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنه « لا أحد أغير من الله ، فمن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٢) ، « ولا أحد أحب إليه العذر ، من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين منذرين » (٣) ، « ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك أثنى على نفسه » (٢) بما هو أهله « إن من الغيرة ما يحبها الله ، ومنها ما يبغضها الله ، فالتى يبغضها : الغيرة من غير ريبة » (٤) .

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : ٧٢/٦

(٣) صحيح البخاري : ١٥١/٩

(٤) حديث حسن أخرجه أحمد : ٤٤٥/٥ - ٤٤٦ ، وأبو داود برقم (٢٦٥٩) ،

والنسائي : ٣٥٦/١

كفى بالمعاصي عقوبة أن يرفع الله عزَّ وجلَّ مهابة العاصي من قلوب الخلق ويهون عليهم كما هان عليه أمر الله واستخف بحرمات الله ، فعلى قدر محبة العبد لله يُحبه الناس ، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس ، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يُعظِّمه الناس ، وكيف ينتهك عبد حرمت الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته ، أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهون على خلق الله ، أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به خلق الله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

فعاقبة من ترك التقوى أن يُنسيه الله نفسه ، فينسى مصالحه وعواقب أمره ، فترى العاصي مهملًا لمصالحه مضيئًا لشئونه ولأهل بيته ، فلا يقوم بحقوقهم ولا يراعى شئونهم ، ولا يبالي بشعورهم ، وكفى بالمرء إثمًا أن يُضيّع من يعول .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة الحشر : ١٨ - ١٩

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »

٥٠ - القرآن ينظم حياة البشر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وفضله على كثير من العالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، علّم الإنسان ما لم يعلم ،
فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين .
اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فخير ما يوصي به المسلم أخاه المسلم : تقوى الله ، وخير ما يتحلّى به
المسلم في سرّه وعلانته ، تقوى الله ، فهي ملاك الأمر ، وجماع الخير ،
ومصدر التوفيق ، وهي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة ، فأوصيكم وإياي
بتقوى الله .

أيها الإخوة في الإسلام : إن الناس ينظرون إلى العلم الحديث وتطوراته
واكتشافاته وربطه بالإيمان بأحد منظارين ، إما بمنظار صافٍ يكشف الأمور

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

على حقيقتها ، أو بمنظار منكوس عليه غشاوة يبعد الأشياء عن واقعها ، ويخفي حقائقها ، فالذين هداهم الله ، زادهم العلم إيماناً بالخالق وبقدرة الخالق تبارك وتعالى ، يعرفون أنها من نِعَمِ الله على الإنسان ، إذ علّمه ما لم يعلم ، ويعلمون أن المواد والإنسان من صنع الله .

وأما الذين في قلوبهم مرض ، فزادهم رجساً إلى رجسهم فيزعمون بأن العلم الجديد لا يتفق مع الإسلام ، وأنه ليس هناك غيب يخفى على الإنسان .

إن الإسلام لا يتعارض مع العلم ، بل الإسلام هو مصدر العلم ، أرشد إليه وحثّ عليه ، فأول سورة نزلت على نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم - وهي أول آيات نزلت من السماء إلى الأرض - تحت على العلم وتخبر بأنه من أكبر نِعَمِ الله على الإنسان : بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

فالله هو الذي خلق وهو الذي علّم ، والإنسان يتعلم ما يُعلّم ، ويعلم ما علّم ، فمصدر ذلك كله من الله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

فالذي شرع الإسلام هو الذي علّم الإنسان ، وما أجمل الجمع بين العلم والإيمان ، والجمع بين العلم والعبادة : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا اللَّهَ بِمَجَادُونَ ﴾ (٣) .

(١) سورة العلق : ١ - ٥

(٢) سورة النحل : ٧٨

(٣) سورة الأنعام : ٣٣

إن العلم يدعو للإيمان : ﴿ سَرُّيَهُمْ إِيْتِنَانِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقِّي
يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) ، ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

وبعض الناس يظن أن الاكتشافات الحديثة لبعض سنن الكون تتنافى مع
الإيمان بالغيب ، بل بعض الناس يقول : إنه لم يبق غيب يخفى على الناس ،
مستدلين على تصوراتهم الخاطئة بما توصل إليه العلم من معرفة بعض الأمور
التي كانت تخفي عليهم مثل معرفة أحوال الجنين في بطن أمه ، ومعرفة
مقدمات نزول المطر ، واتجاهات الرياح وما إلى ذلك من السنن الكونية التي
لها دلالات وعلامات ظاهرة يعرفها من تأملها : ﴿ يَعْلَمُونَ ظُهُورًا مِنَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٣) .

وإذا تأمل الإنسان القرآن الكريم علم أن هناك غيباً استأثر الله بعلمه لا تصل
إليه طاقة البشر ، وهناك سنن كونية ثابتة إذا تأملها الإنسان وتابعتها علم منها
ما تصل إليه قدرته البشرية ، فما اكتشف من صفات الجنين أمور ظاهرة تُعرف
بالآلات الحديثة ، وكانت أصولها موجودة من القِدَم تُعرف بعلامات التجارب
وتتبع السنن الكونية ، وكلاً من العلم القديم والعلم الحديث أمور ظنية قد
تصيب وقد تخطيء ، ومهما تطور العلم والاكتشاف فما يخفى في علم الله
عن البشر أعظم وأدق : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) ، ولناخذ
مثلاً من الإنسان نفسه ..

يقول علماء التناسل : إن النقطة من ماء الرجل تحتوي على ملايين

(١) سورة فصلت : ٥٣

(٢) سورة الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) سورة الروم : ٧

(٤) سورة الإسراء : ٨٥

الحيوانات الحية لها إرادة ورغبة واتجاه ، تتسابق إلى تلقيح البويضة في الرحم ، وكل حيوان يشتمل على العناصر الأساسية لتكوين جسم الإنسان حتى الشعر والظفر فما أصيب منها اختل ذلك العضو ، فهل الإنسان أو العلم يستطيع أن يكشف كيف تكونت هذه الحيوانات ومقوماتها ؟ إنه لا يستطيع فهي في علم الله وحده .

هل يستطيع العلم أن يحدد الحيوان الذي يمكن أن يسبق ويلقح ؟ إنه لا يستطيع ، هل يستطيع أن يحدد مدة حياته ونوع عمله ؟ إنه لا يستطيع ، بل الأبوان لا حول لهما في ذلك ولا قوة ، وإنما الأمر كله لله :

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١)

فالإنسان مهما بلغ من العلم والتقدم فلا زال في بحر الجهالة .. مهما بلغ ومهما اكتشف ومهما زعم وادّعى .

وهناك أمور غيبية تحيط بالإنسان لا يعلمها إلا الله : والملائكة ، والجن ، والأرواح ، والأرزاق ، والحياة والموت ، والصحة والمرض ، بل جسم الإنسان يشتمل على ملايين الحركات والأعمال والأجهزة لا يعلمها إلا الله ، لا حول للإنسان فيها ولا قوة ، وأكرر : إن العلم يدعو للإيمان لو وافقه قلباً واعية وأفكاراً سليمة .

نُقِلَ أن بعض رؤاد الفضاء لما رأى كوناً عظيماً هائلاً يسير بنظام قال : إنه لا بد لهذا الكون من خالق ومدبر . فغيَّب خبره الكافرون .

وقال آخر منهم : إنه رأى نوراً صاعداً من جزيرة العرب إلى السماء ، وما هو إلا النور المتصل من البيت المعمور في الأرض إلى البيت المعمور في السماء .

وُنُقِلَ عن رائد ثالث ، أنه زار إحدى البلاد الإسلامية فسمع الأذان ، فقال :
 ما هذا ؟ قالوا : إعلام بدخول وقت الصلاة ، قال : لقد سمعت هذا النداء
 في مركبة الفضاء ، وسواء صدق أو كذب قد أخبرنا القرآن الكريم بذلك :
 ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِيمَانًا صَادِقًا ، وَفَهْمًا لِكِتَابِكَ صَحِيحًا ، وَعَمَلًا صَالِحًا
 مَقْبُولًا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنما الأعمال بالنيات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن

اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن ثلاث قواعد ترتكز عليها قوة الأمة وسعادتها ، فليس لأمة الإسلام
عزة ولا كرامة إلا إذا اعتمدت عليها وهي المذكورة في قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١٠٣﴾ (١)

فتقوى الله هي القاعدة الأولى : وهي مراقبته خوفاً وطمعاً في السر والعلن
والليل والنهار ، في الصحة والمرض ، وفي الفقر والغنى ، وفي القوة
والضعف .

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

والقاعدة الثانية : التناصح والتآخي على أساس التقوى لله ومن أجل الله .
 والقاعدة الثالثة : شكر الله على آلائه وتذكر نعمه ، خلَقَ من العدم ،
 ووهب السمع والبصر والفؤاد ، وعَلَّمَ الإنسان بعد الجهالة ، ويسرَّ الأرزاق ،
 وهياً الأسباب .

فاتقوا الله أيها المؤمنون تعاطفوا وتراحموا وتعاونوا وكونوا عباد الله
 إخواناً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »

٥١ - القرآن يحث على العمل (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْمَكْتُوبِينَ أَصْلَابِينَ ﴾ (٢) ، خلق الإنسان في أحسن تقويم (٣) ،
وفضله على كثير من العالمين (٤) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدأ وإليه المنتهى .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وخير العاملين .
اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، وبالتوبة النصوح : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥) ، ثم اعلموا رحماني الله وإياكم أن
الإنسان مجبول على أمرين أساسيين لا غنى له عنهما أبداً .

الأول : الإيمان بربه وهو العهد الذي أخذه الخالق تبارك وتعالى على

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى معناه في الآية ٤ من سورة التين .

(٤) إشارة إلى الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

(٥) سورة النور : ٣١

بني آدم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾ ﴾

وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي الدين القيم . روى الإمام البخاري رحمه الله حديثاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (٢) .

الأمر الثاني : العمل والكدح ، ﴿ يَتَأَيَّمُوا لَإِنْسَانٍ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلِّئْهُ ﴾ (٣) ، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (٤) .

والإسلام هو دين الفطرة يجمع بين الإيمان والعمل ، العمل لإصلاح الآخرة والعمل لإصلاح الدنيا بكل متطلباتها ، فلا يبلغ أحد رزقه ، ولا يأمن أحد في سيره إلا بجهد وعمل وتعب ، سواء أكان تعباً بدنياً ، أو تعباً فكرياً وكدّاً مشاعراً ، والله تعالى خلق الأرض وبذر فيها أقواتها ، وجعلها تحتاج إلى عمل لإنتاجها وبحث وتعب لإخراجها لكي يستعمل الإنسان مواهبه وقدراته التي وهبها له .

والقرآن الكريم ، وهو نظام الإسلام ودستور المسلم يحث على العمل ، وعلى التعاون والتكاتف ، ويحث على التصنيع والإنتاج ، وأخذ الاستعداد .

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) هذا لفظ مسلم في الصحيح : القدر ، حديث رقم (٢٦٥٨) القدر ، باب : كل مولود يولد على الفطرة ، وللبخاري في الصحيح بمعناه : ٤٣٢/١١ : الفتح ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) الانشقاق : ٦

(٤) سورة البلد : ٤

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (١)
 وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوا اللَّهَ
 وَعَدُّوكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٠﴾ (١)

وقال نبينا محمد ﷺ فيما رواه البيهقي عن عقبه بن عامر : « إن الله عز وجل
 يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعه الخير ،
 والذي يُجهز به في سبيل الله ، والذي يرمي به في سبيل الله » (٢) .

والعدَّة هي كل ما تقتضيه الحاجة بجميع أنواعها وأشكالها وأحجامها
 وأسبابها ، والقوة كل ما يدفع الأعداء ويفتح الطريق أمام الدعوة ، والسهم
 كل ما يرمى به الهدف أياً كان نوعه ومهما سمي .

كما حثَّ القرآن الكريم على إصلاح الأموال وتنميتها وحفظها وتنظيم
 مصارفها : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ (٣) ،
 كما أباح الكسب الحلال والعمل في التجارة والضرب في الأرض لكسب
 المال ، ورغب فيه ، وبين أن الإنفاق في طاعة الله من أفضل القرب ومن
 أجلِّ الأعمال الصالحة التي تُقرب من الله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ

(١) سورة الأنفال : ٥٩ - ٦٠

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ١٤٤/٤ من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه ،
 وإسناده صحيح ، وأخرجه أيضاً أصحاب السنن الأربعة والدارمي في سننه من هذا
 الوجه واللفظ ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ١٣/١٠ ، ٢١٨ من هذا الوجه
 واللفظ أيضاً .

(٣) سورة النساء : ٥

لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿٦٦﴾ (١) ، ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ ﴾ (٢) .

وروى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الفقراء إلى النبي ﷺ وقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلاء والنعيم المقيم ، يُصلُّون كما نُصَلِّي ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل أموالهم يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون ، قال : « ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ، ولم يدرككم أحد بعدكم ، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه ، إلا من عمل مثله : تُسبِّحون وتُحمدون وتُكَبِّرون ، خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » (٣) .

وفي بعض الروايات : أن الأغنياء عملوا بما عمل به إخوانهم من التسبيح والتحميد والتكبير ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء » (٤) .

والأموال لا تُحصَلُ إلا بالعمل والكد ، والتجارة لا تكون إلا بمشقة ، وعناء وطول عمل .

(١) سورة البقرة : ٢٦١

(٢) سورة البقرة : ٢٦٥

(٣) البخاري : فتح الباري : ٣٢٥/٢ ، باب : الذكر بعد الصلاة ، رقم (٨٤٣) كتاب « الأذان » ، باب (١٥٥) : الذكر بعد الصلاة ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح أيضاً من هذا الوجه واللفظ كتاب « المساجد » : حديث رقم (خاص ١٤٢) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢٣٨/٢

(٤) إن هذه الزيادة أخرجها مسلم في الصحيح من طريق أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ، حديث رقم (خاص ١٤٢) المساجد و (عام ٥٩٥) : ٤١٦/١ - ٤١٧

جاء شاب إلى النبي ﷺ يسأله ، فأعطاه دراهم ونهاه عن المسألة ، وقال :
 « اشتر فأساً وحبلاً واحتطب وبع ولا أراك جمعة » ، وبعدها جاء وقد تحمَّصَ
 على خير من المال وذاق طعم الكسب ولذة العمل والاستغناء وشق طريقه إلى
 الحياة .

فالإسلام إذاً يبحث على العمل والتصنيع والإنتاج ، وما أثير من دعايات
 ضد الإسلام بأنه دين محراب وركود ، ولا يتفق مع العلم ونشاطات الحياة ،
 فإنما هي دعايات كاذبة ، نظمها أعداء الإسلام لصد الناس عنه ، وكان فيما
 مضى لها رواج في بعض الأوساط الإسلامية فعزلوا الإسلام عن التعليم وعن
 التنظيم ، وعن السياسة والحركة ، ولكن الباطل مهما صال وجال فإنه
 سيضمحل ، لقد انتشر الوعي في بعض شباب المسلمين وأدركوا واقع الحال
 وعلموا كذب المفترين ، وعرفوا حقيقة الإسلام ونظامه فرجعوا إلى الحقيقة .

نرى أطباء ، ومهندسين ، وچلوجيين ، وطيارين ، ورتباً عسكرية عالية ،
 ومثقفين ، وعلماء في العلم الحديث ، قد جمعوا بين العلم والإيمان ،
 وجمعوا بين الإيمان والعمل ، فزادهم ذلك توفيقاً وسداداً ، وقرباً عند الله
 ومحبة في قلوب عباد الله ، وفيهم قدوة حسنة : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
 الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل الإسلام »

الإسلام يؤيد العلم الحديث
رائد الفضاء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، إرغاماً لمن جحد به وكفر .
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد البشر .
اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه السادة
الغرر .

أما بعد ..

فلقد أثبت أبناء الإسلام البررة أن الإسلام دينٌ عقيدة وعمل ، وأنه نظام
آخرة ودنيا ، وأنه يؤيد العلم والاكتشاف ويحث عليه ، فحطموا دعايات
الأعداء ، وفضحوا أكاذيبهم .

وأوضح دليل وأقربه ، ما رأيناه وسمعناه في أول هذا الأسبوع ، رأينا
الشباب المسلم العربي السعودي ، سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ، شارك
بكل جدارة ومقدرة و حسن عزيمة هو وزملاؤه السعوديون في ريادة الفضاء
الخارجي واكتشافه .

رأينا الإسلام واكب العلم الحديث وأيده .

رأينا القرآن العظيم يرقى مع الشاب المسلم ، وسمعناه يتلى في طبقات
الفضاء .

سمعنا السنة المطهرة تتلي عند الصعود وعند الهبوط ، فكانت تلك الرحلة
أنجح جميع الرحلات وأيسرها .

لقد رفعت رءوس المسلمين أيها الشاب المؤمن ، ومهدت طريق الخير
لإخوانك الشباب ، وألقت أعداء الإسلام حجراً قطع ألسنتهم ، فألى الأمام
لخدمة دينك وأمتك ، حفظك الله من كل سوء ، وحرسك من شياطين الإنس
والجن ، وأعادك إلينا ظافراً محفوظاً ، ويا شباب الإسلام ، يا أبناء المسلمين
في كل مكان ، ألم يكن لكم أسوة حسنة في الإيمان والعمل ؟ إلى متى
إضاعة الوقت ، إلى متى النوم في النهار ، والسهر أمام الراقصات والمغنيات
في الليل ؟ ليس في الإسلام فراغ ولا بطالة ، إن بلادكم في حاجة إليكم
وأمتكم تعلق أمالها على الله ثم عليكم .

هذه الدراسات المهنية تنتظركم ، والأعمال الفنية تدعوكم ، وربكم من
فوق سماواته يناديكم ، فأعطوا ربكم حقه وأعطوا دنياكم حقها ، وأعطوا
بلادكم وأمتكم حقها ، اجمعوا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة .

إن أفضل الأعمال رباط في سبيل الله لحراسة المقدسات وحفظ الديار ،
والدفاع عن المحارم والذمار .

في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم
في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة
خير من الدنيا وما عليها » (١) ، إن الرباط في سبيل الله يجمع بين الدين
والدنيا ، ومفخرة وعزة .

(١) البخاري برقم (٢٨٩٢) : ٨٥/٦ (الفتح) من حديث سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنه ، وكذا مسلم الإمارة حديث رقم (خاص ١٦٣) ، وأحمد في
المسند : ٣٣٩/٥

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن الأيام خزائن فانظروا ماذا تضعون في
خزائنكم ؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ (١)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« من فضائل القرآن »

٥٢ - فضل تلاوة القرآن (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾
فِيمَا يُنذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِنَ لُدُنِهِ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكْتَبِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ (٢)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته وفي ربوبيته
وأسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، الصادق المصدوق ، الرسول
الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فإنها رأس الأمر كله وطريق كل خير
وسعادة .

عباد الله : أيكم يحب أن يغدو إلى ضاحية بلده ، فيأتي بناقتين كوماوين
من غير إثم ولا قطيعة رحم ، أليس كلنا يحب ذلك ؟ أفلا يغدو أحدكم إلى
المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين وثلاث
وأربع ، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل .

(١) أقيمت يوم ٢١/٣/١٣٩٧ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١ - ٣

أرأيتم لو أن أحدكم دعاه كريم ذو جاه وسلطان إلى مأدبته ، أفلا يجيبه رغبة في إرضائه والإصابة مما أعطاه الله ؟ فهذا رب العالمين ملك الملوك يدعوكم لمأدبته فأجيبوه ، إن هذا القرآن العظيم هو مأدبة الله وهو مُيسرٌ للذاكرين ، ومسَّهلٌ للراغبين ، ومُوَقَّرٌ للطالبيين ، فأقبلوا على مأدبة الله فإن فيها غذاء الأرواح وشفاء الصدور وزاد الآخرة والدنيا .

روى الحاكم بسنده عن عبد الله بن مسعود وقيل يرفعه أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فأقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق مع كثرة الترداد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات . لا أقول « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » (١) .

عباد الله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْوَمٌ ﴾ (٢) ، ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ (٣) ، ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ

(١) الدارمي في سننه حديث رقم (٣٣١١) فضائل القرآن : ٣٠٨/٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه والموقوف أصح ، الترمذي برقم (٢٩١٠) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک : ٥٥٥/١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٩٠٦) في ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، ثم قال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال . ا هـ .

(انظر : الجامع : ٥/١٧٢ - ١٧٣) . قلت : إن معناه لصحيح ، وهو من كلام علي رضي الله عنه كما قال الإمام ابن كثير في فضائل القرآن : ٤٣٤/٧

(٢) سورة الإسراء : ٩

(٣) سورة الجن : ٢

(٤) سورة الأحقاف : ٣٠

فَصَلِّ ﴿ (١) ، مَنْ حَكَمَ بِهِ عَدْلًا ، وَمَنْ جَادَلَ بِهِ خِصْمًا ، وَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢) . مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءَ قِصْمِهِ اللَّهُ ، فِيهِ خَيْرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ ، مَنْ تَمَسَكَ بِهِ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَمَكَّنَّهُ ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَهَجَرَهُ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ الذُّلَّ وَالْهُوَانَ وَالْخُسْرَانَ (٣) .

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال :
« إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » (٤) .

القرآن كنز من كنوز الدنيا والآخرة ، مَنْ قرأه وعمل به كان له نوراً في الدنيا وذخراً عند الله تعالى وكان مع السفرة الكرام البررة ، وألبس يوم القيامة تاج الكرامة وحلّة الكرامة ، وألبس والده تاجاً من نور ضوئه كضوء الشمس (٥) .

إن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، لا يُردون إلى أرذل العمر ولا يحزنهم الفزع الأكبر (٦) .

(١) سورة الطارق : ١٣

(٢) إشارة إلى معناه في الآية ١٠١ من سورة آل عمران .

(٣) إشارة إلى حديث علي رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه برقم (١٣٣٤) :

٣١٢/٢ - ٣١٣ ، ويرقم (٣٣٣٥) .

(٤) مسلم في الصحيح : صلاة المسافرين ، حديث (خاص ٢٦٩) ، و (عام ٨١٧)

من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥) أحمد في المسند : ٤٤٠/٣ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، وإسناده

حسن مع الشواهد .

(٦) إشارة إلى الآية ١٠٣ من سورة الأنبياء .

أيها المؤمنون : اقرأوا كتاب الله ، ولا تتخذوه مهجوراً (١) ، ولا تتركوه وراءكم ظهرياً ، ولا تشتغلوا بلهو الحديث (٢) وفضول القصص وساقط القول عن كتاب الله ، اجعلوا من أوقاتكم لتلاوته نصيباً ، واجعلوا لبيوتكم من كلام ربكم حظاً ، إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب (٣) ، وإن أصغر البيوت بيت ليس فيه شيء من القرآن (٤) ، فاعمروا أجوافكم ونوروا بنور التنزيل ، ولا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة (٥) ، تدبروا كتاب الله ، وتفهموا معانيه ، تأدبوا بأدابه ، وتحلّقوا بأخلاقه ، فإنه كان خلُق نبينا محمد ﷺ (٦) ، امتثلوا أوامره وانتهوا بنواهيه (٧) ، وقفوا عند حدوده ، فإنه يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما (٨) .

(١) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٢) إشارة إلى الآية ٦ من سورة لقمان .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه فضائل القرآن برقم (٣٣٠٩) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه فضائل القرآن برقم (٣٣١٠) .

(٥) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه فضائل القرآن برقم (٣٣٧٨) .

(٦) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح صلاة المسافرين ، حديث رقم (خاص ١٣٩) ، و(عام ٧٤٦) .

(٧) إشارة إلى الآية ٧ من سورة الحشر .

(٨) إشارة إلى حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح صلاة المسافرين برقم (خاص ٢٥٢) ، و(عام ٨٠٤) .

تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ لِأَبْنَاءِكُمْ : « خَيْرِكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (١) ،
وتأدبوا بآداب التلاوة ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢) .

فلا يجوز لمن وجب عليه غسل أن يقرأ القرآن حتى يتطهر ، ولا يمس
المصحف إلا متطهر من جميع الأحداث والنجاسات ، وينبغي تحسين الصوت
بالقرآن بحسب الاستطاعة ، ليشوق المستمع إلى قراءته وتتبعه ، ولا ينبغي
لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا أن يجهل مع من جهل وفي جوفه
كلام الله ، إنه أصدق القول وأحسن الحديث .

واعلم أخي المسلم أنك إذا قرأت القرآن أو سمعته ، أنك أنت المراد بالأمر
والنهي ، وأنت المخاطب بالوعيد ، وأنت المقصود بالأمر والنهي ، فلا يجوز
لك أن تخالفه في أمره ولا في شيء من نهيه (٣) . القرآن سائق وقائد ، فمن
جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ورضوان الله ، ومن جعله خلفه ساقه إلى
جهنم وسخط الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، راقبوا الله في كتابكم وكلام ربكم ، فإن فيه
شرفكم وعزتكم ، وبه تُنصرون على أعدائكم وتسودون غيركم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ
وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٢﴾ خَلِيدٍ
فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ (٤) ، ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا

(١) إشارة إلى حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه . أخرجه البخاري في فضائل
القرآن : ٦٦/٩ - ٦٧ ، وأبو داود برقم (١٤٥٢) .

(٢) سورة الواقعة : ٧٧ - ٧٩

(٣) إشارة إلى الآية ٦٣ من سورة النور .

(٤) سورة طه : ٩٩ - ١٠١

جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
 يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَنْ حَشَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى
 ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ
 الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ ﴿ (١) .

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ .
 اللَّهُمَّ نَوِّرْ بِالْقُرْآنِ بَصَائِرَنَا وَفَرِّجْ بِهِ عَن قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ بِهِ صُدُورَنَا ،
 وَاسْتَعْمَلْ بِهِ أَبْدَانَنَا .

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا وَذَكَّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا ، وَارزُقْنَا تِلَاوَتَهُ عَلَى الْوَجْهِ
 الَّذِي يَرْضِيكَ عَنَا ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ ، وَيَعْمَلُ بِمَحْكَمِهِ
 وَيُؤْمِنُ بِمِثَابِهِه .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل تعلم القرآن

(الخطبة الثانية)

﴿ الْمَسْئُورَاتِ الْغَالِيَةِ ⑤ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ⑥ سَلَامٌ يَوْمَ الْقِيَامِ ⑦ إِحْيَاءَ مَوْتَهُ ⑧ وَإِحْيَاءَ مَوْتِهِ ⑨ أَمْدَادَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ⑩ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير (٢) .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد ..

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، هذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق (٣) ، فيه سعادة الأمة وصلاحها ، وفيه تنظيم حياتها وتقويم أمورها في جميع مرافق الحياة ومتطلبات الفرد والجماعة ، يُنمي العقول ويهدب النفوس ، تعلمه وتعليمه أفضل من نوافل العبادات ، لكم بكل حرف منه حسنة والحسنة بعشر أمثالها (٣) ، إنه نور ثاقب ودستور ثابت ، شامل كامل ، فلا تنصرفوا عنه إلى القصص المضحك ولا إلى الرواية المسلية ولا إلى التمثيلية الفارغة ،

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢ - ٦

(٢) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٢٤٢/٢

وإسناده صحيح .

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشية الله : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ولو خوطب بهذا القرآن جبل راسخ شامخ لتصدع وتهدم خوفاً من الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَاهُنَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٢) . أما قلوب بني آدم فهي كالحجارة أو أشد قسوة (٣) ، القرآن بين أيديهم ويسمعونه يتلى عليهم فلا تلين قلوبهم (٤) وجلودهم إلى ذكر الله ، إلا من شاء الله وهم قليل .

فاتقوا الله عباد الله ، لا عز لكم ولا نصر ولا تمكين إلا بالرجوع إلى كتاب الله (٥) ، وصلُّوا على الرسول الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العظيم ، فقال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (٧) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَأَنْعِمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ ، وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، وَعَنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ ، وَزَوْجَاتِهِ

(١) سورة الحشر : ٢١

(٢) سورة الحشر : ٢١

(٣) إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الزمر .

(٥) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٦) سورة الأحزاب : ٥٦

(٧) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : فضل الصلاة

على النبي ﷺ برقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) .

أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بِمَنِّكَ وإِحسانك يا أرحم الراحمين

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ أدم الأمن في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاية أمورنا ، ووقفهم لما فيه صلاح البلاد والعباد .

اللَّهُمَّ أصلح جميع ولاة أمور المسلمين ، واهداهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المهمومين ونفْس كرب المكروبين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ،
 فاذا ذكر الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣ - فضل التمسك بالكتاب والسنة

(الخطبة الأولى)

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (١) ، خلق الإنسان في أحسن تقويم (٢) ،
 وهداه السبيل القويم ، ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣)
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة
 ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ
 تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أما بعد ..

فإن الله تبارك وتعالى لما خلق الإنسان وفضله وكرمه وخلق له ما في
 الأرض جميعاً ، وسخر له المخلوقات ، لم يكن ليدعه هملأً ، ولا ليركبه^(٥)

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٤ من سورة التين .

(٣) سورة الإنسان : ٣

(٤) سورة آل عمران : ١٨

سدي ، ولا ليذره فريسة لعدوه الذي لا يراه ، لم يكن الله لينسى هذا المخلوق الذي اختاره للخلافة في الأرض وإقامة العدل فيها ، واختاره لرحمته ، إلا من أبى وطغى ، بل أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم برسالات سماوية تتلاءم مع قدراتهم وتشمل جميع متطلبات الحياة ، وختم هذه الرسائل برسالة صفوة الخلق ورسول الهدى ، ونبى الرحمة نبينا محمد ﷺ ، فهي أكملها وأعمها وأنفعها للبشر ، وأكثرها سماحة ، وأوضحها خطاباً وأقواها حجة ، وأجملها نظماً ، وأحلاها طعماً ، وأعجلها ثمرة ، ناسخة لكل الرسائل مصدقة لها مهيمنة عليها : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١) ، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ مَجِيبٌ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ يَتَّيْبَهَا النَّاسُ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

إن الإسلام منهج تشريعي ، ودستور سماوي ، يشمل جميع متطلبات

(١) سورة آل عمران : ١٦٤

(٢) سورة المائدة : ١٥ - ١٦

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧

(٤) سورة الأعراف : ١٥٨

الحياة ، ويربط بين جوانبها وبين خالق الكون ، يرد كل ما في هذه الحياة إلى مصدرها وخالقها ، فمنه تُستمد التوجيهات ، ومنه تُؤخذ النظم : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجُدُوا فِيهِ أَخْلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٣) .

أيها الأخوة في الإسلام : إذا سمحتم بإلقاء نظرة خفيفة ، وجولة عاجلة حول النظام الاجتماعي في الإسلام ، لا سيما وقد سبق الكلام عن شيء من نظام الأسرة - وهو جزء من النظام الاجتماعي العام - فستجدون ذلك في كلام الله جلَّ شأنه ومن قول صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : ﴿ ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٤) . والآيات التي تدل على التكافل والتراحم والتعاطف كثيرة .

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٥) وما يلقونها إلا الذين صبروا وما يلقونها إلا ذو حظ عظيم ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَامْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦) (٥) .

وأمثال هذه الآيات التي تدل على العفو والصفح والصبر والمسامحة ومقابلة الإساءة بالإحسان أمثالها كثيرة في القرآن ، وتوجب

(١) سورة النساء : ١٢٢

(٢) سورة النساء : ٨٧

(٣) سورة النساء : ٨٢

(٤) سورة النساء : ٣٦

(٥) سورة فصلت : ٣٤ - ٣٦

الصدق والوفاء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (١) ، ﴿ وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولا ﴾ (٢) .

وقال المعلّم الحكيم ، والمؤدّب الرحيم صلى الله عليه وسلم : « المسلم
أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه » (٣) ، « ومَن كان في حاجة أخيه كان الله
في حاجته » (٤) ، « ومَن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كُرْبَات
يوم القيامة ، ومَن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (٥) ، « انصر
أحاك ظالماً أو مظلوماً » (٦) ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضاً » (٧) ، « اشفعوا تؤجروا » (٧) ، « إن خياركم أحسنكم
أخلاقاً » (٨) ، « الدين النصيحة » (٩) ، « المسلم من سلم المسلمون من يده
ولسانه » (١٠) ، « مَن غشنا فليس منا » (١١) ، « أدّ الأمانة لمن ائتمنك
ولا تخن من خانك » (١٢) .

(١) سورة المائدة : ١

(٢) سورة الإسراء : ٣٤

(٣) مسلم : برقم (٨٠٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) البخاري : برقم (٢٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) البخاري : برقم (٢٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٦) هو نفس الحديث .

(٧) البخاري : ٧١/٥ (الفتح) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٨) البخاري : ٣٧٦/١٠ : الأدب (الفتح) من حديث أبي موسى الأشعري

رضي الله عنه .

(٩) مسلم : برقم (٥٥١) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(١٠) البخاري : ٥٠/١ - ٥١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(١١) أبو داود : برقم (٣٤٥٢) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح .

(١٢) الترمذي : برقم (١٢٦٤) ، وأحمد في المسند : ٤١٤/٣ من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه وإسناده حسن .

وأمثال ذلك من الأحاديث التي تصنعُ أسس النظام الاجتماعي في الإسلام ، إن القرآن والسنة يربطان هذا النظام بالقاعدة الكلية التي يدور حولها العالم وهي الوحدانية المطلقة الصافية لله تعالى ، فهي التي تربط بين قلوب المؤمنين وأهدافهم ، وهي التي ترفعُ رايتهم : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۗ ﴾ (٣) .

التشريع الإسلامي ينظم حياة البشر والمسلمين خاصة ، فمثلاً صلاة الجماعة والجمعة والعيدين والكسوف والاستسقاء كما أنها صلة بين العبد وربّه فهي تجمع المسلمين خلف القيادة المسلمة وترسم طريق التآخي والتعاطف والتعاون وتفقد الأحوال ، وتبادل المشاعر ، والعمل ، والصدقات والبر والإحسان ، وبذل المعروف . كما أنها طهرة للنفوس وتزكية للأرواح ، ونماء للمال ، فإنها تصل بين قلوب المؤمنين ، وتُسبب المودة وتحت على الترابط والالتحام وجمع القوى .

صوم رمضان . كما أنه يهذب النفس ، ويرقق الطبع ، ويقوي البدن ، ويصفي الذهن ، فهو أيضاً يُذكر الأغنياء بحال إخوانهم الفقراء ، ويُشعر بأنه لا فرق بين كبير وصغير ، ولا غني ولا فقير ، الكل في ميزان الله سواء : « لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » (٤) ، فالكل خاضع لله ولشرع الله ، والكل مُمسك عن المشتبهات والمُلذّات في نهار الصيام .

(١) سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) سورة الحجرات : ١٠

(٣) سورة المائدة : ٢

(٤) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره نقلاً عن الحافظ أبي القاسم الطبراني إذ قال : وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري ، =

والحج نظام إسلامي وعبادة شرعية ، على أعلى المستويات وفوائده ظاهرة كبيرة : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (١) .

الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها اعتراف لأهل لفضل بحقهم ، وإقرار لأهل المعروف بإحسانهم ، تحت على حسن اتباعه والتمسك بسنته صلى الله عليه وسلم .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة من قواعد الإصلاح لا بد من تحقيقها والأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور ، والنهي عن الخلاف وشق العصا ، وتحريم الأموال ، والأعراض والدماء ، وتحريم المسكرات والمخدرات وجميع الخبائث وما يضر بالإنسان ، وتحريم الزنا وقذف المحصنات ، والأمر بحفظ الفرج وغط البصر ، وتحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية ، ومنع المرأة من تزويج نفسها إلا بولي وشاهدين (٢) ، وأمثال ذلك من التشريع يحافظ على نظافة المجتمع وطهارته وإبقاء المحبة والأخوة ، فتطمئن القلوب وترتاح النفوس ويأمن الفرد والجماعة .

= حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة ، حدثنا عبيد بن حنين الطائي : سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ ، ثم ذكر هذا الحديث بهذا اللفظ ، راجع تفسير ابن كثير : ٣٨٨/٦ ، وإسناده ليس بجيد ، وقد ذكر الحافظ في الإصابة : ٣٠٦/١ رقم الترجمة (١٥٧٨) في ترجمة حبيب بن خراش العصري ، ثم ذكر جزء من هذا الحديث مع كلمة عليه بأنه إسناد متروك ، وقد صح معناه بأحاديث أخرى كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات : ١٣) .

(١) سورة الحج : ٢٨

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس الموقوف عليه . أخرجه الشافعي في المسند : ٣١٧/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى : ١١٢/٧ ، والبعثي في شرح السنة : ٤٥/٩ برقم (٦٤٢٢) ، وإسناده صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما . والله أعلم .

وحقوق الجار الذي كاد الرسول ﷺ أن يُورثه (١) ، وزيارة الإخوان والدعاء لهم ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإفشاء السلام وردّه ، وتشميتُ العاطس ، وستر العورات ، والعفو والصفح . وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي حثَّ عليها القرآن والسنة المطهرة ، هي أدب المسلم وخلقه ، وهي من حقوق المسلم على المسلم ، ومن حقوق المجتمع بعضهم على بعض .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كونوا مسلمين بعقيدتكم وأعمالكم وأخلاقكم ، كونوا دُعاةً للإسلام على منهج الإسلام ، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم بأخلاقكم .

اللَّهُم بارك لنا في القرآن العظيم ، وبسنة سيد المرسلين .
اللَّهُم علِّمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

ربنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

اللَّهُم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت (٢) .
اللَّهُم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، استغفروا ربكم أيها المسلمون ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها . البخاري : ٤٤١/١٠ برقم (٦٠١٤) الفتح ، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري برقم (٦٠١٥) ، والترمذي : البر والصلة برقم (١٤٠) .

(٢) إشارة إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : ٥٣٤/١ - ٥٣٦ صلاة المسافرين برقم (خاص ٢٠١) ، و(عام ٧٧١) بسياق طويل وفيه هذا الدعاء ، وأحمد في المسند : ٩٤/١ ، ١٠٢ من هذا الوجه واللفظ الطويل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النظام الإسلامي مرتبط ببعضه ببعض

(الخطبة الثانية)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، والعاقبة للمتقين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ .

أما بعد ..

فإن نظام الإسلام مرتبط ببعضه ببعض ، فلا يُؤخذ بعضه ويُترك بعض :

﴿ أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَأَهُمْ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

والمسلم ملتزم بتعاليم الإسلام فيما له وعليه ، وفيما بينه وبين الله ، وفيما بينه وبين الناس .

فاتقوا الله عباد الله ، لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا (٣)

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة البقرة : ٨٥

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . أخرجه البخاري : ٤٨١ / ١٠

برقم (٦٠٦٥) الأدب (الفتح) ، ومسلم : البر (٢٤) .

﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَمَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ
وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ (٢) . وكونوا عباد الله إخواناً .

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة الحجرات : ١٢

(٢) سورة البقرة : ١٨٨

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه . الترمذي : البر والصلة
برقم (خاص ٣٢) ، ومسلم : ١٩٨٦/٤ برقم (٢٥٦٤) .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤ - فضل التضامن

(الخطبة الأولى)

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴾ (١) .

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله ودعى بدعوته .

أما بعد ..

فإن تحركات التضامن الإسلامي لتبشر بالخير ، ومقدمات نتائج الجهاد في سبيل الله تبشر بالنصر ، فنسأل الله تعالى أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته ، وأن يجمع شمل المسلمين وأن يؤلف بين قلوبهم ، وأن يلم شعثهم ، وأن يحقق

(٢) سورة الأنعام : ١٨

(٢) سورة الحديد : ٤

أخوتهم ، وأن يوحد صفوفهم وأن يحفظهم من كيد عدوهم ودسائس
المفسدين ، ونسأله تعالى أن ينصر المجاهدين في سبيله وأن ينزل عليهم السكنية
وأن يؤيدهم بعنايته ورعايته ، وأن يحقق لهم النصر الذي وعده عباده المؤمنين .

اللَّهُمَّ عجل للمجاهدين فرجاً قريباً ونصراً عزيزاً ، ووقفهم لكل عمل
رشيد ، وألهمهم كل قول سديد ، فأنت نعم المولى ونعم النصير .

اللَّهُمَّ اقذف الرعب في قلوب أعدائنا ، واصرف أطماعهم عن حقوق
المستضعفين ، اللَّهُمَّ اخذلهم واهزمهم ورد كيدهم في نحورهم .

اللَّهُمَّ اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الأليم .

اللَّهُمَّ وجه قلوب المسلمين إلى دينهم وافتح بصائرهم لفهم قرآنهم ، وحبِّبْ
إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكره الكفر والفسوق والعصيان
واجعلهم من الراشدين .

أيها المسلمون : لو وضع استفتاء لمعرفة المشاعر المسلمة تجاه الحالة العامة
الراهنة للمسلمين ، لكانت النتيجة عدم الرضا ، فالكل يشعر بالتقصير ، في
جانب الله ، ويشعر بالإهمال في واجب الدين ، وفي واجب الأخوة
والتعاون والتعاطف .

والكل يشعر بعدم الترابط الذي ينبغي ، ويشعر بعدم الاستعداد الواجب ،
ويشعر بعدم المشاركة في المشاعر مشاركة فعالة ، فعلى كل فرد مسلم منصف
ينتقد نفسه ، ويدينها بالتقصير ، ولا ينتقد الآخر ويدينه بالإهمال وعدم
المبالاة .

وكل فرد يتمنى أن تعود للمسلمين عزتهم وقوتهم وأخوتهم وترابط أفرادهم
وجماعاتهم ، ولكن متى يكون ذلك ؟

الكل يتساءل إن القرآن الكريم لم يترك أمراً من الأمور ، ولا حالاً من الأحوال ، إلا وعالجها وبين طريق النجاح فيها ، ولكن دراستنا للقرآن قليلة ، وفهمنا لمعانيه وأسواره ناقصة ، فالتقصير منا لا من إسلامنا ، والخطأ من أفهامنا وإعراضنا لا من ديننا .

الأمة المسلمة لها نظام سماوي يجب أن تسير عليه ، فمتى خرجت عنه تاهت عن الصراط السوي ، وإذا تاهت تفرقت ، وإذا تفرقت دخل بينها الأعداء وتوحدت بها الذئاب والوحوش .

الأمة المسلمة لا تقوم إلا على قاعدتين أساسيتين ، تقوم عليهما حياتها ومنهجها ، وهاتان القاعدتان هما : الإيمان ، والأخوة . الإيمان الصادق الذي يبعث على التقوى ، تقوى الله تعالى ومراقبته في كل لحظة من لحظات الحياة في كل الحركات والسكون .

والأخوة في الله ومن أجل الله ؛ أخوة تعلو فوق أخوة النسب ومحبة في الله فوق محبة القرابة . هذه الأخوة التي تكون من المسلمين قوة متعاونة متساندة صامدة واعية حية ، نشطة قادرة على أداء واجبها في هذه الحياة بالتناصح والتعاون ، فتأملوا قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا بِالْآثَانِ مُمْسِكُونَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٧﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴿١﴾

اقرأوا القرآن وتدبروه وتفهموا معانيه ، ففيه الحلول والشفاء ، فاتقوا الله
أيها المسلمون : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .

المسلم أخو المسلم ، أخوة تنبثق من التقوى والإيمان ، أساسها الارتباط
الكامل بعهد الله ومنهج دينه ، فليست مجرد تجمع لهدف آخر ، ولا لتصور
آخر ، وليست ارتباطاً بحبل آخر .

يجب الاعتصام بحبل الله في كل شيء وفي جميع المجالات وفي جميع
مرافق الحياة ، تعاون بين الأفراد وبين الأسر وبين الشعوب وبين الحكومات ،
يجب أن تكون الرابطة هي الإيمان والتقوى ، والأخوة في الله ، فبذلك
يحصل العز والقوة والتعاون والتكاتف والنصر والتمكين .

اللَّهُم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

أقول قولي هذا وأستغفر لي ولكم وجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واجب الأسرة في البيت

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يحب له من الخير ما يحب لنفسه ، وأن يكره له من الشر ما يكرهه لنفسه ، وما أحوج المسلمين اليوم إلى التناصح والتعاون على البر والتقوى ؛ وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أساس التناصح فيه يُطهر المجتمع وبه تُصان الحياة من الفساد والشُرور . فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الحصن الذي يحمي كيان الأمة وعزائمها من الفساد ويحفظها من تسرب السموم إليها . وهو واجب على كل فرد ، لا يختص به أحد عن أحد ، وإنما هو واجب من واجبات الإسلام وقاعدة من قواعده : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (١) .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩) في الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأبو داود : برقم (١١٤٠) في الصلاة ، وأخرجه أحمد في المسند : ١٠/٣ ، ٢٠ ، ٩٢ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

واجب على الأسرة في داخل البيت أن تتناصح وأن تتعاون على البر والتقوى ، والقيادة في ذلك لرب الأسرة .

يجب التناصح على المسلمين في مجتمعاتهم ، والقيادة في ذلك لصاحب المكان .

يجب التناصح على جميع المسلمين في جميع أحوالهم وأعمالهم والقيادة في ذلك للسلطان : « كلکم راعٍ وكلُّ مسئول عن رعيته » (١) .

والعبرة في معرفة الخير والمعروف الذي يأمر به ومعرفة الشر والفساد الذي ينهي عنه . المرجع في ذلك إلى مقاييس الإسلام ، وموازين شرع الله .

العبرة في ذلك بالمقاييس والموازين التي أنزلت على نبينا محمد ﷺ .

أما الاصطلاحات وما تجري عليه عادات الناس ، فلا عبرة بها ولا يُقاس عليها ، لأنها تتأثر بالمؤثرات ، فتختل موازينها وتضطرب مقاييسها .

كان رجل وقع في محذور ، فأراد ابنه أن يقلده ، فنهاه وضربه ، فقال الولد : كيف تنهاني أن أفعل مثلك ؟ فقال الأب : إنني أخشى أن تقع فيما وقعت فيه ، فقد دُقت مرارته ووجدت حسرته ، ولم أجد فيه منفعة ، وقد كنت فيه مخدوعاً وبه مغروراً ، فوجدت الندامة ولمت من لم ينهني عنه ويأمرني بخير منه ، لذلك نهيتك وأخذت على يدك . . فنشأ الولد صالحاً طيباً .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه مراقبة من يؤمن بأنه يعلم السر وأخفى :
﴿ يَعْلمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٢) .

(١) أخرجه البخاري في الأحكام : ١٣/١٠٠ (الفتح) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، والترمذي : الإمارة برقم (١٨٢٩) باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر .

(٢) سورة غافر : ١٩

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ
لَأَنصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١)

وصلُّوا على البشير النذير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٥﴾ ﴾ (٢)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، صَاحِبِ الْخَوْضِ الْمُرْوَدِ ،
وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَاسْتَنْبَسَتْهُ إِلَى يَوْمِ
الدين .

اللَّهُمَّ أَغْزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ ،
وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّينِ ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

يا عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣)

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ ﴾ (٤)

* * *

(١) سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) سورة النحل : ٩٠

(٤) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥ - فضل العقل

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي أحلَّ لنا الطيبات ، وحرَّم علينا الخبائثَ (٢) ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على البشير النذير والسراج المنير ، صاحب الخوض
المورود والمقام المحمود (٣) وعلى آله وأصحابه ، ومن دعى بدعوته واستن
بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها الناس ، إنَّ من أكبر نعمِ الله تعالى على الإنسان نعمة العقل الذي
يُدرِك به الأمور وحقائقها ومعرفة النافع منها والضَّارِ ، وبالعقل تميِّز الإنسان
على كثير من المخلوقات ، وعلى العقل مدار الأمور كلها ، ولهذا تعلق به
التكليف الشرعي ، فبالعقل يعرف الإنسان الأمر من النهي ، والحق من

(٢) إشارة إلى معنى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما . أخرجه

البخاري برقم (٦١٤) الأذان ، باب (٨) : الدعاء عند النداء .

الباطل ، والخير من الشر ، ويدرك به عواقب الأمور ، وأسبابها ومسبباتها ونتائجها . لذلك فإنه مطلوب من الإنسان أن يستعمل هذه المواهب الإلهية فيما خلقت له ، وأن يستدل بها على ما ينفعه في الدنيا والآخرة فيتبعه ، ويعرف بها ما يضره فيجتنبه .

وقد ذمَّ الله الذين لا يستعملون هذه المواهب وهذه النعم فيما من أجله خلقت ، وبين عاقبة أمرهم ، ووصفهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوذِيَكَ كَأَلَّا تَعْبِرَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰغِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴿ (١)

وحقيقة أن العقل هو الإنسان ، وأعلى ما عند الإنسان هو عقله الذي تميز به عن الحيوانات ، فلو أن إنساناً حصل عنده بعض الذهول في عقله في بعض الأحيان ، لبذل كل ما يملك وكل ما في وسعه للعلاج لإزالة ما يتتابه في عقله ولو كان وقتاً قصيراً ، ولو كان في السنة مرة وحدة . . . أليس هذا بصحيح ؟

إذا - أيها المسلمون - ما بال أقوام يشترون لأنفسهم ويستعملون بأنفسهم ما يخل بعقولهم ، وذلك باستعمال المسكرات والمخدرات . أليس الإنسان إذا سكر غاب عن شعوره ، وأصبح كالمجنون يهذي بالكلام القبيح ، وقد يسب نفسه أو يسب الله أو والديه أو محارمه أو أحداً من المسلمين ؟

أليس إذا سكر لا يدري ماذا يفعل وقد يقع في المحرمات (٢) ، ويتلف

(١) سورة الأعراف : ١٧٩

(٢) إشارة إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الأشربة » ، حديث رقم (خاص ١) ، و (عام ١٩٧٩) ، وفيه قصة عم النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في حالة السكر ، وذلك قبل تحريم الخمر .

الأموال ، ويقتل النفس المحرمة بدون حق ، وقد يعتدي على أقرب قريب له ، وأحب حبيب إليه ، وهو لا يدري لأنه قد غاب عن عقله وشعوره ؟
أليس السكران يعرض عن ذكر الله وعن الصلاة ؟ (١)

وهذه كلها جرائم وآثام وأخطار تسببها الخمر أم الخبائث ، لذلك حرمها الله ورسوله وبالغ في تحريمها وتوعّد شاربيها بالوعيد الشديد ، وأي وعيد أشد من حرمانه دخول الجنة وإسقاء شارب الخمر من طينة الخبال ، عَصَاة أَهْلِ النَّارِ (٢) .

أعود بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١١﴾ ﴿ (٣) .

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في سبب نزول هذه الآية الكريمة العظيمة قال : إنما نزل تحريم الخمر في فئتين من قبائل الأنصار ، شربوا فلما أن ثمل القوم ، عبث بعضهم ببعض ، فلما أن صُحو جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول : صنع بي هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، فيقول : والله لو كان بي رءوفاً رحيماً

(١) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة النساء .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الأشربة » ، حديث رقم (خاص ٧٢) ، و (عام ٢٠٠٢) .

(٣) سورة المائدة : ٩٠ - ٩١

ما صنع بي هذا ، حتى وقعت الضغائنُ في قلوبهم (١) ، فأنزل الله تعالى هذه الآية في تحريم الخمر أشد تحريم وتهديد .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاثة قد حرمَّ الله عليهم الجنة : مدمنُ الخمر ، والعاقُ بوالديه ، والديوثُ الذي يرضى في أهله الخبث » (٢) .

وروى أيضاً عن الرسول ﷺ أنه قال : « كل مسكر خمرٌ ، وكل مسكر حرام » (٣) ، وفي حديث آخر : « وإن حتماً على الله ألا يشربه عبده في الدنيا إلا سقاه الله من طينة الخبال ، أتدرون ما طينةُ الخبال ؟ قال : عرقُ أهل النار » (٤) .

فالخمر - عباد الله - هو ما خامر العقلَ ، أي غطَّاه من أي نوع كان ، وبأي اسم سمي ، وما أسكر كثيره فقليله حرام وإن لم يُسكر (٥) .

عباد الله : الخمر هي أمُّ الخبائث حقيقةً ، وكثير ممن يشربها يقع في إثم

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٢٨٥ / ٨ وإسناده جيد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦٤١ / ٢ ، ثم قال : رواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حجاج بن منهال به عنه .

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٠١٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي إسناده مبهم وكذا : ١٢٨ / ٢

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح : الأشربة ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، حديث رقم (عام ٢٠٠٣) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الصحيح : الأشربة ، حديث رقم (عام ٢٠٠٢) .

(٥) أبو داود برقم (٣٦٨١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ، والترمذي برقم (١٨٦٦) وحسنه .

عظيم أحبث منها . روي أن رجلاً ممن قبلنا كان اعتزل الناس وتفرغ للعبادة ، فطفقت امرأة غوية وأرسلت إليه جاريتها تدعوه لشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما دخل باباً أغلقتة دونه حتى أفضى إلى امرأة وضیعة عندها غلام وخمر ، فقالت له : إنني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ ، أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر ، فشرب من الخمر فسكّر فوقع على المرأة ، وقتل الغلام (١) .

فالخمر - عباد الله - هي أم الشرور والإثم ، ولذلك لعنها الله على لسان رسوله محمد ﷺ من عشرة أوجه . روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : أشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقبها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها » (٢) . فالخمر كلها تلتهب من الشرور ، وتشتعل من لعنة الله ، فمن صنعها أو ساعد على صنعها أو شربها أو ساعد على شربها أو روجها أو ساعد على ترويجها أصابه حظه من شرها ولعنتها .

فأي إنسان يرضى لنفسه أو لابنه أو لأبيه أو لزوجه أو من تحت دلايته أن يستعمل أم الخبائث ويدخل تحت الوعيد الشديد ويُطرد ويُبعد من رحمة الله ، فليتنق شارب الخمر ربه في نفسه ، وفي أهله ومجتمعه ، فإنه سيجلب لهم

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٢٨٧/٨ وإسناده صحيح عن عثمان رضي الله عنه ، وأورده الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ٦٤٤/٢ - ٦٤٥ وصححه .

(٢) هذا لفظ الترمذي في جامعه برقم (١٢٩٥) البيوع ، وابن ماجه برقم (٣٣٨١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال عنه الحافظ في التلخيص الحبير (١٨٠/٢) : رواه ثقات .

شروراً ، وقد يقتدون به في هذا العمل الخبيث فيكون داعياً إليها معلماً مشجعاً فيعظم جرمه ويشتد عذابه .

إن الخمر لا تجتمع هي والإيمانُ في قلب أبدأ إلا أوشك أحدهما أن يُخرج الآخر . قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » (١) .

فلو آمن شارب الخمر بأن الله مُطَّلَعٌ عليه يرى حركاته وسكناته ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (٢) ، ولو آمن شارب الخمر إيماناً حقيقياً بأن الله حرمَّ الخمر وأنه واجب عليه اجتناب ما حرمَّ الله ، ولو آمن شارب الخمر بالوعد لمن شرب الخمر ، وبالوعد الصادق لمن تركها من أجل الله ، ولو آمن بالملائكة الكاتبين حوله إيماناً حقيقياً لحماه إيمانه من شربها .

أما يستحي الذي يشرب الخمر من الله ؟ أما يستحي من الملائكة الكرام عن يمينه وشماله ؟ أما يخشى من سخط الله وعقابه ؟ أما يخشى أن يقبض الله روحه وهو سكران ، فيلقي الله وقلبه خال من الإيمان ويقف بين يديه وهو عليه غضبان ؟

إن الخمر رجس نجس ، قذرة في ذاتها خبيثة نتائجها ، إنما هي من عمل الشيطان فاجنبوه لعلكم تفلحون (٣) .

(١) البخاري في الصحيح كتاب « المظالم » ، باب : النهي : ٨٦/٥ (الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم في الصحيح : الإيمان ، حديث (خاص ٥٧) ، (عام ١٠٢) .

(٢) إشارة إلى الآية ١٩ من سورة غافر .

(٣) إشارة إلى الآية ٩٠ من سورة المائدة .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُبْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ﴿ (١) .

فاتقوا الله عباد الله ، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ﴿ (٢) .

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ وَاعْصِمْنَا مِنْ جَمِيعِ الشَّرِّ وَالْآثَامِ ، ﴿ رَبَّنَا مَا آتَيْنَاكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿ (٣) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٩١

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) سورة البقرة : ٢٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل محاسبة النفس

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٣) .

أما بعد . .

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه (٤) ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى (٤) .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الأعراف : ١٢٨

(٣) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ، أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٤٩٥/٥ نقلاً عن كتب السنة مع ذكر الأسانيد الكثيرة في تفسير آية الأحزاب (٥٦)

(٤) أحمد في المسند : ١٢٤/٤ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وبعض أصحاب السنن وإسناده حسن .

وَصَلُّوا عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ صَاحِبِ الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، وَعَنِ السِّتَةِ الْبَاقِيْنَ مِنَ الْعَشْرَةِ ، وَعَنْ عَمِي نَبِيِّكَ : حَمْزَةَ وَالْعَبَّاسَ ، وَعَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَعْزِزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذِلِّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّينِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ الْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ فَاشْغَلْهُ فِي نَفْسِهِ ، اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّ شَرٍّ وَبَلَاءٍ .

اللَّهُمَّ احْفَظْ إِمَامَنَا وَأَصْلِحْ بَطَانَتَهُ ، وَاجْمَعْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَسَدِّدْ خَطَاةَ وَوَفِّقْهُ لِمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ أَدِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالرِّخَاءِ وَارْزُقْنَا شُكْرَهَا ، وَزِدْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ .

اللَّهُمَّ عَمِّمْ بِالْخَيْرِ وَالْبُرْكَهَةِ وَالْأَمَانِ جَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاجْعَلْ وَلَايَتَهُمْ فِي خِيَارِهِمْ ، وَاخْرِجْهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ

والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، ونور على أهل القبور .

اللهم تب على التائبين ، واغفر ذنوب المذنبين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف أمراض المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

فاذكروا الله يذكركم واشكروه يزدكم .. ﴿ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَوْ كَرِهَ اللَّهُ يُعَلِّمَ مَا
تَصْنَعُونَ ﴾ (٢)

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦ - فضل اجتماع المسلمين (١) مؤتمر مكة

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ولا يحمد أحد سواه ؛ هدانا للإسلام ،
وجعلنا من خير الأنام ، وأعزنا بالإيمان ، وتفضل علينا بالأمن والأمان .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ؛ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ ﴾
حَدِيثًا ﴿ (٣) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ
الْمِيعَادَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلِنَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٦) ،
﴿ إِنَّا لَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ (٧) .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَأْوَىٰ وَيُوحَىٰ ﴾ (٨) .
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته .
أما بعد ..

فإن الفرحة تغمر القلوب المؤمنة ، والبشرى يعلو الوجوه ، حينما ترى

(١) ألقى يوم ١٩/٣/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النساء : ٨٧

(٤) سورة النساء : ١٢

(٥) سورة الرعد : ٣١

(٦) سورة الحج : ٤٠

(٧) سورة غافر : ٥١

(٨) سورة النجم : ٣ - ٤

الأمة المسلمة تتحرك فيها دوافع الأخوة الإسلامية وتستطيع النهوض بنشاطاتها الإسلامية .

يلتف بعضهم إلى بعض ، في نقطة الاتصال بمعاني الأخوة وسمات التعاون .

الأمل كبير ، والتفاؤل جميل ، حينما نرى قادة المسلمين ، تهوي قلوبهم ، وأبدانهم إلى قبلة المسلمين ، للتشاور في أمور دينهم وديناهم .

إنه لفخر كبير ، أن تبذل الأمة المسلمة جهودها لجمع شمل المسلمين وتوحيد قواهم ، وإنارة الطريق أمامهم للرجوع إلى نظام إسلامهم .

وإنه لشرف عظيم للطائفة المؤمنة أن تتحمل أمانة الله ويحرصَ على أدائها على وجهها ؛ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

إن أول مؤتمر إسلامي عقد في مكة المكرمة (سنة ١٣٤٤ هـ) بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هذه المملكة وموحد أطرافها ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ؛ وفسح له في قبره ونورَ له فيه .

لقد أحسَّت الأمة المسلمة بواقعها ، وأدركت ما يحيط بها ، وعرفت ما يراد لها ، وأخذت الحياة تنتشر في جسمها ، نظرت إلى الواقع نظرة تأمل ، ونظرت إلى حالها نظرة أسف وتألم .

ويبقى أن يُعلم أن اليهودية بكل قواها وبكل أساليبها ، وبكل أحزابها ومنظماتها الظاهرة مثل الشيوعية ، والخفية مثل الماسونية ، وما يتشعب منها ؛ إنها تلعب في العالم لعبتها ، وتضع المعوقات والعقبات في طريق العدل

والإصلاح ، وتبث سمومها في الشعوب ؛ وتضع أصابعها ، مع كل حركة إصلاحية لتشيبتها وفشلها .

ورغم ذلك فإن الإيمان يتوقد في القلوب المؤمنة ، والحركات الإصلاحية ستشق طريقها إن شاء الله تعالى ؛ تدعو للتضامن والتعاون ، ونشر العدل والإيمان ، ومؤتمر القمة الذي سيعقد في مكة المكرمة - بعد غد إن شاء الله - انتفاضة حية لقيادة الشعوب المسلمة ؛ وحركة إصلاحية خيرة يُشكر عليها أولاد عبد العزيز ويُشكر كل زعيم مسلم ، استجاب لندائها .

فأوصى كل من يحضر ذلك المؤتمر ، بل أوصى جميع المسلمين باستحضار عظمة هذا الموقف ، يا له من موقف عظيم ، رب العالمين فوقهم يسمع ويرى ، وبيت الله أمامهم فيه البركة والهدى ، وحرَم الله يضمهم تُضاعف فيه الحسنات ، وكتاب الله بين أيديهم غضاً طرياً يقطر حيوية وروحانية يهدي للتي هي أقوم ، وإخوانهم المسلمون من حولهم ، وشعوبهم المسلمة من خلفهم .

فَرَبُّ الْعَالَمِينَ شَاهِدٌ وَرَاعٌ ، وَبَيْتُ اللَّهِ مُذَكَّرٌ وَدَاعٌ ، وَحَرَمُ اللَّهِ مَانِعٌ وَرَادِعٌ ، وَالْقُرْآنُ وَاعِظٌ وَهَادِيٌ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَنَاصِحُونَهُمْ وَيُشَارِكُونَهُمْ مَشَاعِرَهُمْ ، وَشُعُوبُهُمْ تَتَطَلَّعُ إِلَى النَّتَائِجِ وَتَتَشَوَّقُ إِلَى مَوَارِدِ إِيمَانِهَا .

هذه الأمور تُحرِّكُ نورَ الإيمان في قلب المؤمن ، وتهز القلوب الواعية والأبدان الحساسة ، وتُوقِظُ الضمير الحي ، وتثير وتُشعُّ أمام العيون نور الإيمان ، وتصرخ في الآذان بخشية الله ومراقبته خوفاً وطمعاً : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورًا بِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) ،

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورًا بِكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا

تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٢)

إن أول واجب على المسلم : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، وهذه الشهادة تستلزم الحكم بما أنزل الله فتحكيم شرع الله أهم الواجبات ، وكل ما بعده تابع له ، ولم يبق لأحد عذر أمام الله ، ففجأة المسلمين من إخوانهم ، ويرجى فيهم الخير والقوة في جانب الله .

ومصالح الراعي والرعية لا تتحقق إلا بإقامة العدل من نظام الإسلام ، والأمن والاستقرار لا يستقيم إلا بإقامة حدود الله ؛ ومن أراد العزة والسيادة : ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ، فليسلك سبيلهم : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٥) ، فليطلب من مالكة ليفوز بالثوابين .

لا يليق بالمسلم أن يهجر كلام ربه ، ويأخذ بنظام أعدائه ، لا يليق بالمسلم أن يأخذ بكلام المخلوق ويترك كلام الخالق .

إن المسلمين أمانة لدى قادتهم وولاة الأمر منهم ، مسئولون عنهم أمام الله ، مسئولون عنهم أمام التاريخ ، إنه لا عز للمسلمين إلا بالإسلام ، ولا أمن إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(١) سورة الحج : ١ - ٢

(٢) سورة الأحزاب : ٧٠

(٣) سورة النساء : ١٣٩

(٤) سورة المنافقون : ٨

(٥) سورة النساء : ١٣٤

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهْمُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَنَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١)

فإلى الأمام يا دعاة الخير والسلام ، إلى الأمام يا زعماء المسلمين ، اللهم
ألّف بين قلوب المسلمين ، واجمع كلمتهم ووحد صفوفهم ، واجعل مؤتمهم
مؤتم خير ، ورشد ، وصلاح ، واجعل فيه خيراً وبركة ، وعزاً للإسلام
والمسلمين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ،
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل تحكيم الشريعة

(الخطبة الثانية)

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهِ ۖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهِ ۚ نَادَىٰ بِأَخِي ثَمُودُ بِمَا كَفَرْتَ بِلِقَاءِ رَبِّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ مَا كَانَ اللَّهُ مُضِلًّا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١) ، أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وجعلهم

إخوة في الله متحابين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ، ذو القوة

المتين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، وقائد

الغر المحجلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان

إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن العالم ينظر إلى هذه البلاد نظرة إجلال وإكبار لأنها تُعظَّم شعائر الله ،

ودستورها كلام الله ، وتحكم بما أنزل الله ، فأنعم عليها وألبسها ثوب المهابة

والوقار ، وإذا قارنا بين حاضر البلاد ، وبين ماضيها عرفنا الفوارق ، فكانت

على جانب مؤلم من الفوضى والسلب والنهب ، وسفك الدماء ، وقطع

الطريق ، وإرهاب حجاج بيت الله الحرام ، وزوار مسجد رسول الله ﷺ .

فلما حُكِمَ فيها بما أنزل الله ، وأقيمت فيها حدود الله ، وأصلح الراعي

صلته بالله ؛ أصبحت كما ترون من الأمن والرخاء والتعاطف والإخاء ،

ترابط بين الراعي والرعية ، يسودها التعاطف ، والتناصح ، حفظها ربها من كيد الأعداء ، وأضفى عليها نعمة الأمن والرخاء ، يسافر الرجل وحده يحمل ما شاء من الأموال ، يبيت في الصحراء وحده لا يخاف إلا الله وحده ؛ الدكاكين يُضفي عليها غطاء قماش لا يمسه أحد بسوء ، أبواب المنازل قد تترك مفتوحة طوال الليل والنهار لا يدخلها إلا أهلها ، كل ذلك بفضل الله وحده وبرعايته ، ثم بسبب تحكيم شريعته ، والعمل برسالته .

فَمَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ بِلَادَهُ كَذَلِكَ ، فَلِيُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلِيُجْعَلَ دَسْتُورُهُ كَلَامَ اللَّهِ ، وَلِيُقَمَّ حَدُودُ اللَّهِ ، وَلِيُصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (١) ،
 ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
 وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة محمد : ٧

(٢) سورة الحج : ٤٠

(٣) سورة غافر : ٥١

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧ - فضل الإيمان (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، خلق الخلق بقدرته ، وأرسل الرسل برحمته ، وقامت السموات والأرض بعدله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وصفوته من أنبيائه ورسله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَاسْتَنَّى بِسُنَّتِهِ .

أما بعد . .

فإن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن وهو كلامه جلَّ شأنه ليكون نظاماً للبشر ، للفرد والأسرة والجماعة والدولة ، ليس لأحد دون أحد ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لبلد دون آخر ، ولا للعرب دون العجم : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤) .

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨

(٤) سورة سبأ : ٢٨

القرآن منهج عقيدة وسلوك ، ونظامُ معاملات ، وميزانُ عدالة ، يعالج النفس البشرية بالدواء الذي أنزله خالق النفس ، وهو الخبيرُ بوساوسها ، العليمُ باتجاهاتها وميولاتها ، البصيرُ بطبائعها وطاقاتها .

القرآن يُربي النفس الإنسانية بأعلى مستويات التربية ، يريد أن تكون في القمة من الأخلاق والفضائل وحسن السلوك ، انزل القرآن لإقامة العدل ومنع الظلم وبث التآخي والتعاطف والتعاون بين الناس والسير بهم على طريق النجاة .

والنفس لها ميولات وعواطف واتجاهات نحو ذاتها ونحو أقاربها ونحو الضعفاء والأقوياء ونحو الفقراء والأغنياء ، ونحو الأصدقاء والأعداء ، والتجرد من هذه العواطف وتلك الميولات أمر صعب وشاق لأنه صعود من أسفل إلى أعلى ، وتعلمون ما في الصعود من مشقة وتعب ، فلا بد من وسيلة تساعد ولا بد من سلم للراقي .

والإيمان هو الوسيلة التي يرقى بها المؤمن إلى المستوى العالي الذي يريده القرآن لبني آدم .

الإيمان هو المصعد الذي يرفع الإنسان إلى ذلك المستوى الرفيع .

الإيمان يعطي الإنسان جناحين يطير بهما كالطائر ، يعلو بهما إلى طبقات العلا ، أحدهما جناح الخوف من الله ، والثاني جناح الرجاء فيما عند الله . فالذي لا يطير بهذين الجناحين يبقى داحضاً حضيض الردى ، والذي لا يخاف من الله ولا يرجو ما عند الله لا يعمل شيئاً لله ، والذي لا يعمل من أجل الله يغلبه الهوى ، والهوى يضل عن سبيل الله .

أرجوكم رجاء خاصاً أخوياً أن تجمعوا سمعكم وقلوبكم لاستماع هذه الآية من سورة النساء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ

أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ
 أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (١) .

النداء عام فليس للقضاة وحدهم ولا للولاة وحدهم ، بل لجميع المؤمنين
 كل فيما يخصه ، وخص المؤمنين بالنداء دون بقية الناس لأن المؤمنين هم الذين
 عرفوا الحق واتبعوه ، وهم الذين عندهم سلم الرقي إلى شرف الإسلام وإلى
 مناجاة من في السماء والاتجاه إلى الملك العلام .

الله أكبر : إنها التربية بأعلى المستويات ، إنه التوجيه الفريد والعدل الذي
 ليس بعده عدل ، النفسُ والأبُ والأمُ والإخوةُ والزوجُ والأقرباءُ والأصدقاءُ
 والأعداءُ والفقراءُ والأغنياءُ والضعفاءُ والأقوياءُ . كلهم في العدل
 سواء : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
 وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّفْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا
 أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

القسط المذكور في الآية هو العدل والقوامون : جمع قوام ، والقوام :
 صيغة مبالغة من قائم .

قال الحافظ ابن كثير : يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط
 - أي بالعدل - فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم في الله لومة
 لائم ، ولا يصرّفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين
 متناصرين فيه .

(١) سورة النساء : ١٣٥

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) سورة المائدة : ٨

وقال الفخر الرازي : لما تقدم ذكر النساء والنشوز والمصالحة بينهن وبين الأزواج أعقبه بالأمر بالقيام بأداء الحقوق لله تعالى وبالشهادة لإحياء حقوق الله ، وبالجملة فكأنه قيل : إن اشتغلت بتحصيل مشتهاياتك كنت لنفسك لا لله ، وإن اشتغلت بتحصيل مأمورات الله كنت لله لا لنفسك ، ولا شك أن هذا المقام أعلاها وأشرفها .

وقال القرطبي : لا خلاف بين أهل العلم في صحة إحكام هذه الآية ، وأن شهادة الولد على الوالدين (الأب والأم) ماضية ولا يمنع ذلك من برهما ، بل من برهما أن يشهد عليهما ويخلصهما من الباطل وهو معنى قوله : ﴿ قَوْماً أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (٢) ، أي أن الشهادة حق لله تُؤدَّى من أجله يُثاب مؤديها لله ويُعاقب كاتمها ، ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ ﴾ (٣) فليست الشهادة للناس ولا للدنيا ولا لإرضاء أحد ولا لمضارته .

العدل ميزان الله في أرضه به تُحَقَّن الدماء وتُصان الأعراس وتُحفظ الحقوق . وينتشر الأمن ويعم الرِّخاء ، ولا يتحقق العدل إلا بإقامة الشهادة على وجهها وبالتعاون على البر والتقوى .

وكيف يشهد الإنسان على نفسه ؟ إذا أقر المرء بالحق الذي عليه ثبت الحق بالإقرار كما يثبت بالشهادة بل أكد ، فهو بإقراره شهد على نفسه .

وذكر بعض المفسرين تفسيراً آخر فقال : أن يكون المراد : وإن كانت الشهادة وبألا على أنفسكم وأقاربكم ، وذلك أن يشهد على من يُتَوَقَّعُ ضرره من سلطان ظالم أو غيره .

ومثل ذلك الشهادة على البذيء الفحَّاش الطعَّان الذي لا شيمة له ولا خُلُق ولا دين ، فلا يمنع ذلك من أداء الشهادة لله .

(١) سورة التحريم : ٦ (٢) سورة النساء : ١٣٥ (٣) سورة البقرة : ٢٨٣

وهكذا يربي القرآن أمة محمد ﷺ على مقاومة الدوافع النفسية والمشاعر الفطرية والاجتماعية ، فحين يكون المشهود عليه أب أو أم أو أحد الأقرباء تتحرك الحمية والعطف ، وكذلك إذا كان المشهود عليه فقيراً أو ضعيفاً فقد تشفق عليه النفس فلا تشهد عليه بل تحب أن تشهد معه لضعفه أو فقره ، أو يكون الضعف أو الفقر مدعاة للشهادة ضده عند بعض النفوس التي فيها خصال من جاهلية ، وكذلك حين يكون المشهود عليه غنياً أو قوياً فقد تقضي الأوضاع الاجتماعية مجاملته ، أو قد يثير غناه أو تصرفاته بعض الناس ضده فيحاول أن يشهد عليه لإهانته . والقرآن يلغي هذه المشاعر وهذه التصورات ويلقيها جانباً ، لا قيمة لها أمام الحق والعدل ، ولذلك قال : ﴿ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِمَا ^١ يَسْمَأُ ﴾ (١) ، فهو أعلم بما فيه صلاحهما وهو أرحم بهما من الناس ، ثم ختم الآية بالوعيد الشديد لمن اتبع الهوى فلم يعدل ، ولمن حرف الشهادة وغيرها أو أبطلها بكلام فيه مغالطة ، أو يُعرض عنها فلا يؤديها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، هناك قضايا لا تُعرف إلا بالإقرار ، مثل دعاوي الزوجين فيما هو داخل البيت ، ومثل القضايا التي تكون على غيبة من الشاهد ، فيجب الإقرار بالحقيقة والشهادة على النفس بالواقع .

فمن كتم فهو آثم قلبه ، ومن جحد فهو كاذب ، والمؤمن لا يكون كذلك ، والاعتراف بالحق فضيلة . وهناك حقوق ودماء وأعراض لا تُحفظ إلا بالشهادة على النفس ، فكونوا عباد الله قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم .

اللهم إننا نسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

أقول قولِي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل العدل

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ حِكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد ..

فخير وصية المسلم لأخيه المسلم تقوى الله ، فإذا حصلت التقوى حصل

كل خير في الدنيا والآخرة ، وهي وصية الله تبارك وتعالى لعباده : ﴿ وَلَقَدْ

وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢) .

فراقبوا ربكم أيها المسلمون ، وانظروا ماذا تقولون وماذا تفعلون ، وزنوه

بالقسطاس المستقيم .

حصل في عهد رسول الله ﷺ قضية وخفى أمرها وحكم فيها عالم الغيب

والشهادة من فوق سبع سماوات . سُرِقَ درع لرجل من الأنصار يقال له

(١) سورة الفاتحة : ١

(٢) سورة النساء : ١٣١

« قتادة » واتهم فيه « ابن أبيرق » ، ورُفِعَت القضية لرسول الله ﷺ ، فذهب السارق وألقى الدرع في بيت رجل يهودي وأخبر بعض أقربائه ، فجاء نفر منهم وقالوا : يا رسول الله ، إن صاحبنا بريء وإنما عمَد « قتادة بن النعمان » إلى بيت منا أهل إسلام وصلاح ورماهم بالسرقة ، فأبريء يا رسول الله صاحبنا أمام الناس فإن لم تُعذره هلك ، فبرأه رسول الله ، فنزل القرآن بالحكم في القضية : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا أَيْمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا لَّئِن جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١) .

فأبرأ اليهودي وأدان السارق الأنصاري .

وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يضرب المثل القيم في إنفاذ العدل ، لما بعثه الرسول ﷺ إلى خيبر لخرص ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه ويغضبي لكم على أن لا أعدل فيكم . فقالوا : رضيينا .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، وصلوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١٠٩

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨ - فضل المواهب (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْمُدْوَرِّبِ النَّبِيِّ ﴾ ﴿ (٢) ، أحمدته علي عظيم عطائه وتكاثر نعمائه وتوافر آلائه .

اللَّهُمَّ لَا نُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ (٣) .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحَوْلُ والقوة ، وبيده الخير والأمر كله ، جلَّتْ عظمته وتقدَّستْ أسماؤه .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه ورسله .
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الْوُرُودِ عَلَيَّ حَوْضِهِ .
أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، فاتقوا الله ما استطعتم .
أخي المسلم : إن أعمال الناس في هذه الدنيا تتفاوت بتفاوت مطالبهم ، وتختلف باختلاف طموحاتهم .

(١) ألقى يوم ١/٥/١٤٠٧

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) من دعاء النبي ﷺ في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

﴿ فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٥٥﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَابَ النَّارِ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

ولو أن الناس استعملوا المواهب الإنسانية التي امتازوا بها على كثير من المخلوقات وفكروا في أعمالهم ، لعلموا أن تلذذ العاقل بعقله ، والعالم بعلمه ، والحكيم بحكمته ، والمجتهد لله في العمل باجتهاده ، أعظم من تلذذ الأكل بأكله ، والشارب بشربه ، والكاسب بكسبه ، والامر بسلطته .

والدليل على ذلك أن العاقل والحكيم والعالم والعامل لله : واجدون لسائر اللذات البدنية كما يجدها المنهمك فيها ويحسون بها كما يحس بها المقبل عليها ، وقد آثروا طلب الفضائل عليها ، وإنما يحكم على الشيتين من عرفهما لا من عرف أحدهما .

وإذا أمعنا النظر في العمل للدنيا وجدناه محفوفاً بالمكاره والمخاوف ، خوف من نقص ما حصل ، وخوف من منافس ، أو حاسد أو حاقد . فكل أمر من أمور الدنيا ظفر به الإنسان فمآله إلى حزن ، إما بذهاب الحصيلة عن مُحصلها ، أو بذهاب الإنسان عن حصيلته ، ولا بد من أحد هذين الأمرين عاجلاً أو آجلاً . وإنما سعى الناس في هذه الدنيا على اختلافه وتنوعه مبناه على طرد الخوف ، فطلاب المال يسعون لتحصيله خشية الفقر ، وخشية أن يسبقه منافس ، وطالب العلم يطلبه لطرده الجهل ، والعامل لذكر الحسن يطرده به الحقارة ، وكل طالب شيء وكل عامل لشيء خائف من ضده إلا أنهم لا يحسون بهذه المخاوف إذ الرغبة والشهوة وحب الكسب تجعلهم يتحملون كل شيء ولا يحسون بما يلاقهم . أما العمل لله فبريء من كل عيب ، خالص من كل كدر ، لا ينافس فيه منافس ، ولا يضيق بطالبيه ، ولا يتحاسد راغبوه ،

فلا يخشى العامل لله همّاً يلحقه ، فإن عاقه عائق عن حصول مطلبه فهو على كسبه وثوابه غير مؤاخذ بما فاته ، وإن قصد بأذى سرّاً لأنه يحصل بصبره زيادةً في ثوابه .

عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاً شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراً صبر فكان خيراً له » (رواه الإمام مسلم وأحمد والدارمي) (١) .

فالعامل لله إن امتحن بمكروه لم يهتم بل يُسر لأن رجاءه في عاقبته ما ينال عوناً له على ما يطلب وزيادة في الغرض الذي ينشده ، وعاقبة أمره سرور في عاجل وآجل معاً .

أما العاجل فلذته بمنجاة ربه وقلة همه بما يهتم به الناس فيحبه الناس ويُقدرونه ويُجلونه .

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيُحبه جبريل ، فينادي جبريلُ في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً . فأحبه فيُحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض » (٢) .

(١) مسلم في الصحيح : الزهد ، حديث رقم (٢٩٩٩) عن صهيب الرومي رضي الله عنه ، وأحمد في المسند : ١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وإسناده قوي . راجع المجموعة الأولى من هذه الخطب : ٦٤/١

(٢) البخاري رقم (٣٢٠٩) بدء الخلق ، الباب السادس : ذكر الملائكة ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي مواضع أخرى كثيرة ، ومسلم في الصحيح ، في كتاب البر والصلة ، حديث رقم (خاص ١٥٧) ، و (عام ٢٦٣٧) من هذا الوجه واللفظ .

وأما سرور العامل لله في آجل أمره فبرضوان الله والجنة : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

فليس لطرد الخوف والههم إلا سبيل واحد هو العمل الصالح والالتجاء إلى الله تعالى في جميع الأمور وفي كل الأوقات ، فينبغي للعاقل أن يحفظ كرامة نفسه فلا يبذلها إلا فيما هو أعلى منها وذلك في ذات الله تعالى .

فيعمل لله ومن أجل الله لا للناس ، ولا لما في أيدي الناس . ولإبليس مكائد ومصائد يصيد بها الناس ، فربَّ ممتنع من فعل الخير خوفاً أن يُظن به الرياء ، فترك العمل من أجل الناس أشد رياء من تحسين العمل لمراى أحد من الناس .

الفرق بين عمل الطاعات وعمل المعاصي وبين عمل الفضائل وعمل الرذائل راحة النفس لما تعمل ، فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي ، والشقي من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل والطاعات .

فمثلاً الصلاة تكون سهلةً على الخاشعين لله ، كبيرةً على المنافقين : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٢) .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس صلاةٌ أثقلُ على المنافقين من الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً » (رواه البخاري) (٣) .

(١) سورة يونس : ٥٨

(٢) سورة البقرة : ٤٥

(٣) البخاري برقم (٦٥٧) الأذان ، باب رقم (٣٤) وعنوانه : فضل العشاء في الجماعة ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه أيضاً بعض أصحاب السنن الأربعة ، والإمام أحمد في المسند : ١٤٠ / ٥ ، وذلك من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه بهذا اللفظ .

ولو أن الإنسان حقق النظر في دنياه لوجدها اللحظة التي هو فيها ، وهي فصل ما بين الزمانين فقط .

أما ما مضى فقد انتهى وانقضى بما فيه ونسي . وأما ما لم يأت فمعدوم ولا يدري ما الله فاعل فيه . ، ومثل ذلك إذا نام المرء نسي كل سرور وكل حزن مرّ به ، فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك لسعد السعادة التامة ، فلا حزن يدوم في هذه الدنيا ولا سرور .

فالعاقل يصلح لحظته التي هو فيها لتكون شاهداً له لا عليه ، ولا يحقرن شيئاً مما يرجو فيه تثقيل ميزان حسناته أن يعجله وإن قلّ . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » (١) ، « اتقوا النار ولو بشق تمرّة » (٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق » (٣) .

فاجعل عملك - أخي المسلم - لله وإن سخطه خلقه ، واحذر أن تطلب رضا الناس بسخط الله فتكون الحال عسكية : « من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس » (٤) .

(١) مسلم في الصحيح البر والصلة حديث رقم (٢٦٢٦) ، باب : استحباب طلاقة الوجه ، وذلك من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب : ٣٧٥/١٠ (الفتح) ، وذلك من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه ، والترمذي برقم (١٠١٦) الزكاة و(خاص ٦٨) .

(٣) البخاري برقم (٩) ، الباب الثالث : أمور الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٣٠) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) الترمذي برقم (٢٤١٦) : الزهد ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفي إسناده رجل مبهم وله إسناد آخر عند ابن عساكر في تاريخه ١/٢٧٨ ، وفي مسند الشهاب : ٤٢/٢ قاله محقق شرح السنة : ٤١١/١٤ ، فالسند قوي . والله أعلم .

فأول مَنْ يزهد في الغادر مَنْ غدر له ، وأول مَنْ يحتقر الخائن مَنْ خان له ،
وأول مَنْ يمقتُ شاهدَ الزور مَنْ شهد له .

كثير من الناس يتقلَّبون في نعم الله ولا يحسون بها .

فهناك أمور لا يعلمها إلا مَنْ كان فيها ، وأمور لا يعلمها إلا مَنْ هو خارجاً
عنها .

فالآلم والخوف والقلق والجوع وأمثال هذا من العوامل النفسية والأمور
الخفية لا يعملها إلا من كان فيها ، أما من كان خارجاً عنها فلا يحس بها .

والصحة والغنى وفساد الرأي لا يعرفها إلا من كان خارجاً عنها . ولذلك
قيل : الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى (١) ، والغنى تاج
على رءوس الأغنياء لا يراه إلا الفقراء (٢) .

والحاصل أن الحرص على الدنيا ولذاتها مذموم ، والحرص على الآخرة
ولذاتها محمود .

والعمل للدنيا محفوف بالمكارة والمخاوف ، والعمل للآخرة بريء من كل
نقص وعيب .

وتحقيق مطلب الدنيا ظني قد يحصل وقد لا يحصل ، ومطلب الآخرة
مُحقَّق لمن طلبه : ﴿ بَلْ تُؤْمِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ ﴾ (٣) ،

(١) مقالة سننية طيبة وليس بحديث مرفوع .

(٢) مقالة سننية طيبة وليس بحديث مرفوع .

(٣) سورة الأعلى : ١٦ - ١٧ .

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ (١) ، ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (٢) .

الدنيا والآخرة ضررتان إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى ، فانظر أخي
المسلم في أمرك ، واعدل بين دنياك وآخرتك وأثر ما يبقى على ما يفنى .

﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٣) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة الضحى : ٤

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠

(٣) سورة القصص ، آية : ٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل المحافظة على الإخوة في الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَىٰ رَسُولَهُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ ﴿١﴾ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ .

أما بعد ..

فإن الإسلام حريص كل الحرص على إبقاء الأخوة والمودة بين المسلمين ، فقد أمر بما يُثبِت دعائمها وَيُقَوِّي أواصرها ، فحثَّ على التعاطف والتراحم والتعاون والبر والصلة والصدق والإحسان وأداء الحقوق وحفظ الأمانات وسد الخلة والعفو والصفح والتسامح وإفشاء السلام والبشاشة والكلام الحسن ، وبذل المعروف وكف الأذى وعيادة المريض وتشجيع الجنابة والتلطف بالصغير وتوقير الكبير والدعاء بالخير وستر العورات وغفر الزلات (٢) .

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) إشارة إلى عدة أحاديث في هذا المعنى وهي صحيحة ، ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . البخاري برقم (٢٤٦٥) : المظالم ، باب (٢٢) ، وقد وردت بعض هذه المعاني السامية ، ومسلم في الصحيح : اللباس ، حديث رقم (١١٤) ، و (عام ٢١٢١) من هذا الوجه واللفظ ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان البخاري برقم (١٢٤٠) : الجنائز ، ومسلم : كتاب « السلام » ، حديث رقم (٤ - ٦) .

ونهى عن أصداد ذلك ، نهى عن كل ما يؤثر في الأخوة وما يثير الشحنة والبغضاء ويُفرِّق الشمل .

ولكن بعض الناس - وهم قليل والله الحمد - قد تخفي عليه بعض الأمور ، فيخالف عن غفلة أو عن حُسن نية فيقع في المحذور شرعاً ، وخاصة في بعض الأمور التي تخفي على قليل البضاعة من علوم الشريعة ، ومن ذلك الخطبة على الخطبة ، والبيع على البيع . لقد نهى رسول الله ﷺ عن الخطبة على الخطبة وعن البيع على البيع .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له » (رواه الإمام مالك في الموطأ وأخرجه غيره) (١) .

وفي رواية : « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه ولا يبيع على بيع أخيه إلا بإذنه » (٢) .

وفي رواية للنسائي : « حتى ينكح الأول أو يترك » (٣) .

فإذا سبق رجل إلى خطبة امرأة فلا يجوز لرجل آخر أن يخطب تلك المرأة ،

(١) البخاري برقم (٥١٤٢) : النكاح (٤٥) باب : لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ، وذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم : البيوع ، حديث رقم (خاص ٨) ، و (عام ١٤١٢) من هذا الوجه ، ومالك في موطئه : ٥٢٣/٢ : النكاح .

(٢) هذا لفظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً : مسلم في الصحيح : النكاح ، حديث رقم (خاص ٥٠) ، و (عام ١٤١٢) ، ولفظ عقبه بن عامر رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح ، حديث رقم (خاص ٥٦) ، و (عام ١٤١٤) النكاح .

(٣) هذا لفظ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه النسائي في الصغرى : ٧٣/٦ تحت عنوان : النهي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه ، وإسناده صحيح .

حتى تُرد الخطبة أو يرجع عنها الخاطب الأول ، وإذا كانت للثاني رغبة في تلك المخطوبة فليستأذن الأول ليتحلله ، فإذا أذن فقد رجع عن خطبته ، وجاز للثاني أن يخطب .

وكذلك البيع على البيع ، فمثلاً إذا قال البائع : بعتك بمائة ريال ، وقال المشتري : اشتريت ، فلا يجوز لإنسان آخر أن يقول للبائع : أنا اشتريها بمائة وعشرة مثلاً ، ولا أقل ولا أكثر ، حتى ولو كان في مجلس العقد .
فإن ذلك يثير غضب المشتري الأول ويسبب الشقاق والشحناء ويصدع الإخوة الإسلامية .

جاء رجل يشتكي آخر يقول : إنه خطب من فلان ابنته واستقبل ، وأخذ منه ما أخذ ، وأثت شقته ، ثم جاءه خاطب آخر فرفض خطبتي .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، يحرم على المسلم أن يخطب على خطبة أخيه المسلم ، فإذا كان لا يعلم بخطبة الأول فليرجع عن خطبته متى علم بها .

اتقوا الله أيها المؤمنون ، كونوا إخواناً ، حافظوا على أخوتكم وعلى أخلاقكم الإسلامية : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة الحشر : ٧

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩ - فضل مخالفة الأعداء (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلِتَمْجِلَ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾ (٢)

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُوًى ﴿٣﴾ ﴾

(٣)

﴿ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرَةٍ تَكْبِيرًا ﴿٣﴾ ﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه وخاتم أنبيائه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإذا تأملنا قصص القرآن الكريم عن الأمم السابقة وما جرى بينهم وبين أنبيائهم ، وكيف كانت عاقبة أمرهم ، لوجدنا فيها المواعظ والعبر ، والذكرى ، والترغيب والترهيب : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ

(١) ألقى يوم ١٥/٦/١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) سورة الإسراء : ١١١

حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنَّ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ (١)

وأكثر القصص ذكراً في القرآن هو قصصُ بني إسرائيل ، فتخصيصه بكثرة الذكر والتنوع دليل على أن فيها ما يوجب التنبيه ويستدعى الاهتمام والانتباه ، وفيها ما يوجب اليقظة والحذر ، فإن أهل الكتاب هم أعدى عدو للإسلام وللمسلمين من أول يوم ولا يزالون كذلك : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (٢) ، فعداوتهم عداوة دين وعقيدة ، عداوة مباديء وأسس ثابتة ، ﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٣) .

ولقد جاء القرآن الكريم يكشف أسرارهم ويفضح نواياهم ويبيِّن خُبث طواياهم ، ومدى بغضهم للإسلام والمسلمين ، فهم دائماً عواملُ فتن وتفرقة وفساد . يكيدون للإسلام ، ويبثون الادعاءات الكاذبة وينشرون الشكوك والخلافات بين الناس ، لتكون لهم السيطرة على أموالها .

فالقرآن الكريم يحذّر المسلمين من هذه الفئة ومكائدها ، ويحذّر المسلمين من صفاتهم وأخلاقهم .

وإذا تأملنا ما قصّه القرآن المطهّر عن بني إسرائيل وجدنا العجب العُجاب ، وغرائب الصفات ، وشذوذ الطباع ، وهم كما قال القرآن المنزّل من الحكيم الخبير ، فيهم التديليس والتليس ، ونقضُ العهود ، فيهم الحقد والحسد وإخلاف الوعود ، فيهم الكذبُ والزورُ والبهتان ، فيهم جحد المعروف وإنكار الجميل واللّف والدوران ، فلا يَغْتَرُّ بهم إلا مسكين مغرور ، سجيّتهم السعيّ

(١) سورة يوسف : ١١١

(٢) سورة المائدة : ٨٢

(٣) سورة البقرة : ١٢٠

بالفساد والكفر والعناد ما يخرجون من جريمة إلا إلى أخرى ، ولا يتركون معصية إلا إلى خطيئة .

توالت عليهم نعم الله فلم يشكروها ، وأنزلت إليهم كتب الله فحرفوها ، وجاءتهم رسلمهم بالبينات ﴿ قَرِيبًا كَذَبُوا وَفَرِحُوا بِمَا يَقْتُلُونَ ﴾ (١) ، نفوسهم شريرة بطبعها وصفاتهم خبيثة بأصلها .

نقضوا عهد الله وهو خالقهم فما بالكم بمن دونه ، وقتلوا أنبياء الله وهم هدايتهم فما بالكم بغيرهم ، عبدوا العجل من دون الله ، وقالوا : عزيز ابن الله افتراءً على الله ، يدعون السلم ولا يسالمون ، ويدعون الإحسان ولا يحسنون ، ويطلبون الوفاء ولا يوفون ، ويطلبون العدل ولا يعدلون ، لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ﴿ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

ولم تكن مواقف اليهود إلا مواقف الخبث والغدر والافتراء لا مع البشر فقط ، بل ومع رب العالمين ، أنعم الله عليهم ونجاهم من آل فرعون ، وفتق لهم البحر ، وأغرق عدوهم ، وظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى (٣) ، وأنبع لهم الماء من الحجر ، وأعطاهم من كل ما سألوه ، فعصوا أمره وتخلوا عن نبيه ، فقالوا : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون (٤) ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ يَكْتُمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (٦) يشترون الدنيا بالآخرة .

(١) سورة المائدة : ٧٠

(٢) سورة المائدة : ٧٩

(٣) إشارة إلى الآية ٥٧ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٤ من سورة المائدة .

(٥) سورة البقرة : ٥٩

(٦) سورة البقرة : ٧٩

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ الْأَسِنَّةُمْ بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ آلِ كِتَابٍ وَمَاهُو
 مِنْ آلِ كِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَاهُو مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ (١) ، أَمُرُوا بِذَبْحِ بَقْرَةٍ لِحِكْمَةٍ بِاللُّغَةِ فَشَكُّوا وَعَانَدُوا
 ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) ، قَسَتْ قُلُوبُهُمْ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً (٣) ،
 ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ، يَزْعُمُونَ بِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ (٥) وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
 خَالِصَةٌ لَهُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ ، وَأَنَّهُ ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ
 نَصَارَى ﴾ (٦) ، ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ (٧) ، كَلِمًا
 جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٨) ،
 ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْنُومُونَ ﴾ (٩) .

يسمعون أوامر الله فلا يمثلون. حريصون على إضلال المسلمين وإخراجهم من
 الإيمان إلى الكفر ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
 كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (١٠) لا يرضون عن أحد حتى يكون مثلهم

(١) سورة آل عمران : ٧٨

(٢) سورة البقرة : ٧١

(٣) إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٤) سورة البقرة : ٧٥

(٥) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٦) سورة البقرة : ١١١

(٧) سورة البقرة : ٨٠

(٨) إشارة إلى الآية ٨٧ من سورة البقرة .

(٩) سورة البقرة : ٨٨

(١٠) سورة البقرة : ١٠٩

ويسلك طريقهم ويعمل بعملهم ، جاءهم عيسى بالبينات والمعجزات فازدادوا طغياناً وكفراً ، وجاءهم موسى عليه السلام فقالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (١) ، ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (٢) ، ﴿ يُسْرِعُونَ فِي ٱلْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٤) ، يأكلون الربا وقد نهوا عنه ، ويأكلون أموال الناس بالباطل أولئك هم الظالمون (٥) .

هذه من أخلاق اليهود وصفاتهم فلا يوالهم إلا مسكين مخدوع ، ﴿ فَتَرَىٰ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴾ (٦) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، افتحوا أعينكم ، وافقهوا بقلوبكم واقرأوا كتاب ربكم وخذوا منه التوجيه والتنظيم ، وسيروا على منهاجه القويم .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ أَخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَعِبَآءًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أوتُوا ٱلْكِتَآبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكَفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٧) .

(١) سورة البقرة : ٥٥

(٢) سورة المائدة : ٤٢

(٣) سورة المائدة : ٦٢

(٤) سورة المائدة : ٦٤

(٥) إشارة إلى الآية ١٦١ من سورة النساء .

(٦) سورة المائدة : ٥٢

(٧) سورة المائدة : ٥٧

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١)

قد أمرنا نبينا محمداً ﷺ بمخالفة اليهود في كل شيء حتى في العبادات ، وحثرنا أن نقلدهم في العادات ، ثم إن كثيراً من المسلمين اتبعوا سنتهم ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه (٢) ، لم يتركوا شيئاً من عاداتهم إلا اتبعوها ، في اللباس وفي الحفلات وفي الأثاث وفي المآكل والمشرب والأخلاق .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنِ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم افتح بصائرنا لمعرفة الحق واتباعه ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة آل عمران : ١٠٠

(٢) إشارة إلى حديث صحيح أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، وذلك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . البخاري : ٢٢٥/١٣ في الاعتصام ، باب : قول النبي ﷺ : لتبتعن سنن من كان قبلكم (الفتح) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) في العلم .

(٣) سورة المائدة : ٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل اتباع الهدى

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض ، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . .

الإيمان بالله والتصديق برسالة محمد ﷺ واتباع الهدى والنور الذي جاء به ، يهذبُ النفوسَ ، ويؤلّفُ القلوبَ ، ويكسبها قوةً وصبراً وثباتاً ، لأن القلب المؤمن يتصل بالله ، وربُّ العزة والجلال هو مصدرُ كل قوة : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣) . وما يصيب

(١) سورة آل عمران : ٢٦

(٢) سورة آل عمران : ١٠١

(٣) سورة الطلاق : ٣

المسلم من نكسة أو خذلان فيما كسبت يده (١) ، فالصدودُ عن كتاب الله ،
والحكمُ بغير ما أنزل الله ، واتباعُ غير سبيل المؤمنين هو الذي يورث
الذل والخذلان : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وأكثرُوا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في
كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَانْعَمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ
المَقَامِ المَحْمُودِ وَالحَوْضِ المُرُودِ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ وَعَثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، وَعَنْ بَقِيَةِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَزَوْجَاتِ نَبِيِّكَ أُمَّهَاتِ
المُؤْمِنِينَ ، وَعَنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) سورة الشورى : ٣٠ - ٣١

(٣) سورة آل عمران : ٢٠٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٠ - فضل محاسبة النفس (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

أحمده ، وحمدنا من إحسانه ، وأشكره ، وشكرنا من إنعامه ، هدايا
برحمته وإعانتة ، فله الحمد كما هو أهله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمرنا بالنظر في مستقبل أمرنا ،
وبأخذ الزاد لسفرنا والاستعداد لمآبنا ، وبين طريق نجاتنا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، المخصوص بالفضل
والتكريم ، والموصوف بالخلق العظيم (٣) ، وبأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وَعَلَى هَدْيِهِمْ اسْتِقَام .

أما بعد ..

فإن النفس مع صاحبها مثل الشريك في المال ، فكما أنه لا يتم مقصود
الشركة من الربح إلا بالمشاركة على العمل ، ثم بمطالعة ما يعمل ، ثم
بمحاسبته ومنعه من التعدي والإهمال ، فكذلك النفس ينبغي أن يشارطها
الإنسان على حفظ الجوارح : السمع ، والبصر ، والبطن ، والفرج (٤) ،

(١) ألقى يوم ١٤/٧/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٤ من سورة القلم .

(٤) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

واليد ، والرَّجُل ، واللسان (١) ، فهي رأس المال ، وبحفظها يحصل الريح وهو رضا الله وثوابه ، وبإهمالها يحصل الخسران وهو سخط الله وعقابه .
والإنسان له نفس واحدة ولكنها تتصف بإحدى صفات ثلاث ، وقد تنتقل من صفة إلى صفة .

والنفس في أصل تكوينها تميل إلى الشهوات وتؤثر العاجل على الآجل ، والراحة على العمل ، وهي قابلة للتوجيه ، تتأثر بالمؤثرات ويأتيها داعيان : داع الشيطان يُحرِّكُ فيها غرائز الشهوات ويرغِّبها فيها ويعدها ويمينها .

ويأتي إليها داع الرحمن يذكِّرها بالعهد الأول (٢) ، وهو الإيمان بالله وبربوبيته ووحدانيته ، ويوقظ فيها الفطرة والإيمان ، وينظم حياتها وكيف تتمتع بشهواتها بلا ضرر عليها ، فإذا غلب عليها داع الشيطان وانجرفت خلف الشهوات بلا تنظيم وبلا مبالاة ، ونسيت عهد الله وميثاقه صارت من حزب الشيطان (٣) ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤) .

وإذا غلب عليها داع الرحمن وَوَفَّتْ بالعهد والميثاق واستجابت لربها ولرسالاته ، ومالت إلى العالم العلوي ، واتجهت إلى خالقها وترفعت عن

(١) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة الإسراء .

وأما بالنسبة للبطن والفرج فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام ما أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٦٤٧٤) : الرقاق ، وهو من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقد عقد عليه البخاري الباب قائلاً : حفظ اللسان : « مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه » .

(٢) إشارة إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى ١٩ من سورة المجادلة .

(٤) سورة المجادلة : ١٩

اتباع الشيطان صارت من حزب الرحمن (١) ﴿الْأَيَّانَ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ
الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

ولكن القرين الشرير لن يتخلى عنها (٣) فيتصيد منها غفلة أو ضعفاً فيوقعها
في المحذور ، فإذا أنكرت فعلها وأدركت خطأها وندمت على ما حصل منها
صارت على صفة بين الصفتين الأولين (٤).

فهذه ثلاث صفات تتصف بها النفس ورد ذكرها في القرآن الكريم باسم
الأمارة ، والمطمئنة واللوامة ، وحين يصف الخالق تبارك وتعالى النفس
البشرية فهو الحكيم العليم ، وهو اللطيف الخبير . قال تبارك وتعالى في قصة
امرأة العزيز مع يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام :

وَمَا أُتْرِقُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَجَعَهَا رَبِّي فَأُوْبَرُّ
رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾ . وقال جل شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٥١﴾ ارْجِعِي

إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٥٢﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٥٣﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٥٤﴾ . وقال
تقدس أَسْمَاؤُهُ : ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٥٥﴾ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٥٦﴾﴾ (٧).

فالنفس المطمئنة .. هي التي وفت بعهدا مع ربها ، فأمنت بربوبيته
ووجدانيته وبأسمائه وصفاته وألوهيته ، وامثلت أوامره ووقفت عند حدوده
ونواهيه ، وعملت صالحاً خالصاً لله ، واتكلت على الله وأيقنت بقدر الله وإن

(١) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة المائدة .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٩ سورة المائدة .

(٥) سورة يوسف : ٥٣

(٦) سورة الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٧) سورة القيامة : ١ - ٢

ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها (١) ، فسارت إلى الله بثبات ، وصبرت على الأقدار ، واطمأنت إلى شرع الله ، وسكنت إلى ذكر الله ، فإذا جاءها الأجل اشتاقت إلى لقاء الله وأنست بقربه وفرحت بلاقائه فيأتيها ملك الموت في سكينه وهدوء يتلطف بها ويبشرها بحسن المآب : أخرجني إلى رضوان من الله وجنة (٢) نعيم . فتسرع إليه كالقطرة من فيء السماء .

وأما النفس اللوامة . . فهي التي تلوم صاحبها على النقص في الواجب وتعاتبه على فعل القبيح ، وتحثه على الزيادة من الصالحات ، وتؤنبه في كل لحظة من حياته ، فهي رقيب عليه تشجعه إذا ذكر ، وتنهيه إذا غفل .

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٣) .

وأما النفس الأمارة بالسوء . . فهي التي تتحدث بالخبث وتميل إليه وإلى الشهوات المحرمة ، وتسيطر على صاحبها فتقوده إلى رغباتها ، وترديه في هاوية الهلاك وهابط الخسران : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٤) .

(١) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أخرجه بعض أصحاب السنن والإمام أحمد في المسند : ٣١٧/٥ ، وإسناده حسن وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٤٤١/٦ - ٤٤٢ ، وإسناده صحيح مرفوعاً : لكل شيء حقيقة ، وما بلغ بعد حقيقة الإيمان ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه .

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢٨٧/٤ - ٢٨٨ ، وإسناده صحيح بسياق طويل في وصف موت المؤمن وموت الكافر المنافق .

(٣) سورة التوبة : ١٠٢

(٤) سورة الشمس : ٩ - ١٠

وعلاج النفس الأمارة بالسوء اللجوء إلى الله والاستعاذة به من شرها ،
فقد علمنا النبي ﷺ مخالفتها فيما تميل إليه من الباطل وأطرها على الحق ،
ومحاسبتها في كل تصرفاتها فيما بينها وبين الله ، وفيما بينها وبين الناس (١) .

روى الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي رحمهم الله ، عن شداد بن أوس
رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (٢) .

فالكيس هو العاقل الذي ينظر في أمره ويفكر في مستقبله ويسيطر على نفسه
ويوجهها وجهة حسنة ويردّها عن شهواتها ورغباتها المحرّمة ، ويتهمها ويدينها
بالتقصير والإهمال ويحاسبها محاسبة الشريك في المال ، ويعرف ما لها
فيطمع في ثوابه وما عليها فيتداركه بالتوبة والاستغفار .

روى الترمذي : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :
حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا (٣) وتزيّنوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف
الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا .

﴿ فَإِذَا جَاءَ نَارَ الطَّائِفَةِ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَنْ رَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَفَى ﴿٢٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ ﴾

(١) إشارة إلى الآية ٤٠ - ١٤ من سورة النازعات ، ونحوها آيات كثيرة وأحاديث
نبوية جمة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ١٢٤/٤ ، والترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه
(٤٢٦٠) ، والبخاري في شرح السنّة (٤١١٧) ، والبيهقي : السنن الكبرى مع
الجواهر النقي كتاب « الجنائز » : ٣/٣٦٩ وفي إسناده أبو بكر بن مريم وهو واهٍ جداً .

(٣) وهو من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي في الجامع
معلقاً وقال : يروي عن عمر بن الخطاب وأن معناه في قوله تعالى في الآية ٢٥٤ من
سورة البقرة .

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ (١) .

وكان الأحنس بن قبيس رحمه الله يجيء بالمصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول : حسَّ يا حنيف ، ما حملك على ما صنعتَ يوم كذا ؟ ما حملك على ما صنعتَ يوم كذا ؟ ... يحاسب نفسه (٢) .

ومحاسبة النفس تكون قبل الفعل وبعده ، فأما قبله فإذا أحس بميولها إلى شيء نظر في النتيجة والعاقبة ويختار الأصلح لدينه وديناه بلا إثم يلحقه . قال الحسن البصري : رَحِمَ اللهُ عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضي ، وإن كان لغير الله تأخر (٣) .

وأما محاسبة النفس بعد العمل ، فثلاثة أنواع :

الأول : محاسبتها على طاعة قصرت فيما يجب لله فيها ، وحق الله في كل طاعة : الإخلاص ، والإتقان ، ومتابعة الرسول ﷺ ، والاعترافُ لله بنعمة التوفيق والإقرار له بِمِنَّةِ الهداية ، واتهامُ النفسِ بالتقصير . فبذلك يتدارك ما نقص بالعمل ويتدارك ما فسد بالإصلاح .

(١) سورة النازعات : ٣٤ - ٤١

(٢) هو الإمام الحافظ الأحنف بن قيس بن معاوية بن الحصين التميمي السعدي ، أبو بحر ، قال الحافظ في التقریب : ٤٩/١ رقم الترجمة (٣٢٦) : مخضرم ثقة . مات سنة ٦٧ هـ ، وقيل ٧٢ هـ ، وكلامه هذا الجيد قد يوجد في حلية الأولياء للحافظ ابن نعيم الأصبهاني رضي الله عنه .

(٣) هو الإمام الزاهد التقى الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار - بالتحانية - الأنصاري مولاهم ، قال الحافظ في التقریب رقم الترجمة (٢٦٣) : ثقة فقيه فاضل مشهور ، ويقول : حُدثنا وخطبنا ، يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة ، هو رأس الطبقة الثالثة . مات سنة ١١٠ هـ .

والثاني : محاسبة النفس على فعل محرّم فيؤنبها ويوبخها ، فيقول : ماذا فعلتُ ، وماذا لبستُ ، ماذا أكلتُ ؟ ماذا شربت ، ماذا قلت ، ماذا نظرت ، ماذا سمعت ، ماذا أخذت ، لماذا بطشت يدي ، لماذا مشت رجلي .

يتأمل أفعاله ويزنها بميزان الشريعة ، ومن أجمل محاسبة النفس ما روي عن ابن القيم وكان عمره ستين عاماً ، فحسب أيامه واحداً وعشرين ألف وخمسمائة يوم ، فقال : يا وليتي ، أألقي ربي بواحد وعشرين ألف ذنب ؟ كيف وفي كل يوم آلاف الذنوب ؟ (١) .

ثم إن كانت المحاسبة فيما يتعلق بحق مخلوق ، فلا بد من رد المظالم إلى أهلها ، فإذا لم يعرف صاحبها صرفه في أوجه الخير ، ثم متى جاء صاحبها فإن أجاز التصرف وإلا غرمها له ، وإذا كانت في حق غير المال استسمح صاحبه إذا لم يكن ضرر ، وإلا دعا له حتى يغلب على ظنه أنه أهدى له من

الحسنات ما يغطي تلك السيئات : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ ﴾ (٢) .

النوع الثالث من محاسبة النفس بعد العمل : محاسبتها على فعل مباح ، فقد يُثاب المرء على فعل المباح وقد يعاقب ، فإذا قصد به التقوى على طاعة الله ، وذكر اسم الله في الابتداء ، وحمد الله في الانتهاء ، وشكر الله على النعماء كان له ثواباً ، وإذا تقوى بالمباح على معصية الله أو أراد المباهاة والمفاخرة والتعظيم والخيلاء ، أو بلغ حد الإسراف كان عليه وبالاً وعقاباً .

(١) لم أقف عليه .

(٢) سورة الأنبياء : ٤٧

فاتقوا أيها المسلمون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّقَدَّمَتْ
لِعَذِّبٍ ﴾ (١) ، فمن الناس من غفل عن نفسه وأعطاهها زمامها فظفرت به
وقادته إلى شهواتها وأبعده عن صراط ربه فأهلكته ، ومنهم من عرف نفسه
وأخذ بزمامها وقهرها فانقادت له وصارت تحت إرادته فنجى ونجأها (٢) .

فانتبه لنفسك أيها المسلم وخذ بناصيتها واجعلها تحت إرادتك تابعة لك
منقادة لشرع ربها ، واحذر إهمالها فتكون عبداً لها متبعاً لهواها ، واستعن
بالله وتوكل عليه ، واسأله التوفيق والثبات : ﴿ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رَشَدَنَا ، وَقْنَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا جَدْنَا
وَهَزَلْنَا وَإِهْمَالِنَا وَتَقْصِيرِنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

* *

(١) سورة الحشر : ١٨

(٢) إشارة إلى الآية ١ - ٢١ من سورة الليل ، آية .

(٣) سورة الإنسان : ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعدل الناس من أنصف من نفسه

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أن أعدل الناس من أنصف من نفسه ،

وأجور الناس من رأى جوره عدلاً ، وأكيس الناس من أخذ أهبة الأمر قبل

نزوله ، وأحمق الناس من باع دينه بدنياه غيره ، وأسعد الناس من ختم له

بالحسنى في عاقبة أمره ، وأبخل الناس من لم يصل على النبي ﷺ إذا

ذُكر (٢) ، ثم اعلموا رحماني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه

بنفسه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة الفاتحة : ١

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الترمذي في جامعه برقم (٣٥٣٩) ،

وابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) وإسناده حسن .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

قائمة المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - جامع البيان فى تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار المعرفة - بيروت .
- ٣ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى - دار إحياء التراث .
- ٤ - أضواء البيان : للعلامة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكى الشنقيطى - مطبعة المدنى .
- ٥ - أحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبرى - مطبعة حسان - القاهرة .
- ٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير - دار الكتب المصرية .
- ٧ - زاد المسير : لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .
- ٨ - فتح القدير : للإمام الشوكانى - مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .
- ٩ - تفسير القاسمى : للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - دار الفكر - بيروت .
- ١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر .
- ١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشري - مطبعة مصطفى محمد .

- ١٢ - صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخارى - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .
- ١٣ - فتح البارى : للشيخ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - المطبعة السلفية - مصر .
- ١٤ - عمدة القارى : للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .
- ١٥ - شرح السنّة : للإمام الحافظ أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى - المكتب الإسلامى .
- ١٦ - جامع الأصول : للإمام أبى السعادات مبارك بن محمد الأثير الجزرى - مطبعة السنّة المحمدية .
- ١٧ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى - المكتب الإسلامى - دمشق .
- ١٨ - الترغيب والترهيب : للإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى - إحياء التراث - بيروت .
- ١٩ - جامع العلوم : لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن الحنبلى البغداى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .
- ٢٠ - رياض الصالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووى - دار العهد الجديد .
- ٢١ - السنن الكبرى : للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند .
- ٢٢ - سنن أبى داود : للإمام سليمان بن الأشعث - طبعة دار الحديث .

- ٢٣ - شرح مختصر سنن أبي داود : لابن قيم الجوزية - مطبعة السنة
المحمدية .
- ٢٤ - بذل الجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفورى - دار الكتب العلمية .
- ٢٥ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر -
بيروت .
- ٢٦ - الفتح الربانى : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتى) - دار
الحديث - القاهرة .
- ٢٧ - المنتقى : لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة .
- ٢٨ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : فاروق سعد - دار الآفاق
الجديدة - بيروت .
- ٢٩ - التمهيد : للإمام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى - مطبعة
فضالة - المغرب .
- ٣٠ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى
النيسابورى - دار إحياء التراث العربى .
- ٣١ - شرح النووى : للإمام النووى - المطبعة المصرية .
- ٣٢ - المغنى : للإمام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة
المقدسى - دار المناخ .
- ٣٣ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر
الذرعى ، ابن القيم - دار المعاد - بيروت .
- ٣٤ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم - مطبعة
السعادة .

- ٣٥ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن عليّ بن سليمان المردارى -
مطبعة السنّة المحمدية - غزة .
- ٣٦ - تصحيح الفروع : لعليّ بن سليمان المقدسى - مطبعة المنار - مصر .
- ٣٧ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس
البهوتى - مطبعة الحكومة - مكة .
- ٣٨ - فتاوى الشيخ ابن تيمية - جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
العاصمى النجدى الحنبلى - مطابع الرياض .
- ٣٩ - فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم - جمع : محمد بن عبد الرحمن بن
قاسم - مطبعة الحكومة - مكة .
- ٤٠ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .
- ٤١ - البحر الرائق شرح كنز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفى - دار
المعرفة - بيروت .
- ٤٢ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد عبد الواحد السيراسى -
مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .
- ٤٣ - البناية فى شرح الهداية : لأبى محمد محمود بن أحمد العينى - دار
الفكر .
- ٤٤ - بدائع الصنائع : للفقهاء إمام الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى
- مطبعة الإمام - القاهرة .
- ٤٥ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .
- ٤٦ - روض الطالب : للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى الشافعى - المكتبة
الإسلامية .
- ٤٧ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عlish - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

- ٤٨ - الخرشى : على مختصر سيدى الخليل - دار صادر - بيروت .
- ٤٩ - حاشية الدسوقى : للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقى - دار إحياء الكتب .
- ٥٠ - روضة الطالبين : للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - المكتب الإسلامى .
- ٥١ - المبدع فى شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - المكتب الإسلامى .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

- ٥ كلمة تعريفية موجزة - للشيخ عبد القادر بن حبيب الله
 ١١ موجز عن حياة المؤلف
 ١٥ مقدمة المؤلف للجزء الثاني من خطب الجمع والأعياد

الباب الأول : التفسير

(١٧ - ٤٠٢)

- ١ - ألقيت في ١٣٩٩/٢/٧ هـ :
 ١٩ الخطبة الأولى : من فوائد سورة الفاتحة
 ٢٥ الخطبة الثانية : لسان المؤمن دائماً رطباً من ذكر الله
 ٢ - ألقيت في ١٤٠٢/٥/٢٤ هـ :
 ٢٨ الخطبة الأولى : من أول سورة البقرة
 ٣٣ الخطبة الثانية : الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام
 ٣ - ألقيت في ١٤٠١/١٠/٢٨ هـ :
 ٣٥ الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٤٤) من سورة البقرة : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾
 الخطبة الثانية : تفسير الآية (٩٧) من سورة آل عمران : ﴿ والله على الناس حج البيت ﴾
 ٣٩
 ٤ - ألقيت في ١٤٠٠/٥/٢٤ هـ :
 الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾
 ٤٢

الصفحة

- ٤٧ الخطبة الثانية : القوة النفسية توجه العقل
- ٥ - ألقيت في
- ٤٩ الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٨٣) من سورة البقرة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾
- ٥٥ الخطبة الثانية : تتمه تفسير آية الصيام : النية شرط في الصيام .
- ٦ - ألقيت في ٢٦ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ :
- ٥٨ الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾
- ٦٦ الخطبة الثانية : تتمه تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة : « يسروا ولا تعسروا »
- ٧ - ألقيت في ١٦ / ١١ / ١٤٠١ هـ :
- ٦٨ الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾
- ٧٣ الخطبة الثانية : تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة في الحج
- ٨ - ألقيت في ٢١ / ٣ / ١٤١٣ هـ :
- ٧٥ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٢٢) من سورة البقرة : ﴿ ويستلونك عن المحيض ، قل هو أذى ﴾
- ٨٣ الخطبة الثانية : تفسير الإنفاق في سورة البقرة : القرض الحسن
- ٩ - ألقيت في ١١ / ٣ / ١٤٠٧ هـ :
- ٨٦ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٥٥) من سورة البقرة : (آية الكرسي)

الصفحة

- ٩٣ الخطبة الثانية : اختيار المدرس الصالح
- ١٠ - ألقى في
- ٩٤ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة :
﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾
- ١٠١ الخطبة الثانية : إصلاح المعاملات
- ١١ - ألقى في ١٣/٤/١٤٠٥ هـ :
- ١٠٤ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٧) من سورة النساء (آية
الموارث)
- ١١٠ الخطبة الثانية : أسباب الميراث
- ١٢ - ألقى في ١١/١٢/١٣٩٦ هـ :
- ١١٢ الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١-١٢) من سورة النساء (في
الفرائض)
- ١١٨ الخطبة الثانية : تفسير الآية (١٧) من سورة النساء (ترابط
المسلمين بالعدل وإعطاء الحقوق)
- ١٣ - ألقى في ٧/١١/١٤٠٧ هـ :
- ١٢٠ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء :
﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ﴾
- ١٢٦ الخطبة الثانية : المساجد بيوت الله
- ١٤ - ألقى في ١٥/٧/١٤١٣ هـ :
- ١٢٨ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٩٢) من سورة النساء : ﴿ وما
كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ﴾

الصفحة

- الخطبة الثانية : إفشاء السلام ١٣٦
- ١٥ - ألقى في :
- الخطبة الأولى : تفسير الآيات (١٠٥ - ١١٢) من سورة النساء : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ ١٣٩
- الخطبة الثانية : من تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء :
- الحث على الإصلاح ١٤٤
- ١٦ - ألقى في ١٥/٢/١٤٠٢ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء :
- ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ﴾ ١٤٧
- الخطبة الثانية : « كل سلامى فى ابن ادم عليه صدقة » ... ١٥١
- ١٧ - ألقى في ١٠/١/١٤٠٨ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٣٥) من سورة النساء :
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ ١٥٣
- الخطبة الثانية : سرقة الدرع ١٥٨
- ١٨ - ألقى في ٢٠/١١/١٤٠١ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣) من سورة المائدة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ﴾ ١٦٠
- الخطبة الثانية : من تفسير قوله تعالى : ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ : شكر الله على نعمة الإسلام ١٦٥

الصفحة

- ١٩ - ألقى في ٢٣/٢/١٤٠٠ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة :
- ١٦٧ ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾
- ١٧٣ الخطبة الثانية : النجاة من الفتن
- ٢٠ - ألقى في ١٠/١/١٤١٠ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١٨) من سورة التوبة : ساعة
- ١٧٥ العسرة والثلاثة الذين خلّفوا
- ١٨٢ الخطبة الثانية : خير الأمور عوازمها
- ٢١ - ألقى في ١٤/٢/١٣٩٤ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآيات (٧٧ - ٨٣) من سورة هود :
- ١٨٥ اللواط .. فاحشة كبرى ، وجريمة شنعاء
- ١٩٢ الخطبة الثانية : تحديد النسل
- ٢٢ - ألقى في ١١/٦/١٤١١ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (٩٠) من سورة النحل : ﴿إن
- ١٩٤ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾
- ٢٠٢ الخطبة الثانية : الأمر بالمعروف
- ٢٣ - ألقى في
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (٩) من سورة الإسراء : ﴿إن
- ٢٠٥ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾
- الصفحة

- ٢١٣ الخطبة الثانية : من معنى الآية (٩) من سورة سراء : إقامة الحدود من الهداية
٢٤ - ألقى في ١٨/٥/١٤٠٠ هـ :
- ٢١٧ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٣) من سورة الإسراء :
٢٢٣ ﴿وبالوالدين إحساناً﴾
الخطبة الثانية : راحة النفس لا ينالها إلا المؤمن التقى
٢٥ - ألقى في ٢٨/٥/١٤٠١ هـ :
- ٢٢٦ الخطبة الأولى : تفسير الآيات (١ - ٧) من سورة المؤمنون :
من صفات المؤمنين
٢٣٢ الخطبة الثانية : من تفسير الآية (٨ - ٩) من سورة المؤمنون :
حفظ الأمانات ومراعاة العهود
٢٦ - ألقى في ٢٧/٦/١٣٩٣ هـ :
- ٢٣٤ الخطبة الأولى : تفسير الآية (١ - ٢) من سورة النور :
٢٣٩ عقوبة الزانى
الخطبة الثانية : أسباب العفة
٢٧ - ألقى في ٦/٧/١٤٠٧ هـ :
- ٢٤٢ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣١) من سورة النور : فى
٢٥٠ مسألة السفور والحجاب
الخطبة الثانية : جهاد الشبهات
٢٨ - ألقى في ١٠/١٠/١٣٩٥ هـ :
- ٢٥٤ الخطبة الأولى : تفسير الآية (٦٧) من سورة الزمر : ﴿وما
قدروا الله حق قدره﴾
الصفحة

٢٦٠

الخطبة الثانية : ما دُوِّنَ في كتب البدع دساتس من أعداء
الإسلام

٢٦٢

٢٩ - ألقى في ٢٠/٦/١٣٩٣ هـ :

٢٦٨

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب :
جميع الحقوق والعقود والعهود أمانات
الخطبة الثانية : انتهاز الفرص

٢٦٩

٣٠ - ألقى في ٢٩/٦/١٤٠٧ هـ :

٢٧٦

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١) من سورة الحجرات :
التحذير من السخرية واللمز والتنايز
الخطبة الثانية : خطر الوشاية

٢٧٩

٣١ - ألقى في ٢٨/١٠/١٤٠٩ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات : ﴿ إن
الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾
الخطبة الثالثة : الرد على من زعم أن للأولياء تصرفاً بعد
المات

٢٨٩

٣٢ - ألقى في ١٦/٧/١٤٠٨ هـ :

٢٩٥

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٠) من سورة الحديد :
﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾

٢٩٧

الخطبة الثانية : المؤمن في الدنيا كالمسافر

الصفحة

٣٣ - ألقى في

٣٠٢

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٥) من سورة الحديد : العدل

- الخطبة الثانية : يجب على المسلمين الرجوع إلى كتاب الله ..
 ٣٠٤ - ٣٤ - أقيت في ١٤٠٩/٧/٢٥ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (١) من سورة المجادلة : حكم
 ٣١١ الظهار
- الخطبة الثانية : حضانة الطفل قبل السبع لأمه ثم أمها
 ٣١٣ - ٣٥ - أقيت في
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢١) من سورة الحشر : عظمة
 ٣١٨ القرآن وعلو شأنه
- الخطبة الثانية : الأمر بالمعروف أساس التصالح
- ٣٢١ - ٣٦ - أقيت في ١٤٠٠/٨/١٤ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٤) من سورة التغابن : ﴿ إن
 ٣٢٥ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ﴾
- الخطبة الثانية : قد يكون الزوج عدواً لزوجته
- ٣٢٧ - ٣٧ - أقيت في ١٤٠٨/٤/٦ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير الآية (٨) من سورة التحريم :
 ٣٣٥ ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾
- الخطبة الثانية : قصة زوج وزوجة
- ٣٣٧
- ٣٤٤ - ٣٨ - أقيت في ١٤٠٠/٢/٩ هـ :
- الخطبة الأولى : تفسير سورة الانفطار
- الخطبة الثانية : اليقين جنة

٣٤٦

٣٥٢

٣٩ - ألقى في ١٩/٩/١٤١٣ هـ :

..... الخطبة الأولى : تفسير سورة القدر

٣٥٤

..... الخطبة الثانية : تفضيل ليلة القدر بالعمل

٣٥٩

٤٠ - ألقى في ١١/٥/١٤٠٠ هـ :

..... الخطبة الأولى : تفسير سورة العصر

٣٦١

..... الخطبة الثانية : تكملة سورة العصر

٣٦٥

٤١ - ألقى في ٢٩/١/١٣٩٩ هـ :

..... الخطبة الأولى : تفسير سورة الهمزة

٣٦٧

..... الخطبة الثانية : عامة عذاب القبر من الغيبة والنميمة

٣٧٣

٤٢ - ألقى في ٢٠/٥/١٤١٣ هـ :

..... الخطبة الأولى : تفسير سورة الكوثر

٣٧٥

..... الخطبة الثانية : الإنسان له رسالة

٣٨٧

٤٣ - ألقى في ١٦/٩/١٤٠٩ هـ :

..... الخطبة الأولى : تفسير سورة النصر

٣٩١

..... الخطبة الثانية : تحطيم الأوثان

٤٠٠

٤٤ - ألقى في ١٣/٥/١٤١٠ هـ :

..... الخطبة الأولى : تفسير سورتي المعوذتين

..... الخطبة الثانية : تعريف السحر

الصفحة

الباب الثاني : الفضائل

- ٤٠٥ (٤٠٣ - ٥٣٤)
- ٤٥ - أُلقيت في ١٧ / ١٠ / ١٤٠٢ هـ :
- ٤١٠ الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن حياة)
- الخطبة الثانية : من فضائل الذكر (كل عمل صالح من
- ٤١٣ الذكر)
- ٤٦ - أُلقيت في ١٩ / ٨ / ١٤١٠ هـ :
- ٤٢٠ الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن شفاء)
- الخطبة الثانية : من فضائل الإنسان تنظيم غذائه (مراتب
- ٤٢٢ الغذاء)
- ٤٢٥ - أُلقيت في ٥ / ٣ / ١٣٩٩ هـ :
- الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يعالج النفوس)
- ٤٢٨ الخطبة الثانية : مكافحة جريمة الزنا
- ٤٨ - أُلقيت في ٦ / ١١ / ١٣٩٩ هـ :
- ٤٣٣ الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يأمر بالصدق)
- الخطبة الثانية : الصدق من فضل هذه الأمة (الرسول ﷺ
- يحذر من الرجال)
- ٤٣٧ - أُلقيت في ١٨ / ٥ / ١٤٠٥ هـ :
- الصفحة الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يحذر من
- ٤٤٢ المعاصي)

- ٤٤٤ الخطبة الثانية : الله يغار على حرماته
- ٤٤٩ ٥٠ - ألقيت في
- الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن ينظم حياة البشر)
- الخطبة الثانية : « إنما الأعمال بالنيات »
- ٤٥١ ٥١ - ألقيت في
- الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يحث على العمل)
- ٤٥٦ الخطبة الثانية : من فضائل الإسلام (الإسلام يؤيد العلم الحديث - رائد الفضاء)
- ٤٥٩ ٥٢ - ألقيت في ١٣٩٧/٣/٢١ هـ :
- ٤٦٥ الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (فضل تلاوة القرآن) ..
- ٤٦٨ الخطبة الثانية : فضل تعلم القرآن
- ٤٧٥ ٥٣ - ألقيت في
- الخطبة الأولى : فضل التمسك بالكتاب والسنة
- ٤٧٧ الخطبة الثانية : النظام الإسلامى مرتبط ببعضه ببعض
- ٤٨١ ٥٤ - ألقيت في
- الخطبة الأولى : فضل التضامن
- ٤٨٤ الخطبة الثانية : واجب الأسرة فى البيت
- الصفحة ٥٥ - ألقيت في
- ٤٩١ الخطبة الأولى : فضل العقل

- ٤٩٤ الخطبة الثانية : فضل محاسبة النفس
- ٤٩٩ ٥٦ - ألقى في ١٤٠١/٣/٩ هـ :
- الخطبة الأولى : فضل اجتماع المسلمين (مؤتمر مكة)
- ٥٠١ الخطبة الثانية : فضل تحكيم الشريعة
- ٥٠٦ ٥٧ - ألقى في
- الخطبة الأولى : فضل الإيمان
- ٥٠٨ الخطبة الثانية : فضل العدل
- ٥١٥ ٥٨ - ألقى في ١٤٠٧/٥/١ هـ :
- الخطبة الأولى : فضل المواهب
- ٥١٨ الخطبة الثانية : فضل المحافظة على الإخوة في الله
- ٥٢٤ ٥٩ - ألقى في ١٣٩٩/٦/١٥ هـ :
- الخطبة الأولى : فضل مخالفة الأعداء
- ٥٢٦ الخطبة الثانية : فضل اتباع الهدى
- ٥٣٤ ٦٠ - ألقى في ١٤١٠/٧/١٤ هـ :
- ٥٣٥ الخطبة الأولى : فضل محاسبة النفس
- ٥٤١ الخطبة الثانية : أعدل الناس من أنصف من نفسه
- قائمة المراجع
- محتويات الكتاب